

الْجَمَلُ

أَوْ

النَّصْرَةُ فِي حَرْبِ الْبَصْرَةِ

لِلْمُؤَلِّفِ

فَخْرُ الشَّيْخَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ النَّعْمَانِ

الْمُلقَّبُ بِالشَّيْخِ الْمِفِيدِ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤١٣ هـ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

الحمد لله

ترجمة الشيخ المفيد

هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان
ابن سعيد بن جبير (١) ولد سنة ٣٣٨ (٢) في الحادى عشر من ذى
القعدة بقرية تعرف (بسويقة ابن البصرى) من عكبرى (٣) وتبعد عن
بغداد إلى ناحية الدجيل عشرة فراسخ (٤) ، وكان ربعة من الرجال
نحيفاً أسمر اللون (٥) .

عرف بابن المعلم لأن أباه كان معلماً بواسط (٦) ، كما اشتهر (بالمفيد)
أما لأن الإمام صاحب العصر (عجل الله فرجه) لقبه به ، كما نص عليه ابن
شهر آشوب (٧) ، أو أن شيخه على بن عيسى الرمانى لقبه به ، كما أثبتته
الشيخ ورام (٨) .

(١) النجاشى ص ٢٨٣ .

(٢) ابن النديم فى الفهرست ص ٢٧٩ .

(٣) مجموعة ورام ص ٤٥٦ .

(٤) معجم البلدان (ج ٦ - ص ٢٠٣) .

(٥) شذرات الذهب (ج ٣ - ص ٢٠٠) .

(٦) لسان الميزان (ج ٥ - ص ٣٦٧) .

(٧) معالم العلماء ص ١٠١ طهران .

(٨) المجموعة ص ٤٥٦ .

وكيف كان فهو الحرى بهذا اللقب ، لاجتماع أهل الفضل وذوى التحقيق من الفريقين على تقدمه على من عاصره ، وتبرزه فى العلوم العقلية والنقلية والحديث والمرجال والأدب ، وله قوة العارضة فى الجدل والظهور على الخصم . قال ابن النديم : شاهدته وجالسته فرأيت شديداً فى الفطنة ماضى المخاطر بارعاً فى العلوم .

وزيد ابن حجر العسقلانى بقوله : ان له على كل إمام منة .
وصادق على هذه الظاهرة فى شيخنا المفيد كل من الذهبى والياقنى وابن كثير وابن العماد وأبو حيان التوحيدى (١) .

ومهما تكثرت الأقوال من علماء الإمامية وغيرهم فى حق الشيخ المعظم فأنى أرى البيان لينحسر عن تحديد نفسه وما آتاه المهيمن جل شأنه من ملكات فاضلة بعد أن خاطبه (إمام العصر) بحمل الله فرجه فى كتابه الاول : بالأخ السديد ، والمولى الرشيد أيها المولى المخلص فى ودنا الناصر لنا ، إلخ .

ويقول فى الثانى : من عبد الله المرابط فى سبيله إلى ملهم الحق ودليله ، سلام عليك أيها العبد الصالح الناصر للحق الداعى إليه بكلمة الصدق ؛ إلخ (٢)

فإنك بعد أن أحطت خبراً بأن صاحب الناحية المقدسة لم يخاطب أحداً إلا باسمه الساذج من دون إطراء كما إنه عليه السلام لا يلفظ إلا نفس الحقيقة سواء فى ذلك مدح رجل أو بيان حكم أو فصل قضاء

(١) انظر أقوالهم فى ترجمته المطبوعة مع أمالى المفيد ص ٢ فى النسخة طبعه ثانية .

(٢) الكتابان فى احتجاج الطبرسى ص ٢٧٧ ط النجف .

وهكذا سبيل امناء الوحي والحجج على الخلق فانهم لا ينطقون إلا عن الأمر الآلى .

تعرف حينئذ ان من يتخذ (حجة الزمن) عليه السلام أخأله ويعترف له بالصدق فى الأقوال والرشد فى الأمر هو فوق مستوى البشر بعد الحجج الاطهار . نعم وجده صاحب الناحية المقدسة ذلك الرجل الناهض للدعوة الالهية الناصر للمعارف الاحمدية والذاب عن قدس الشريعة المطهرة فأعطاه ذلك الرسام المشعر بالعظمة والتفوق على غيره ممن عاصره .

كتاب الجمل :

وان من يقره كتبه فى الامامة والفقہ والحديث يدعن بأنه ذلك المتبرز فى البرهنة الصحيحة ودحض معرة الشبه والإلحاد ، وليس من البدع إذا كان شيخ الامة المفيد مستقاه فى العلوم ومورد ربه ومحل ثقتها . أما كتاب (الجمل) فيعطى القارىء صورة واضحة لشيخنا الأعظم من دقة النظر وقوة فى الحجج كما انه يوقف الباحث على الآراء فى الإمامة وما يرتئونه فى هذا الحادث الذى ألقى الفكر وأخذ بمن لم يستضىء بنور الحقيقة إلى مهوى سحيق .

ولقد دلنا هذا الكتاب المفعم بالشواهد التاريخية الصحيحة عند الفريقين على نفسيات الرجال وضعف الأدمغة مع عدم التباعد عن أحاديث الرسول الاقدس فى حق وصيه المقدم والخلفاء من ذريته ، وان الخلاف عليه وخيم العاقبة ، وهذا بعد التعريف بمواقفه فى الإسلام يوم

كان الشرك ضارباً بجمرانه نخباً على أولئك الضعفاء وبمضاء من سيف
أمير المؤمنين عليه السلام ونمير من فضله قام عمدة التوحيد واحكمت
قواعد الايمان وانقضت سحب الضلال واستنار العالم بالحقايق .

كان كتاب (الجمل) المائل اليوم أمام القراء الكرام محتبئاً في زوايا
المكتبات لا يصل اليه إلا النفر النزر من رواد السيرة والتاريخ حتى
فيض الله سبحانه المذهب الغيور (محمد كاظم بن الحاج محمد صادق الكنتي)
صاحب المطبعة الحيدرية في النجف فأخرجه إلى القراء تلبية لطلبهم ونزولاً
عند رغبتهم ولكن الأسراع في الإجابة وحراجة الظروف أثرت على
العناية في تصحيح الكتاب وتدقيقه غير ان الرغبة الأكيدة في الوقوف
على ما فيه من حقايق التي لم يحوها غيره من المؤلفات على كثرتها أوجب
تهافت القراء عليه ثقة بشيخنا المعظم لما أوق من سعة في الحديث وثبت
في النقل ومحص دقيق لقضايا التاريخ .

وبعد فقاد نسخ الطبعة الأولى اجتهد الناشر صاحب (المطبعة
الحيدرية) في عرض الكتاب على جماعة من أعلام المؤرخين فدققوا
النظر في الكتاب بعد المقابلة على نسخة العلامة المتبحر الشيخ علي نجل
الرحمة الشيخ محمد رضا بن آية الله الشيخ هادي آل الشيخ الأكبر كاشف
سطاء أيده الله وأدامه مساعداً ومروجا لأحياء مؤلفات علمائنا الأعلام .
ثم أن المساعدين للناشر لم يكتفوا بهذه النسخة وغيرها وإنما بذلوا
الجهد في تطبيق ما يذكره (المفيد) مع نصوص المؤرخين الأقدمين الذين
تعرضوا القضية (الجمل) وحديث الناكثين وأضافوا إلى ذلك تعاليف في
هامش الكتاب كان بها الجدارة في الإثبات .

فالناس يشكر المساعدين له الآخذين بعضده في المحافظة على
 تصحيح هذا المؤلف القيم ، كما إننا نشكر همته القعاء ونشخص إلى الميمن
 سبحانه مبتهلين بأن يمد في عمره ويوفقه للمثابة على إحياء هذه المؤلفات
 الجليلة ويفيض عليه من لطفه وجوده .
 ان رحمة الله قريب من المحسنين .
 ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

وفاة المفيد :

توفي الشيخ (المفيد) ليلة الثالث من رمضان ببغداد سنة ٤١٣ هـ
 وصلى عليه علم الهدى السيد المرتضى بميدان الاثنان وحمل إلى مشهد
 الإمامين الكاظمين عليهما السلام فدفن عند رجليهما ، وكان يوم وفاته
 كما يحدث عنه الشيخ الطوسي في « الفهرست » ١٠ ، يوماً مشهوداً عظيماً
 اجتمع لتشيعه خلق كثير وبكاه المؤلف والمخالف ووجد على قبره مكتوب :

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل النبي عظيم
 إن كنت قد غيبت في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيم
 والقائم المهدي يفرح كلنا تليت عليك من الدروس علوم

(١) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف .

- ١٩ اختلاف الامة في فتنة الجمل .
- ١٩ رأى عمار بن ياسر فيمن حارب علياً عليه السلام .
- ٢٠ رأى سعد بن وقاص واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر في الجلوس عن الحرب .
- ٢٤ رأى المعتزلة .
- ٢٩ رأى الخوارج : والشيعه .
- ٣٠ عصمة أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٣٢ تصدق أمير المؤمنين بالخاتم وهو في الصلاة .
- ٣٣ حديث المنزلة .
- ٣٥ أحاديث الرسول «ص» في فضل أمير المؤمنين «ع» .
- ٣٧ نظرة في الاحاديث .
- ٣٨ إنكار الخوارج والاموية فضل أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٣٩ قتال الناكثين .
- ٤٠ على عليه السلام في خير يوم الحصار .
- ٤٠ البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان .
- ٤٣ تأخر سعد واسامة عن حرب البصرة .
- ٤٣ نظرية ابن العربي في جواز قتال من خرج على أمير المؤمنين .
- ٤٤ نظرية الجصاص في حلية قتال على عليه السلام لمن خرج عليه .
- ٤٥ رأى الحنابلة في قتال الباغيين على الامام .
- ٤٦ الاسباب في تأخر سعد واسامة عن نصرة على عليه السلام .

بيعة المهاجرين .	٥٠
بيعة الانصار .	٥١
بيعة الهاشميين .	٥١
بيعة باقى الشيعة .	٥٢
دعوى الاجبار فى البيعة .	٥٣
كراهة المسلمين استخلاف	٥٩
الصحابة يوم الشورى .	٦٠
خطبة على دع ، يوم البيعة .	٦١
فوار عثمان وعدم حضوره بيعة الرضوان .	٦١
اعتراض طلحة والزبير على أبى بكر فى توليته عمر .	٦٢
الخطبة الشقشقية .	٦٤
امتناع على من البيعة .	٦٥
بيعة طلحة والزبير .	٦٧
الناكثان .	٦٩
اسباب الخروج على عثمان .	٧٠
عبد الله بن عمر يبرء علياً من قتل عثمان .	٧٠
إنكار عمرو بن العاص على عثمان احدائه .	٧٢
طلحة عن اعان على قتل عثمان .	٧٤
كان طلحة يوم الدار يرمى بالسهم على دار عثمان .	٧٦
إنكار عائشة على عثمان وإخراجها نعل رسول الله ص .	٧٧
تسميتها إرياه بنعثل .	٧٨
ندم طلحة والزبير من البيعة .	٧٩

- ١٠٤ خطبة عثمان وفيها أعتراه بالزلة واستغفاره .
- ١٠٥ ملاحظات بين امرأة عثمان وبين مروان .
- ١٠٦ استنصار عثمان معاوية وتأخير معاوية عن نصرته .
- ٨١ المرأة والحجاب .
- ٨٢ قول النبي «ص، لام سلمة وميمونة : «أفعميا وتان أتما» .
- ٨٤ قصة الافك والمنافشة فيها .
- ٩١ إشارة ابن عباس على أمير المؤمنين بأن يحبس طلحة والزبير وامتناعه «ع، من أن يعاقب على الظنة .
- ٩٢ براءة أمير المؤمنين من دم عثمان .
- ٩٤ أقوال أمير المؤمنين بمظلوميته واستشهاده بفقرات من خطبته الشقشقية .
- ٩٦ بيان ما نقم به الناس على عثمان .
- ٩٦ الحدود لا تسقط بحال .
- ٩٧ صلاة الوليد بالناس وهو سكران .
- ٩٨ إقامة الحد على الوليد بن عقبة .
- ٩٩ أسباب تبعيد النبي «ص، للحكم بن أبي العاص عن المدينة .
- ... أعطى عثمان آل مروان الن ألف دينار .
- ١٠١ ماجرى من عثمان على عمار حتى غشى عليه .
- ١٠٢ على عليه السلام ينصح عثمان .
- ١٠٣ خطبة عثمان .
- ١٠٢ مروان بن الحكم يهدد من حضر الخطبة ورد عثمان عليه .

- ١٠٧ الآراء في أحداث عثمان .
- ١٠٨ دفاع المصنف . ره ، عن أمير المؤمنين وتوجيه قعوده على قتلة عثمان .
- ١١٠ رأى الجاحظ . في أمير المؤمنين ، ع ، ورد الشيخ المفيد عليه .
- ١١٢ رأى العثمانية في أمير المؤمنين عليه السلام .
- ١١٤ شعر الوليد في مطالبة بني هاشم بدم عثمان .
- ١١٤ أشعار حسان في مطالبة الزبير وطلحة بدم عثمان .
- ١١٧ النجائب والادراع التي أخذها أمير المؤمنين من عثمان كانت للمسلمين .
- ١١٧ الآية النازلة في فسق الوليد بن عقبة .
- ١١٨ تسجيل المفيد . ره ، على حسان من الاتفاق بأنه قذف عائشة .
- ١١٩ شعر حسان في حق الامير عليه السلام يوم الغدير .
- ١٢٠ مبدء فتنة الجمل وما كان يرومه طلحة والزبير وعائشة .
- ١٢٣ إخراج عائشة ثوب النبي ، ص ، تقول انه لم يبل وقد أبلى عثمان سنته .
- ١٢٣ انحياز امويين إلى عائشة بمكة .
- ١٢٤ اجتماع الزبير وطلحة بعائشة وطلبهم امنها الخروج لحرب على .
- ١٢٥ كان ابن أبي ربيعة وابن منبه يجهزان الناس لحرب على ، ع ،
- ١٢٦ نهى أم سلمة عائشة عن الخروج مع الرجال .
- ١٢٩ كان النبي ، ص ، يأمر نساءه بالجلوس في بيوتهن .
- ١٢٩ كانت سودة بنت زمعة بعد نزول آية الحجاب لم تصح مخافة العقاب .
- ١٣٠ مكانة أم سلمة بين الناس حتى خاف الناكثان منها .
- ١٣٠ رأى محمد بن أبي بكر في مسير على ، ع ، إلى الكوفة
- ١٣٠ مجاهدة أمير المؤمنين الناكثين .

- ١٣١ إشارة بعضهم على أمير المؤمنين باخراج أم سلبه معه وامتناعه منه .
 ١٣٢ كتاب أمير المؤمنين إلى أبي موسى الاشعري .
 ١٣٣ إعراف المأمون بأن أمير المؤمنين عند خلافته قدم جميع ولد العباس على بني هاشم .
 ١٣٤ كتاب على « ع » إلى أهل الكوفة يستنفرهم .
 ١٣٥ خطبة الحسن « ع » ، وعمار وقيس بالكوفة .
 ١٣٦ خطبة أبي موسى الاشعري في تثبيت أهل الكوفة عن الخروج .
 ١٣٧ نهضة زيد بن صوحان في وجه الاشعري .
 ١٣٨ شعر لرجل بجلى في رد أبي موسى الاشعري .
 ١٣٩ الاشترا إلى قصر الأمانة . ١٣٩ خطبة الاشترا في جامع الكوفة .
 ١٤٠ خطبة حجر بن عدى في التحريض على الجهاد مع على « ع » .
 ١٤١ تمسك أبي موسى الاشعري بكتاب عائشة .
 ١٤١ كتاب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة .
 ١٤٢ أمير المؤمنين في الطريق .
 ١٤٣ خطبة عمار بالكوفة .
 ١٤٤ خطبة الحسن « ع » ، بالكوفة .
 ١٤٤ مخادعة ابن عباس لابى موسى الاشعري .
 ١٤٥ خطبة أمير المؤمنين بذى قار .
 ١٤٥ خطبة أخرى له بذى قار وفيها دعاؤه على طلحة والزبير .
 ١٤٧ كلام الاشترا بعد الفراغ من الخطبة وفيه تسكين لفورة أمير المؤمنين ع
 ١٤٧ متابعة أبي التيهان وعدى بن حاتم للاشترا في القول .

- ١٤٨ إظهار أبي زئب لأمير المؤمنين الطاعة وإن الموت معه أحب إليه من كل شيء .
- ١٤٩ الناكثون مع عثمان بن حنيف .
- ١٥١ فرح حفصة بكتاب عائشة إليها .
- ١٥١ أم كلثوم بنت علي ع ، مع حفصة .
- ١٥٢ خطبة عائشة بالمربد .
- ١٥٢ اعتراف المفسرين بما نزل في عائشة وحفصة من المظاهرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
- ١٥٣ الهدنة مع عثمان بن حنيف على أن يكون له بيت المال حتى يأتي على شهادة أسامة بن زيد بأن طلحة والزبير بايعا مكرهين وما فعله معه تمام بن العباس .
- ١٥٤ نقض الناكثين لشروط الهدنة وفعلهم القبيح بابن حنيف .
- ١٥٤ نهضة حكيم بن جبلة غيرة على ابن حنيف .
- ١٥٥ تغلب الناكثين على بيت المال .
- ١٥٥ نزاع طلحة والنزاع على ختم بيت المال .
- ١٥٦ ذهاب ابن حنيف إلى أمير المؤمنين مع ما صنع به .
- ١٥٦ أمير المؤمنين ع ، في بيت مال البصرة بعد الفتح .
- ١٥٧ الزبير شاك في القتال .
- ١٥٩ أخبار أمير المؤمنين من يأتيه من أهل الكوفة فكان كما قال .
- ١٦٠ استئذان الاحنف بن قيس من أمير المؤمنين في الجلوس وتخذيل قومه
- ١٦١ حديث النبي (ص) لا أفلح قوم ولو أمرهم امرأة .

- ١٦٢ كتاب عائشة إلى المدينة والمامة
 ١٦٤ خطبة طلحة بالبصرة بعد حبس ابن حنيف .
 ١٦٥ رد عبد الله بن حكيم التميمي عليه .
 ١٦٥ خطبة أخرى لطلحة ورد رجال من أهل البصرة عليه
 ١٦٧ خطبة عائشة وفيها تطالب بدم عثمان
 ١٦٨ عمرو بن حصين يؤنب عائشة على الخروج
 ١٦٩ أمير المؤمنين ع ، ينصح أصحاب الجمل
 ١٧٠ ما جرى بين ابن عباس وطلحة من الكلام حول حصر عثمان
 ١٧٢ قول النبي ص ، لعائشة تنبئك كلاب الحوآب
 ١٧٣ أمير المؤمنين ينظم الجيش
 ١٧٥ استنهاض عائشة لكعب بن شور
 ١٧٥ أبيات أحد بني وهب يلوم كعباً على النهضة مع عائشة
 ١٧٦ تنظيم الناكثين لأصحابهم ١٧٦ خطبة ابن الزبير
 ١٧٦ ترجمة مالك بن مسمع ١٧٧ خطبة الحسن عليه السلام
 ١٧٨ خطبة طلحة ورد رجل حجازي عليه
 ١٧٩ خطبة أمير المؤمنين لما بلغه اجتماعهم على حربه
 ١٧٩ أبيات حكيم بن مناف بعد الفراغ من الخطبة يذكر فيها طاعته له ع ،
 ١٨٠ الحرب
 ١٨١ مقدار عمر محمد بن الحنفية يوم الجمل وعذره عن الخروج مع الحسين ع
 ١٨٢ ابن عباس يحمل الكتاب المجيد إلى الناكثين للدحاكة اليه
 ١٨٣ مجيء ابن عباس إلى عائشة ومعه القرآن وإبائها عن القبول

- ١٨٣ الغلام من بني عبد القيس يحمل القرآن اليهم ثانياً وقد أخبره
أمير المؤمنين بالشهادة
- ١٨٤ أم الغلام تحمله قتيلاً إلى أمير المؤمنين ورثائها له
- ١٨٤ وصية أمير المؤمنين أصحابه أن لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً
- ١٨٤ لواء رسول الله «ص»، يدفعه أمير المؤمنين إلى ابن الحنفية
وإخباره بأنه لا يرد منكسراً
- ١٨٥ آيات قيس بن سعد لما رأى اللواء منشوراً
- ١٨٣ رجز أصحاب الجمل وأصحاب علي «ع»
- ١٨٧ مقدار عمر عمار بن ياسر يوم الجمل
- ١٨١ عائشة ترمي أصحاب علي «ع»، بكف من التراب
- ١٨٨ آيات أم ذريح العبدية المنشعة في ذم عائشة
- ١٩١ صفة درع أمير المؤمنين «ع»
- ١٩١ قوله «ع»، لا بن عباس لا تخف أن أوتي من ورأى
- ١٩٢ خطبة أخرى لأمير المؤمنين قبل الحرب
- ١٩٣ أخذه «ع»، الراية من ابنه وجعل يهزول بها
- ١٩٤ قاتل على يوم الجمل أشد القتال
- ١٩٥ ابن الزبير تداوى جراحته امرأة عثمانية
- ١٩٥ محمد بن أبي بكر يحمل ابن الزبير إلى عائشة
- ١٩٦ خاتم عبد الرحمان بن عتاب بن اسيد بيع بخمسمائة دينار
- ١٩٧ كان عمار بن ياسر يقول لمن يظفر الطالب بدم عثمان: عائشة والرجلان قتلوه
- ١٩٧ كان عمار يقول: لو ضربوا حتى تبلغ سعفات حجر لعلمنا: إننا على حق

- ١٩٩ أمير المؤمنين يطعن الهودج بالرمح
 ٢٠٠ كانت عائشة بعد الهزيمة نسب عليها
 ٢٠٢ محل دفن طلحة ومن رماه بسهم
 ٢٠٤ ندم عائشة على فعلتها
 ٢٠٦ مقتل طلحة
 ٢٠٩ مقتل الزبير
 ٢١٣ الشهيد يحتج بدمه
 ٢١١ أمير المؤمنين يكلم القتلى
 ٢١٣ كتاب أمير المؤمنين إلى المدينة
 ٢١٤ كتابه د ع ، إلى اخته أم هاني بالفتح
 ٢١٥ كتابه د ع ، إلى أهل الكوفة
 ٢١٦ خطبة له د ع ، بالبصرة
 ٢١٦ زهده عليه السلام
 ٢١٧ خطبته بعد قسمة المال
 ٢١٨ سيرته في أهل البصرة
 ٢١٩ أمير المؤمنين يذم أهل البصرة
 ٢٢١ الأسباب التي كانت عائشة من أجلها تبغض عليها
 ٢٢٣ مسير عائشة إلى المدينة
 ٢٢٤ اعتراف مروان بالظلم
 ٢٢٥ ولاية ابن عباس على البصرة
 ٢٢٧ لما خرج أمير المؤمنين من البصرة توجه إليها وذكر كلاماً فيها
 ٢٣٠ أبيات ابن أم كلاب يذم بها عائشة
 ٢٣١ كتاب عائشة إلى زيد بن صوحان ورده عليها
 ٢٣٢ اخبار النبي عائشة بما يكون منها من حرب على

الجمال أو النصرة في حرب البصرة

تصنيف

الشيخ السعيد المفيد محمد بن النعمان العكبري
المتوفى سنة ٤١٣ هـ

(الطبعة الثالثة)



من منشورات

مكتبة الدافري

قم - ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ضمن النصره لناصره ، وأعان على الحق بتوفيقه متبعيه ، وخذل من عتد عن دينه والحد فيه ، وصلواته على صفوته من خلقه ومجتيه ، محمد وآله المخصوصين بالطهارة والتزيه ، أيـدك الله بتوفيقه سألت أن أورد لك ذكر الاختلاف بين أهل القبلة فى حديث الفتنة بالبصرة ، وما كان بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وبين عائشة وطلحة والزبير من الحرب المهولة والقتال ، ومذهب كل فريق من الامة فيه على شرح له وبيان ، وإثبات سبب هذه الفتنة والاختلاف التى جاءت فيما جرى بين القوم ، من القتال والفعال . فان كل كتاب صنف فى هذا الفن قد تضمن أخباراً تلتبس معانيها على جمهور الناس ولم يأت أحد من المصنفين بذكر الحرب فى هذه الفتنة على الترتيب والنظام بل خلطوا الأخبار فيها خلطاً لم يحصل معه تصور الخلل فيما كان بين الجميع منه على الظهور والبيان الذى جاء . فقد جمعت لك أيـدك الله كلما صدر عنهم ، وأثبت فى هذا الكتاب برهاناً يفضى الناظر فيه إلى صحة الاعتقاد فى أحكام القوم بأسمائهم وأعمالهم وما فيها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان والتبين والضلال . لتعلم وفقك الله

بالنظر والاعتبار وتخرج بذلك من التقليد الموبق لصاحبه ولتظفر
بالحق ويزول عنك الاشتباه الذى التبس عليك أمره فيما كان هناك
وأجبتك إلى مأسألت معتصما بالله عز وجل وسائلا لك التوفيق والرشاد
وبالله أستعين .

(القول فى اختلاف الامة) فى فتنة الجمل وأحكام القتال فيها :
أما المتولون للقتال فى هذه الفتنة فقد أنبأنا عملهم فيها عن اعتقادهم
ودلت ظواهرهم فى ذلك على بواطنهم فيه إذ العلم يحيط بأن أمير المؤمنين
علياً د ع ، وولده وأهله من بنى هاشم وأتباعه من المهاجرين والانصار
وغيرهم من المؤمنين لم يسلوكوا فيما بشروه من الحرب وسعوا فيه من
القتل واستباحة الدماء طريق المجرمين ، لذلك الطالين به العاجل ،
والتاركين به ثواب الآجل ، بل كل ظاهريهم فى ذلك ، والمعلوم من
حالمهم ، وقصدهم التدين والقربة إلى الله تعالى بعملهم ، والاجتهاد فيه
وان تركه والاعراض عنه موبق من الأعمال والتقصير فيه موجب
لاستحقاق العقاب .

ألا ترى الى ما أشتهر من قول أمير المؤمنين د ع ، وقد سئل عن قتاله
للقوم (لم أجد الا قتالهم أو الكفر بما أنزل الله على محمد د ص) .
وقول عمار بن ياسر رحمه الله : أيها الناس والله ما أسلبوا ولكنهم
أستسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا له أعواناً أظهروه (١) فى
أمثال هذين القولين من جماعة جلة من شيعة أمير المؤمنين د ع ، يطول
بشرحها الكتاب فهم يلائم معاني كلامهم فى ذلك ظواهر فعالهم . والمعلوم
من قصودهم وهذا مالا مزيد فيه بين العلماء ، وانما يشتهر الامر فيه
على الجهلاء الذين لم يسمعوا الأخبار ، ولا اعتبروا بتأمل الآثار .
وكذلك الأمر محيط بأن ظاهر عائشة وطلحة والزبير وكثير من
(١) نصر بن مزاحم فى كتاب صفين ص ٢٤٣ ط مصر .

كان في حيزهم التسدين بقتال أمير المؤمنين «ع» ، وأنصاره والقربة إلى الله سبحانه وتعالى في استقراغ الجهد فيه ، وانهم كانوا يريدون على ما زعموا وجه الله والطلب بدم الخليفة المظلوم عندهم ، المقتول بغير حق وانهم لا يسعهم فيما أضمره في اعتقادهم إلا الذي فعلوه ، فوضح من ذلك ان كلا من الفريقين يصبو رأيه فيما فعل ويخطئ صاحبه فيما صنع ويشهد لنفسه بالنجاة ويشهد على صاحبه بالضلال والهلاك .

إلا أن أمير المؤمنين «ع» صريح بالحكم على محاربيه ووسمهم بالفدر والنكث ، وأخيرا أن النبي «ص» أمره بقتالهم وفرض عليه جهادهم ولم يحفظ عن محاربيه فيه شيء ولا سمة له يمثل ذلك وان كان المعلوم من رأيهم التخطيط له في القتال ، والحكم عليه في بقاءه على الأمر والامتناع من رده شورى بينهم وتسليمه قتلة عثمان اليهم بالزلل عن الحق الواجب عندهم والصواب .

وكان مذهب سعد بن مالك بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد ابن مسلمة الأنصاري ، واسامة بن زيد وأمثالهم ممن رأى القعود عن الحرب والتبديع لمن تولاهما والحكم على أمير المؤمنين «ع» ، والحسن والحسين ومحمد بن علي «ع» ، وجميع ولد أبي طالب وكافة أتباع أمير المؤمنين من بني هاشم والمهاجرين والأنصار والمتدينين بنصرته المتبعين له على رأيه في الجهاد ، بالضلال والخطأ ، في المقال والفعال ، والتبديع لهم في ذلك على كل حال .

وكذلك كان مذهبهم في عائشة وطلحة والزبير ومن كان على رأيهم في قتال أمير المؤمنين «ع» ، وانهم بذلك ضلال عن الحق عادلون عن الصواب ، مبدعون في استحلال دماء أهل الاسلام ، ولم يحفظ عنهم في الطائفتين ولا في احديهما تسمية بالفسوق ولا اخراجهم بما تولوه من الحرب والقتال عن الايمان .

اختلاف الفرق :

(فصل) الخلاف بعد النبي الذي حكيناه عن السلف في الفتنة المذكورة قد تشعب وزاد على ما أثبتناه عن سميناه في الخلاف ، فقالت العامة الحشوية المنتسبة الى السنة على مازعموا في ذلك أقاويل مشهورة وذهبوا مذاهب ظهرت عنهم مذكورة .

فمنهم طائفة اتبعت رأى سعد بن أبي وقاص وشركائه المعتزلة عن الفريقين ومذهبهم في إنكار القتال وحكوا بالخطأ على أمير المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن علي وابن عباس وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين وأبي أيوب الأنصاري وأبي الهيثم بن التيهان وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وامثالهم من وجوه المهاجرين وتقباء الأنصار . وعلى عائشة وطلحة والزبير وجميع من اتبعهم في الحرب واستحل معهم القتال ، وشهدوا عليهم جميعاً فيما صنعوه بالزلل عن الصواب ، ووقفوا فيهم مع ذلك ولم يقطعوا لهم بعقاب ، ورجوا لهم الرحمة والغفران ، وكان الرجاء لهم في ذلك أقوى عندهم من الخوف عليهم من العقاب .

وقالت فرقة منهم أخرى بتخطئة الجميع كما قالت الاولى منهم في ذلك وقطعوا على ان أمير المؤمنين والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر وخزيمة ذى الشهادتين ان كانوا قد زلوا بالقتال وسفك الدماء فانه مغفور لهم ذلك ، لما قدموا من عظيم اطاعتهم لله تعالى وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته له ، مواساتهم لياه .

وكذلك قولهم في عائشة ، وطلحة والزبير ومن شرهم في القتال بمن له صحبة وسالف جهاد .

وأما من سوى الصحابة بين الفريقين منهم بقتلهم واستحلالهم الدماء فن أهل النار ، وحكوا عن بعض مشيختهم وأئمتهم في الدين انه كان يقول نجت القادة وهلك الأنبياء ، وفرقوا بين الصحابي في ذلك وغيره بحديث روه عن النبي « ص » انه قال لبعض المسلمين ممن أدركه ولم يكن له صحبته وقد سأل رجل من الصحابة : إياكم وأصحابي لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدى أحدهم ولا نصفه وقالت فرقة أخرى منهم لا ينبغي لأحد أن يخوض في ذكر الصحابة وما جرى بينهم من تنازع واختلاف وتباين وقتال ولا يتعرض بالنظر في ذلك ولا الفكر فيه ويعرض عنه جانباً ، وأن استطاع أن لا يسمع شيئاً من الاخبار الواردة به فيفعل ، فانه ان خالف هذه الوصاة وأصغى إلى الخبر باختلاف الصحابة أو تكلم بحرف واحد ، وتبرع بالحكم عليهم بشئ يشين المسلم فقد أبدع في الدين ، وخالف الشرع ، وعدل عن قول النبي ولم يحذر مما حذره منه بقوله « ص » إياكم وما سيجرى بين الصحابة .

وزعموا أن الرواية بذكر أخبار السقيفة ، ومقتل عثمان والجمل وصفين بدعة ، والتصنيف في ذلك ضلال ، أو الاستماع إلى شئ من ذلك يكسب الآثام .

وهذه فرقة مستضعفة من الحشوية يميل إلى قولها جمع كبير من شاهدناه من العامة ويدعوا اليه المتظاهرون بالورع والزهد ، والصمت وطلب السلامة ، وحفظ اللسان ، وهم بذلك بعداء عن العلم وأهله ، جهال أغمار .

وقالت فرقة من العامة تختص بمذاهب الحشوية غير أنها تتعاطى النظر ، وتدعى المعرفة بالفقه وتزعم أنها من أهل الاعتبار ، ان علي ابن أبي طالب « ع » ، ومن كان في حيزه من المهاجرين والأنصار

وسائر الناس ، وعائشة وطلحة والزبير وأتباعه جميعاً معاً كانوا على صواب فيما اتهموا اليه من التباين والاختلاف والحرب والقتال وسفك الدماء ، وضرب الرقاب ، فإن فرضهم الذى يعين عليهم من طريق الاجتهاد هو ذلك بعينه دون سواه ، لم يخرجوا بشئ منه عن طاعة الله ولا دخلوا به فى شئ منه إلا انهم كانوا على الهدى والصواب ، ولو قصروا عنه مع الاجتهاد المؤدى لهم اليه ؛ لضلوا عن الحق ، وخالفوا السبيل والرشاد .

وزعموا أن انهم كانوا جميعاً مع الحال التى اتهموا اليها من سفك الدماء ؛ وقتل النفوس ؛ والخروج عن الاموال والديار على أتم مضافة ومودة وموالات ، ومخالصة فى الضاير والنيات ؛ واستدلوا على ذلك وزعموا بأن قالوا وجدنا كل فريق من الفريقين متعلقاً بحجة تعذره فيما أتاه وتوجب عليه العمل بما صنع ، وذلك ان علي بن أبي طالب كان مذهب تحريم قتل الجماعة بالواحد وان اشتركوا فى قتله معاً وهو مذهب مشهور من مذاهب أصحاب الاجتهاد ؛ ولم يثبت عنده أيضاً ان المعروفين بقتل عثمان تولوا على ما ادعى عليهم من ذلك فلم يسعه تسليم القوم إلى من اتهمهم منه ليقتلوهم بثمان ؛ ووجب عليه « د ع » فى اجتهاده الدفاع عنهم بكل حال ، وكان مذهب عائشة وطلحة والزبير قود الجماعة بالواحد من الناس ؛ وهو مذهب ابن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة وجماعة من التابعين ؛ وبه دان جماعة من الفقهاء وأصحاب الاجتهاد ، وثبت عندهم ان الجماعة يقتلون بالرجس الواحد وان أمير المؤمنين لم يسلمهم ليقتلوه بثمان ، وان الناس تولوا قتله واشتركوا فى دمه ؛ وكان إماماً مرضياً عندهم ؛ قتل بغير حق ؛ فلم يسعهم ترك المطالبة بدمه ؛ والاستقادة من قاتله وبذل الجهد فى ذلك ؛ فاختلف الفريقان فى ذلك لما ذكروه من الاجتهاد ؛ وعمل كل فريق منهم على رأيه وكان

بذلك مأجوراً وعند الله مشكوراً ؛ وإن كانوا قد سفكوا فيه الدماء
وبذلوا فيه الاموال وهذا مذهب جماعة قد شاهدتهم وكتبهم وهم في
وقتنا هذا خلق كثير وجم غفير .

ومن كتبهم فيه من مشيخة أصحاب المخلوق المعروف بأبي بكر التمار
الملقب بدرزان وكان في وقته شيخ أصحاب عبد الله بن سعيد بن
كلاب أكبرهم سناً ؛ وأشدهم تقدماً في مجالس الكلام ؛ ومنهم محارب
الصيداني المكنى بابن العلاء خليفة أبي السائب في القضاء . ومنهم المعروف
بالوشعي ؛ ومن بعدهم المكنى بأبي عبد الله المعروف بابن مجاهد البصري
الاشعري صاحب الباهلي تلميذ علي بن أسماعيل بن أبي بشر الاشعري
ومنهم المعروف بأبي بكر بن الطيب المعروف بابن الباقلاني ومنهم
أبو العباس بن الحسين بن أبي عمر القاضي وجميع من سميت عن جاريته
في هذا الباب من أصحاب المخلوق ، وبعضهم كلابية وبعضهم أشعرية
واليه يذهب في وقتنا هذا جمهور أصحاب الشافعي ببغداد والبصرة
وخوزستان وبلاد فارس وخراسان وغيرها من الامصار ؛ لأعرف
شافعيًا له ذكر في قومه ويذهب الى هذا المذهب ليعبد به عن قول
الشيعة ؛ وأهل الاعتزال .

رأي المعتزلة :

واختلف في ذلك المعتزلة أيضا كاختلاف الحشوية ؛ فقال إمامهم
المقدمان وشيخاهم المعطان اللذان هما أصلان للاعتزال ، واقتحا لمعتقديه
فيه الكلام وهم نخر الجماعة منهم وجاهلهم الذي لا يعدلوا عندهم سواه
واصل بن عطاء الغزالي ؛ وعمرو بن عبيد بن باب المكاربي (١) ان
(١) قال ابن خلكان ترجمته هو عمرو بن عبيد بن باب بياطين
وانما ضبطته بذلك لثلاثي شقه بناب وفي تاريخ بغداد ج ١٢ ص —

أحد الفريقين ضال في البصرة مضل فاسق خارج من الايمان والإسلام ملعون مستحق الخلود في النار ، والفريق الآخر هاد مهدي ، مصيب مستحق للثواب والخلود في الجنان غير أنهم زعموا أن لادليل على تعيين الفريق الضال ولا برهان على المهدي ولا بينة تتوصل بها إلى تمييز أحدهما من الآخر في ذلك بحال من الأحوال .

وانه لا يجوز أن يكون علي بن أبي طالب (ع) ، والحسن والحسين ومحمد بن علي وعبد الله وقثم والفضل وعبيد الله بنو العباس وعبد الله ابن جعفر الطيار وعمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان وكافة شيعة علي (ع) ، وأتباعه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وأهل الدين المتحيزين إليه والمحققين بسمة الإسلام هم الفريق الضال ، والفاسق الباغي الخارج عن الايمان والإسلام والعدو لله والبريء من دينه الملعون المستحق للخلود في النار .

وتكون عائشة وطلحة والزبير والحكم بن أبي العاص ومر وان أبنة وعبيد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة وعبد الله بن عامر بن كريز ابن عبد شمس ومن كان في حيزهم من أهل البصرة هم الفريق المهدي الموفق إلى الله المصيب في حربه المستحق للاعظام والاجلال والخلود في الجنان .
قالا جميعاً نعم ما تنسکر ذلك ولا تؤمن به إذ لا دليل يمنع من الحكم

— ١٦٦ — كان باب من سبى فارس وعبيد من سبى سجستان وكان عبيد نساجاً ثم صار من شرطة الحجاج على السجن وهو يقول إني أصبت ام عمرو من غلول وكان عبيد يقول لو أن علياً وعثمان وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزت شهادتهم وقد أحدث عمرو بدعة قتل فيها الناس وفيه يقول يحيى بن معين انه رجل سوء مات سنة ١٤٤ ودفن بمران على ليال من مكة راجعاً إلى البصرة .

به على ما ذكرناه بحمل وكما أن قولنا ذلك في علي وأصحابه فكذلك هو في الفريق الآخر فانا لسنا ننكر أنهم وأتباعهم على السوء ولسنا ننكر أن يكونوا هم الفريق الضال الملعون ، العدو لله ، البرىء من دينه ، المستحق للخلود في النار ، وأن يكون علي د ع ، وأصحابه هم الفريق الهادي المهتدي الولي لله في سنيله ؛ المستحق بقتاله عائشة وطلحة والزبير وقتل من قتل منهم الجنة وعظيم الثواب .

قالا ومنزلة الفريقين منزلة المتلاعنين فيهما فاسق لا يعمله على التميز له والتعيين إلا الله عز وجل .

وهذه مقالة مشهورة عن هذين الرجلين قد سطرها الجاحظ عنها في كتابه الموسوم (بفضيلة المعتزلة) وحكاها أصحاب المقالات عنها ولم يختلف العلماء في صحتها عن الرجلين المذكورين وانهما خرجا من الدنيا على التدين بها والاعتقاد لها بلا ارتياب .

وحكى ابن يحيى أن أبا الهذيل العلاف كان على هذا المذهب في أمير المؤمنين د ع ، وعائشة وطلحة والزبير متبعا فيه اماميه المذكورين ولم يزل عليه إلى أن مات قال شيخ المعتزلة أيضاً ومتكلميها في الفقه وأحكام الشريعة على اصولها الأصم المكفى بأبي بكر الملقب بمجرب قال أنا أقف في كل فريق من الفريقين فلا أحكم له بهدى ولا ضلال ولا أقطع على أحدهما بشيء من ذلك في التفصيل ولا الاجمال ولكني أقول أن كان علي بن أبي طالب د ع ، قصد بحرب عائشة وطلحة والزبير كف الفساد ومنع الفتنة في الأرض ودفعهم عن التغلب على الأمر والعدوان على العباد فانه مصيب مأجور ، وإن كان أراد بذلك الجبرية والاستبداد بالأمر بغير مشورة من العلماء بل ليتأمر على الناس بالقهر لهم على ذلك والأضرار فهو ضال مضل من أهل النار ؛ قال وانما قلت ذلك لحفاء الامر لي فيه واستتار النيات في معناه واشتباه أسباب الباطل فيه باستتار الحق عند العقلاء

قال وكذلك قولي في الفريق الآخر ، أقول ان عائشة وطلحة والزبير ان كانوا قصدوا بقتالهم علي بن أبي طالب دح ، وأصحابه منعه من الاستبداد بالامر من دون رضى العلماء به ، وأرادوا الطلب بدم عثمان والاقتصاص له من ظالميه برد الامر شورى ليختار المسلمون من يرون فهم بذلك هداة أبرار مستحقون للثواب وان كانوا أرادوا بذلك الدنيا والعصية والافساد في الامر وتولى الامر بغير رضى العلماء فهم بذلك ضلال مستحقون اللعنة والخلود في النار غير انه لا دليل لي على أعراضهم فيه ولا حجة تظهر في معناه من أعمالهم ولذلك وقف فيهم كما وقفت في علي وأصحابه كما بينت . وان كان طلحة والزبير أحسن حالا من علي فيما أتاه .

وقال هشام القوطي وصاحبه عباد بن سليمان الصيمري ، وهذان الرجلان من أئمة المعتزلة أيضاً ان علياً وطلحة والزبير وعائشة في جماعة من أتباع الفريقين كانوا على حق وهدى وصواب وكان الباقر من أصحابهم على ضلال وبوار وذلك ان عائشة وطلحة والزبير انما خرجوا إلى البصرة لينظروا في دم عثمان ويأخذوا بثأره من ظالميه وأرادوا بذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلبوا به وجه الله وخرج علي بن أبي طالب ليتفق معهم على الرأي والتدبير في مصالح الإسلام وأهله وكف السعي في الفتنة ومنع العامة مما ليس اليهم بل هو الى وجوه العلماء وليقع التراضي بينهم على انصاف واجتهاد في طلب الحق والاجتماع على الرأي فلما ترائى الجمعان تسرع غوغاؤهم إلى القتال فالتشتت الحرب بينهم على غير اختيار من القادة والرؤساء وخرج الامر عن ايديهم في تلافى ذلك فكان من الاتباع الفتنة وسفك الدماء ما لم يؤثره علي وطلحة والزبير وعائشة ووجوه اصحابهم من الفضلاء فهلك بذلك الانباع ونجا الرؤساء وهذا يشبه ما قدما حكايته عن بعض العامة من وجه مخالفه

من وجه آخر يميز به الرجلان من الكافة ودفعاً فيه علم الاضطراب
وجحد المعروف كاليان .

وقال باقى المعتزلة كبشر بن المعتز وأبى موسى المراد وجعفر بن
بشر والاسكافى والخياط والشحام وابن مجالد البلخى والجبانى فيمن
اتبعهم من أهل الاعتزال وجماعة الشيعة من الامامية والزيدية ، ان
أمير المؤمنين د ع ، كان محقاً فى جميع حروبه مضيئاً بقتال أهل البصرة
والشام والنهران مأجوراً على ذلك مؤدياً فرض الله تعالى عليه فى
الجهاد وان كل من خرج عليه وحاربه فى جميع المواطن ضلال عن
الهدى مستحقون بحربه والخلاف عليه النار غير أن من سميناه من المعتزلة
خاصة استثنوا عائشة وطلحة والزبير من الحكم باستحقاق العقاب وزعموا
أنهم خرجوا من ذلك الى استحقاق الثواب بالتوبة والندم على ما فرط
منهم فى القتال فحكوا بضد الظاهر من الفعال والمعلوم منهم من المقال
وضعفوا فى دعواهم عما هو صناعتهم من الحجاج وأظنهم اتقوا به من
العامية وتقرّبوا بآظهاره الى أمراء الزمان إذ لاشبهة تعترض أمثالهم من
العلماء بالاخبار والنظار المتميزين بالكلام عن أهل التقليد فى فساد هذا الاعتقاد
وخالف من سميناه من المعتزلة فى هذا الباب (الاصح) خاصة فانه زعم
ان معاوية كان إماماً محقاً لاجماع الامة عليه فيما قال بعد قتل أمير المؤمنين
على د ع ، مع تظلمه بالشك فى امامة أمير المؤمنين حسباً حكيمه فيما
سلف قبل هذا المكان وكل من سميناه منهم سوى (الاصح) مع تصويبه
علياً وتفسيق محاربيه ويقطع على معاوية وعمر بن العاص فى خلافهما
أمير المؤمنين واستحلالهما حربه بالنار وانهما خرجا من الدنيا على
الفسق الموبق لصاحبه الموجب عليه دوام العقاب وأن جميع من مات على
اعتقاد امامة معاوية وتصويبه فى قتال على د ع ، فهو عندهم ضال عن
الهدى خارج عن الإسلام مستحق الخلود فى النار وقد وافق من سميناه

من المعتزلة وكافة الشيعة الخوارج في تخطئة معوية وعمر بن العاص وتضليلهما في قتال علي .

وجماعة من المرجئة وأصحاب الحديث من المجبرة غير أن هذين الفريقين وقفا في عذابهما ولم يقطعا على دخولهما النار ورجوا لها ومحاربي علي وأصحابها من غيرهم ممن ظاهره الإسلام العفو من الله وقولهم في الخوارج كذلك مع حكمهم عليهم بالضلال .

رأي الخوارج :

وقال الخوارج : بأجمعهم أن علياً كان مصيباً في أهل البصرة وأهل الشام وانهم كانوا بقتاله ضلال كفار مستحقين الخلود في عذاب النار وادعوا مع ذلك أنه أخطأ بكفه عن قتال أهل الشام حين رفعوا المصاحف واحتالوا بذلك الكف عن قتاله وشهدوا على أنفسهم بالاثم لوفاقهم في ذلك الرأي وكفهم عن قتال البغاة إلا أنهم زعموا أنهم لما ندموا على ذلك وتابوا منه ودعوا إلى القتال خرجوا من عهدة الضلال ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الإسلام والایمان وان علياً لما لم يحبهم إلى القتال وأقام على المواعدة لمعاوية وأهل الشام كان مرتداً بذلك عن الإسلام خارجاً من الدين وشبهتهم في هذا الباب مضمحلة لا يلتبس فسادها على أهل الاعتبار وذلك أن علياً وع ، إنما كف عن قتال القوم لحذلان أصحابه في الحال ، وتركهم النصرة له وكفهم عن القتال فاضطروه بذلك إلى الإجابة لما دعوه إليه من تحكيم الكتاب ولم يجزله قتالهم من بعد ، لمكان العهد لهم في مدة الهدنة التي اضطرت إليها وحظر الفساد ، بنقض العهد في كل ملة وخاصة في ملة الإسلام .

رأي الشيعة :

واجتمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين ولكنهم لم

يخرجهم بذلك عن حكم ملة الإسلام اذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملة ولم يكفروا كفر ردة عن الشرع مع اقامتهم على الجملة منه وإظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الإسلام وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان مستحقين لعنة والخلود والنار حسبما قدمناه ، وكل من قطع على ضلال محاربي أمير المؤمنين (ع) من المعتزلة فهو يحكم عليهم بالفسق واستحقاق الخلود في النار ولا يطلق عليهم الكفر ولا يحكم عليهم بالكفر؛ والخوارج تكفر أهل البصرة وأهل الشام ويخرجونهم بكفرهم الذي اعتقدوه فيهم ووسموهم به عن ملة الإسلام ومنهم من يسمهم بالشرك ويزيد على حكمه فيهم بالكفر فهذه جمل القول فيما اختلف فيه أهل القبلة ، من احكام الفتنة بالبصرة والمقتولين بها من ذكرناه وأحكام صفين والنهر وإن وقد تحريت القول بالمحفوظ عن أرباب المذاهب المشهور عنهم عند العلماء وإن كان بعضها قد انقض معتقده ، وحصل على فساد القول به الإجماع وبعضها لم معتقد قيل لم ينقضوا إلى هذا الزمان وليس ينعقد على فساده إجماع وإن كان في بطلانه أدلة واضحة لمن تأملها من ذوى الأبواب وأنا بمشيئة الله وعونه أذكر طرفاً من الاحتجاج على كل فريق منهم خالف الحق وأثبت من الأخبار الواردة في صواب أمير المؤمنين (ع) ، وحقه في حروبه وأحكامه ، مختصراً يغني عن الاطالة بما يتيسر به الكلام وأشفع ذلك بما يتلوه ويتصل به من ذكر أسباب الفتنة بالبصرة على ما ضمنت في ذلك بأول الكتاب .

عصمة أمير المؤمنين عليه السلام :

باب صواب أمير المؤمنين (ع) ، في حروبه كلها وحقه في جميع أقواله وأفعاله والتوفيق للقر بآرائه وبطلان قول من خالف ذلك من

خصائه وأعدائه فمن ذلك وضوح الحجة على عصمة أمير المؤمنين (ع)، من الخطأ في الدين والزلل فيه والعصمة له من ذلك يتوصل إليها بضريين أحدهما الاعتبار والثاني الوثوق به من الاخبار فأما طريق الاعتبار الموصول إلى عصمته (ع)، فهو الدليل على امامته وفرض طاعته على الانام إذ الامام لا بد أن يكون معصوماً كعصمة الانبياء بأدلة كثيرة قد أثبتناها في مواضع من كتبنا المعروفة في الامامة والاجوبة عن المسائل الخاصة في هذا الباب فمن ذلك ان الأئمة قدوة في الدين وان معنى الائتنام هو الاقتداء، وقد ثبت ان حقيقة الاقتداء هو الاتباع للبقدي به فيما فعل وقال من حيث كان حجة فيه دون الاتباع لقيام الادلة على صواب ما فعل وقال بسوى ذلك من الاشياء إذ لو كان الاقتداء هو الاتباع للبقدي به من جهة حجة سواء على ذلك كان كل وفاق لذى نحلة في قول أو فعل لامن جهة قوله وفعله بل لحجة سواء اقتداء به وإتباعاً وذلك باطل لو فاقنا الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الباطل والضلال في بعض أقوالهم وأفعالهم؛ من حيث قامت الادلة على صواب ذلك فيهم لامن حيث مارأوه وقالوه وفعلوه وذلك باطل بلا ارياب ولان أحد أسباب الحاجة الى الأئمة هو جواز الخلط على الرعية وارتفاع العصمة عنها لتكون من ورائها تسدد الغالط منها وتقومه عند الاعوجاج وتنبيه عند السهو منه والاعغال ويتولى إقامة الحد عليه فيما جناه، فلم تكن الأئمة معصومون كما أثبتناه لشاركت الرعية نيساله إليها وكانت تحتاج إلى الأئمة عليها ولا تستغني عن دعاء وساسة تكون من ورائها، وذلك باطل بالاجماع على أن الأئمة أغنياء عن امام وغير ما ذكرناه من الادلة على عصمتهم كثيرة وهي موجودة في أما كتبنا من كتبنا على بيان الوجوه واستقصائها وأنها تثبت عصمة الأئمة (ع)، حسباً وصفناه وأجمعت الامة على انه لو كان بعد النبي (ص)، امام على

الفور تجب طاعته على الانام وجب القطع على أنه أمير المؤمنين على ابن أبي طالب دون غيره ممن ادعيت له الامامة في تلك الحال للاجماع على أنه لم يكن لواحد من ذكره العصمة التي أوجبناها بالنظر الصحيح لأئمة الإسلام واجماع الشيعة الامامية على دع، كان غرض صوابها من بين الانام اذ لو لم يكن الأمر كذلك لخرج الحق عن اجماع أهل الصلاة وفسد مافى العقول من وجوب العصمة لأئمة المسلمين بما ذكرناه وإذا ثبتت عصمة علي دع، من الخطأ ووجب مشاركته للرسول في معناه ومساواته فيها ثبت انه كان مصيبا في كل ما فعل وقال ووجب القطع على خطأ مخالفه وضلالهم في حيرة واستحقاقهم بذلك العقاب وهذا بين لمن تدبر والله الموفق للصواب .

دليل آخر على إمامة علي عليه السلام فيما يدل على إمامته الموجبة بالحكم بعصمة على ما قدمناه بثبوت الحاجة إلى الأدلة باتقان وفساد ثبوت الامامة من جهة الشورى والآراء . وإذا فسد ذلك وجب النص على الأئمة وفي وجوبه لثبوت إمامة علي دع، إذ الأمر بين رجلين أحدهما يوجب الامامة بالنص ويقطع على إمامة علي به ومن جهته دون ماسواها من الجهات والاخرى يمنع من ذلك ويجوزها بالرأى وإذا فسد هذا الفريق لفساد ما ذهبوا اليه من عقد الامامة بالرأى ولم يصلح خروج الحق عن أئمة الإسلام ثبتت إمامته دع، ،

التصدق في الصلاة :

عما يدل على إمامته دع، من نص القرآن قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (١) .

(١) سورة المائدة : ٥٥ ، والآية نزلت في أمير المؤمنين دع، ،

وهذا الخطاب موجه إلى جماعة جعل الله لهم أولياء اضيفوا اليهم بالذكر والله وليهم ورسوله ومن عبر عنه بأنه من الذين آمنوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وهم راكعون ، يعنى حال ركوعهم بدلالة انه لو أراد سبحانه بالخطاب جميع المكلفين لكان هو المضاف ومحال اضافة الشيء إلى نفسه وإنما يصح اضافته إلى غيره ؛ واذا لم تكن طائفة تختص بكونها أولياء لغيرها وليس لذلك الغير مثل ما اختصت به فى الولاء وتفرّد من جملتهم من عناء الله تعالى بالايمان والزكوة حال ركوعه لم يبق إلا ما ذهب اليه الشيعة فى ولاية عليّ ؑ ، على الامة من حيث الامامة له عليها وفرض الطاعة ولم يكن أحد يدعى له الزكوة فى حال ركوعه إلا عليّ ؑ ، وقد ثبتت امامته بذلك على الترتيب الذى رتبناه فصح انه مصيب فى جميع أقواله وأفعاله وتخطئة مخالفيه حسبما شرّحناه

حديث المنزلة :

دليل آخر وهو أيضاً ما أجمع عليه أهل القبلة ولم ينازع فى صحة الخبر به من أهل العلم بالرواية والآثار من قول النبي ؑ منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبى بعدى فأوجب له بذلك جميع ما كان لهرون من موسى فى المنازل إلا ما استثناء من النبوة وفى ذلك أن الله تعالى قد فرض طاعته على أمة محمد كما كان فرض طاعة هرون على

— حين تصدق بخاتمته على السائل وهو راكع فى الصلاة ولما شاهد الرسول الاعظم هذه المكرمة رفع طرفه إلى السماء وقال : ان أخى موسى سألك وقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى الآية فأنزل عليه قرآناً : سنشد عضدك بأخيك ، الآية ، اللهم انى محمد نبيك وصفيك فاشرح اللهم صدرى ويسر أمرى وأجعل لى وزيراً من أهلى علياً أخى أشدد به ظهري ؛ فنزلت الآية ، نص عليه السبط فى تذكرة —

أمة موسى وجعله إماماً لهم كما كان هرون إماماً لقوم موسى وإن هذه المنزلة واجبة له بعد مضي النبي كما كانت تجب لهرون لو بقي بعد أخيه موسى ولم يجر خروجه عنها بحال وفي ذلك ثبوت إمامة أمير المؤمنين والامامة تدل على عصمة صاحبها كما يناء فيها سلف ووصفناه والعصمة تقضى فيمن وجبت له بالصواب بالأقوال والأفعال على أثبتنا فيها تقدم من الكلام وفي ذلك بيان صواب أمير المؤمنين في حروبه كلها وأفعاله بأجمعها وأقواله بأسرها وخطأ مخالفه وضلالهم عن هداه ولأهل الخلاف من المعتزلة والحشوية والخوارج أسئلة قد أجبنا عنها في مواضعها من غير هذا الكتاب وأسقطنا شبهاتهم بدليل البرهان لم نوردنا هنا لغنا عن ذلك بثبوتها فيما سواه وإنما اقتصرنا على ذكر هذه الأدلة ووجوها وعدلتنا عن إيراد ما في معناها والمتفرع عليه عن اثبات رسم الحجاج في صواب علي (ع)، وفساد مذهب الناكثين فيه والائماء إلى أصول ذلك ليقف عليه من نظر في كتابنا هذا ويعلم العمدة بما فيه ويستوفى معانيه فإن أحب ذلك يجده في مواضعه المختصة به لنا ولغيرنا من متكلمي عصابة الحق ولأن الغرض في هذا الكتاب مالا يفتقر إلى هذه الأدلة من براهين أصابة علي (ع)، في حروبه وخطأ مخالفه ومحاربه وانا سنذكر فيما يلي هذا الفصل من الكلام وتوضيح الحجة فيه على أصول مخالفينا أيضاً في طريق الامامة وثبوتها عندهم من جهة الآراء إنكارهم ما نذهب اليه من قصور طريقها

— الخواص ص ٩ والمحجب الطبري في ذخائر العقبي ص ١٠٢ وفي الرياض النظرة (ج ٢ ص ٢٢٧) والرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٤٣١) وابن جرير الطبري في تفسيره (ج ٦ ص ١٦٥) والحازن في تفسيره (ج ١ ص ٤٩٦) ومثله البخوي في التفسير بهامشه إلى كثيرين ذكرهم العلامة الاميني في كتاب (الغدير) (ج ٢ ص ٤٨).

على النص كما قدمناه وبيناه عن الغرض فيه ووصفناه من الدليل على أن أمير المؤمنين د ع ، كان مصيباً في حروبه كلها وإن مخالفه في ذلك على ضلال ، وهو ما تظاهرت به الرواية عن النبي (ص) من قوله (حربك يا علي حربى وسلك يا علي سلى) وقوله يا علي (أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك) وهذان القولان مرويان من طريق العامة والخاصة ، والمنسبة من أصحاب الحديث إلى السنة المنتسبين منهم للشيعة ، لم يعترض أحد من العلماء الطعن على سندهما ولا ادعى إنسان من أهل المعرفة بالآثار كذب روايتهما ومن كان هذا سبيله وجب تسليمه والعمل به ، إذ لو كان باطلا لما خلت الأمة من عالم منها ينكره ويكذب روايته ، ولا سلم من طعن فيه ولعرف سبب تخمره واقعاله وأقام دليل الله على بطلانه ، وفي سلامة هذين الخبرين من جميع ما ذكرناه حجة واضحة على ثبوتها حسبما بيناه .

ومن ذلك الرواية المستفيضة عن النبي د ص ، انه قال لعلي د ع ، : (تقاتل يا علي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) (١) .

وقوله لسهيل بن عمر ومن حضر معه لخطابه على رد من أسلم من مواليهم (لتتھن بامعشر قريش ابيعث الله عليكم رجلا يضربكم على وتأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله) فقال له بعض أصحابه من هو يارسول الله ؟ هو فلان قال لا قال فلان ؟ قال لا ولكنه خاف النعل في الحجرة فنظروا فاذا به علي د ع ، في الحجرة يخصف نعل النبي ، وقوله لعلي : (تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين) والقول في هذه الرواية كالأخبار التي تقدمت ، قد سلمت من طاعن في سندهما بحجة ومن قيام دليل على بطلان ثبوتها وسلم لروايتها الفريقان فدل على صحتها .

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٣ ص ٣٣) .

ومن ذلك قوله « ص » : (على مع الحق والحق مع على) (١) .
 وقوله « ص » ، (اللهم أدر الحق مع على حيث ما دار) (٢) .
 وهذا أيضاً خبر قد رواه محدثوا العامة وأثبتوه في الصحيح عندهم
 ولم يعترض أحدهم لتعليل سنده ، ولا أقدم منهم مقدم على تكذيب
 ناقله وليس توجد حجة في العقل ولا السمع على فساده فوجب
 الاعتقاد بصحته وصوابه .

ومن ذلك قوله « ص » ، (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
 من نصره واخذك من خذله) وهذا في الرواية أشهر من أن يحتاج
 معه إلى جمع السند له وهو أيضاً مسلم عند نقلة الأخبار وقوله (ص) :
 (فإنا لله من فأنك وعادى الله من عاداك) والخبر بذلك مشهور وعند
 أهل الرواية معروف مذكور .

ومن ذلك قوله (ص) من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد
 آذى الله (فحكم أن الآذى له آذى الله والآذى لله جل اسمه ضلال
 مخرج عن الإيمان .

قال الله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
 والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) . وأمثال ما أثبتناه من هذه الأخبار
 في معانيها الدالة على صواب على (ع) وخطأ مخالفه كثيرة أن عملنا
 على إيراد جميعها طال به الكتاب وانتشر الخطاب ، وفيما أثبتناه منه
 دليلاً للحق منه كفاية في الغرض الذي نأمله انشاء الله .

-
- (١) تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٣٢١) ومستدرك الحاكم (ج ٣
 ص ١١٩) والذخيرة للذهبي بهامشه .
 (٢) مستدرك الحاكم النيسابوري (ج ٣ ص ١٢٤) .

(فصل وسؤال) فان قال قائل انكم ان كنتم قد اعتمدتم على هذه الاخبار في عصمة علي . د ع ، وهي آحاد ليست من المتواترة الذي يمنع على قائلية الاعتقال فما الفضل بينكم وبين خصومكم فيما يتعلقون به من أمثالها عن النبي . د ص ، في فضل فلان وفلان ومعاوية بن أبي سفيان ؟ (الجواب) قيل له : الاخبار التي يتعلق بها أهل الخلاف في دعوى فضائل من سميت على ضربين : أحدهما لا تنكر صحته وان خصومنا منفردين بنقله إذ ليس فينا مشارك لهم في شيء منه كما شاركنا الخصوم في نقل ما أثبتناه من فضائل علي . د ع ، إلا أنهم يغلطون في دعوى التفضيل لهم به على ما يتحيلون في معناه والآخر مقطوع بفساده عندنا بأدلة واضحة لا تخفى على أهل الاعتبار وليست بما تساوى أخبارنا التي قد منها لقطعنا على بطلان ما يقرؤا به من ذلك طعننا في روايتها واستدللنا على فسادها وأجمع مخالفونا على رواية ما رويناها بما قد بيناه وتسلیمه وتخليدهم صحفهم كما ذكرناه وعدوهم عن الطعن في شيء منه حسبما وصفناه وان كان هذا سبيله ليس يكون الأمر فيه كذلك الا لا اعتقاد القوم وتسخيرهم لنقله والتسليم لروايته إذ كانت العادة جارية بأن كل شيء يتعلق به في حجاج مخالفيه ونصرة مذهبه والمنفرد به دون خصمه وكان في الاقرار به شبهة على صحة مقالته المباین لمقال مخالفيه ، فانه لا يخلو من دافع له وجاحد وطاعن فيما يروم به ابطاله إلا أن لا تلزم الحجة في صوابه وأن يكون ملطوقاً له في اعتقاده ، أو مسخراً للاقرار به حجة الله تعالى في صحته ودليلاً على ثبوته وبرهانه منه على نصرته والمحتج به وتبديل الحق فيه بلطف من لطائفه وإذا كان الأمر في هذا الباب على ما بيناه وثبت تسليم

الفريقين لآخبارنا مع اختلافهم في الإعتقاد على ما ذكرناه ، وصح
الاختلاف بيننا وبين خصومنا في الاحتجاج بالآخبار وبراهينها حسبما
اعتمدنا سقط توهم المخالف لما يحيله من المساوات بين الأمرين .

إنكار الخوارج والاموية فضل علي :

فان عارض الخوارج وقالوا هم يدفعون ما آتيتموه من الآخبار الدالة
على عصيته وذكروا الاموية ، وما يعرف من ضلالهم وظاهر أمرهم
في جحد ما روياه قلنا حكمهم في جحد آخبارنا حكمهم في جحد
آخباركم سواء . وإلا فافضل بين الأمرين فانه يقال لهم الفضل بيننا
وبين من عارضتم به من الخوارج في دفع النقل ظاهر لنوى . الاعتبار
وذلك لان الخوارج ليسوا من أهل النقل والرواية ولا يعرفون حفظ
الآثار ولا الاعتماد على الآخبار لا كفارهم الامة جميعا وانهم كل فريق
منهم فيما يروونه واعتمادهم لذلك على ظاهر القرآن وانكارهم ما خرج
عنه القرآن من جميع الفرائض والاحكام ومن كان هذا طريقة دينه
وسيله في اعتقاده ومذهبه في النقل والآخبار ولم يعتقد بخلافه فيها
على حال .

فاما الاموية والعثمانية فسبب جحودهم لفضائل علي د ع ، معروف
وهو الحرص لولتهم والعصية للو كهم وجابرتهن وهم كالخوارج في
سقوط الاعتراض بهم فيما طريقه النقل ابعدهم عن عمله وتأنيهن عن فهمه
واطراحهم للعمل به وقد انقضوا مع ذلك بحمد الله ومنه حتى لم
يبق منهم أحد ينسب إلى فضل علي ولا منهم من يذكر في جملة العلباء
بخلافه في شيء . من الاحكام فسقط الاعتراض بهم كسقوط الاعتراض
بالمارقة فيما تعتمد فيه من الآخبار مع أن الخوارج متى تعاطت الطعن في
آخبارنا التي أثبتناها في الحجة على عصمة أمير المؤمنين د ع ، فإنما

يقطعونها بالطعن روايتها في دينها المخالف كما تدين به من اكفار
 علي « د ع ، عثمان وطلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر ومن تولى
 واحداً منهم واعتقد انه من الإسلام وذلك طعن يعم جميع قلة الدين
 من الملة فسقط لذلك قدحهم في الأخبار وليس كذلك طعوننا في نقل
 ما تفردت به الناصبة في الحديث لاننا لا طعن في رواية إلا لكذبهم فيه
 وقيام الحجة على بطلان معانيه دون الطعن في عقايدهم وان كانت عندنا
 فاسدة فوضح الفرق بيننا وبين من عارضنا في الخصومة برأيه في الاخبار
 على ما شرحناه .

جواز قتل الناكثين :

باب آخر الكلام في صواب أمير المؤمنين وحروبه وخطأ مخالفيه
 ضلالهم عن الحق في الشك فيه : قد بينا أن الحكم على محاربي أمير
 المؤمنين « د ع ، باضلال والقضاء له في حربهم بالصواب اذا بنى القول
 فيه على امامته المنصوصة وعصمته الواجبة له بما قدمناه ثبت القطع على
 حقيقة كل ما فعل وقال واذا صحت الأخبار اثبتناها فيما قبل هذا
 المكان ومضمونها من حكم النبي « د ص ، على محاربيه بالفسق المخرج عن
 الايمان لم يكن طريق إلى الشك في صوابه وخطأ مخالفيه على ما بيناه
 وفيما أسلفناه في ذلك مقتنع لذوي الالباب وغنى لهم في الحجة على خصومهم
 فيما سواه ونحن نبين القول فيه أيضاً بعد الذي تقدم في معناه على مذاهب
 خصومنا في الأئمة وثبوت البعيد لهم من ذوى الرأي حسب اختلافهم
 في عدديتهم به العقد واجتماعهم على ما اتفقوا عليه في هذا الباب ليعلم
 الناظر في كتابنا هذا قوة الحق وتمكن ناصر به من الاحتجاج له والله
 الموفق للصواب .

البيعة لأمر المؤمنين بعد عثمان :

(فصل) قد ثبت بتواتر الاخبار ومظاهر الحديث والآثار أن أمير المؤمنين دُع، كان منزلاً للفتنة بقتل عثمان وأنه بعد عن منزله في المدينة (١) لئلا يتطرق عليه الظنون برغبته في البيعة بالامر على الناس وإن الصحابة لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوه وبحثوا عن مكانه حتى وجدوه فصاروا اليه وسألوه القيام بأمر الأمة وشكوا اليه ما يخافونه من فساد الأمة فكره اجابتهم إلى ذلك على الفور وبدأ لعله بعاقبة الامور وإفدام القوم على الخلاف عليه والمظاهرة له بالعداوة له والشنآن فلم يمنعهما باؤه من الاجابة عن الالحاح فيما دعوه اليه ذكره بالله عز وجل وقالوا له انه لا يصلح لإمامة المسلمين سواك ولا نجد أحداً يقوم بهذا الامر غيرك فائق الله في الدين وكافة المسلمين فامتنعهم عند ذلك ، ذكر من نكث بيعته بعد أن أعطاها بيده على الإيثار وإماماً لهم إلى مبايعة أحد الرجلين ، وضمن النصرة لها متى أرادوا اصلاح الدين وحياطة الإسلام فأبى القوم عليه تأمير من سواه والبيعة لمن عاداه وبلغ ذلك طلحة والزبير فصارا اليه راغبين في بيعته منتظرين للرضا بتقدمه عليهما وإمامته عليهما فامتنع فألحا عليه في قبول بيعتهما له ، وانفقت الجماعة كلها على الرضا به وترك العدول عنه إلى سواه ، وقالوا أن تجنبا إلى مادعوناك اليه من تقليد الامر وقبول البيعة وإلا انفتق في الإسلام

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ ص ١٥٤) حصر عثمان وعلى بخير وفي شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ ص ٤٠٠) كتب عثمان إلى علي فان كنت مأكولاً فكأن خير أكل وإلا فأدركني ولما امرق وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٨) مثله .

مالا يمكن رتقه وانصدع في الدين مالا يستطيع شعبه فلما سمع ذلك منهم
 بعد الذي ذكرناه من الاباء عليهم والامتناع لتأكيد الحجة لنفسه بسط
 يده لبيعتهم قنذا كوا عليه تذاك الابل على حياضها يوم ورودها حتى
 شقوا أعطافه ووطؤا ابنه الحسن والحسين بأرجلهم لشدة ازدحامهم
 عليه وحرصهم على البيعة له والصفقة بها على يده رغبة بتقديمه على
 كافتهم وتوليته أمر جماعتهم لا يجدون عنه معدلا ولا يخطر ببالهم سواء
 لهم موثلاقتت بيعة المهاجرين والبدرين والانصار العقبيين المجاهدين
 في الدين والسابقين إلى الإسلام من المؤمنين وأهل البلاء الحسن مع
 النبي «ص» من الخيرة البررة الصالحين ولم تكن بيعته «ع» مقصورة
 على واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوها في العدد كما كانت بيعة أبي بكر
 مقصورة عن بعض أصحابه على بشر بن سعد فتست بها عنده ثم اتبعه
 عليها من تابعه عليها من الناس وقال بعضهم بل تمت ببشر بن سعد وعمر
 ابن الخطاب وقال بعضهم بل تمت بالرجلين المذكورين وأبي عبيدة بن
 الجراح وسالم مولى أبي حذيفة واعتمدوا ذلك في أن البيعة لا تتم بأقل
 من أربعة نفر من المسلمين ، وقال بعضهم بل تمت بخمسة نفر : قيس
 ابن سعد واسيد بن خضير من الانصار وعمر وأبو عبيدة وسالم من
 المهاجرين ثم تابعهم الناس بعدها بالخمسة المذكورين ومن ذهب إلى هذا
 المذهب الجبائي وأبيه والبقية من أضحا بهما في هذا الزمان .

وقالوا في بيعة عمر بن الخطاب مثل ذلك فزعم من يذهب الآن
 البيعة تتم بواحد من الناس وهم جماعة من المتكلمين منهم الخياط والبلخي
 وابن مجالد ومن ذهب مذهبهم من أصحاب الاختيار أن الإمامة تمت
 لعمر بأبي بكر وحده وعقد له إياها دون من سواه .

وكذلك قالوا في عثمان بن عفان والعقد له انه تم بعبد الرحمن بن
 عوف خاصة وخالفهم على ذلك من أضاف إلى المذكورين غيرهما في العقد

وزعم أن بيعة عمر انقردت من الاختيار له عن الامام وعثمان انما تم له الامر ببيعة بقية أهل الشورى وهم خمسة نفر ، أحدهم عبد الرحمن فاعترفت الجماعة من مخالفينا بما هو حجة عليهم في الخلاف على أئمتهم وبشذوذ العاقلين لهم وانحصار عددهم بمن ذكرناه .

وثبتت البيعة لأمير المؤمنين د ع ، باجماع من حوته مدينة الرسول من المهاجرين والانصار وأهل بيعة الرضوان ومن انضاف اليهم من أهل مصر والعراق في تلك الحال من الصحابة والتابعين باحسان ولم يدع أحد من الناس انه تمت له بواحد مذكور ولا انسان مشهور ولا بعدد يحصى محصور فيقال تمت بيعة بفلان واحد وفلان وفلان كما قيل في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان .

واذا ثبت بالاجماع من وجوه المسلمين وأفاضل المؤمنين والانصار والمهاجرين على إمامة أمير المؤمنين د ع ، والبيعة له على الطوع والايثار وكان المقعد على الوجه الذي ثبت به إمامة الثلاثة قبله عند الخصوم بالاختيار وعلى أوكدمه بما ذكرناه في الرغبة اليه في ذلك والاجماع عليه ممن سميناه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان حسبما بيناه ثبت فرض طاعته وحرم على كل أحد من الخلق التعرض لخلافه ومعصيته ووضع الحق في الحكم على مخالفه ومحاربه بالضلal عن هدايته والقضاء بباطل مخالفة أمره وفسقه بالخروج عن طاعته لما أوجب الله تعالى من طاعة أولياء أمره في محكم كتابه حيث يقول : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فقرر طاعة الأئمة بطاعته ودل على أن المعصية لهم كمعصيته على حد سواء في حكمه وقضيته وأجمع أهل القبلية مع من ذكرناه على فسق عاربي أئمة العدل والجور بما يرتكبونه من حكم السمع والعقل وإذا لم يكن أمير المؤمنين د ع ، أحدث بعد البيعة العامة له يخرج عن العدالة

ولا كان قبلها على الظاهر بخيانة في الدين ولا خرج عن الإمامة كان المارق عن طاعته ضالاً فكيف إذا أضاف له بذلك حرباً واستحلالاً لدمه ودماء المسلمين معه . وينفى بذلك في الأرض فساداً يوجب عليه التنكيل بأنواع العقاب ، المذكور في نص من قوله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) (١) .

هذا بين أن لم يحجب الهوى ويبعد عن فهمه العمى والله نسأل التوفيق .

تأخر سعد واسامة عن حرب البصرة :

(فصل وسؤال) فان قال قائل كيف تم لكم دعوى الاجماع علىبيعة أمير المؤمنين د ع ، وقد علمت ان الاخبار قد ثبتت بتخلف سعد بن

(١) ذكر أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري - الأندلسي المتوفى سنة ٤٤٢ هـ في (أحكام القرآن) ج ٢ - ص ٢٢٤ أن علياً د ع ، كان إماماً لأنهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لأنه كان أحق الناس بالبيعة قبلها حوطة على الأمة وان لانسفك دماءها بالتهارج ويتخرق الأمر وربما تغير الدين وانقض عمود الإسلام وطلب أهل الشام منه التمكن من قتلة عثمان فقال لهم علي د ع ، ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه وكان علي د ع ، أسد هم رأياً وأصوب قولاً لأنه لو تعاطى القود لتصبحت لهم قبائلهم فتكون حرباً ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء ولا خلاف بين الأمة انه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشيت الكلمة .

وحينئذ فكل من خرج على علي د ع ، باغ وقتال الباغي واجب حتى ينيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح وأن قتاله لأهل الشام الذين -

أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، واسامة بن زيد ؛ ومحمد بن مسلمة ؛ ومظاهرتهم له بالخلاف فيما راقبه بالقتال .

(الجواب) : قيل له أما تأخر من سميت عن الخروج مع أمير المؤمنين «ع» ، إلى البصرة فمشهور ورأيهم في القعود عن القتال معه ظاهر معروف وليس ذلك بمناف لبيعتهم له على الايثار ولا مضاد للتسليم لإمامته على الاختيار والذي ادعى عليه الامتناع في البيعة وأشكل عليه الأمر فظن انهم لو تأخروا عن نصرته كان ذلك منهم لامتناعهم عن بيعته ، وليس الأمر كما توهموا إلا أنه قد يعرض للانسان شك فيما يثقن سلطانه في صوابه ، ولا يرى لسلطان حمله على ما هو شك فيه لضرب من الرأي يقتضيه الحال في صواب التدبير وقد يعتقد الانسان أيضاً صواب غيره في شيء يحمله الهوى على خلافه فيظهر فيما صار اليه من ذلك شبهة تعذر عند كثير من الناس فعالة وليس كل من اعتقد طاعة إمامه كان مضطراً إلى وفاؤه بل قد يجمع الاعتقاد لحق الرئيس

— أبو الدخول في البيعة وأهل الجبل والنهر وان الذين خلعوا بيعته حق وكان حق الجميع أن يصلوا اليه ويجلسوا بين يديه ويطلبوه بما رأوا فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة فتناولهم قوله تعالى :
(قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) .

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم مشاركته له فقال سغد راداً عليه لقد ندمت على تأخري عن قتال الفئة الباغية يعني بها معاوية ومن تابعه اهـ .

وفي أحكام القرآن للجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ (ج ٣ ص ٤٩٢)
أن علياً كان محقاً في قتاله الفئة الباغية لم يخالف فيه أحد .

وفي (روح المعاني) للالوسي (ج ٢٦ - ص ١٥١) عن الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر انه قال ما وجدت في نفسي من شيء —

المقدم في الدين مع العصيان له في بعض أوامره ونواهيه ولولا أن ذلك كذلك لما عصى الله من يعرفه ولا خالف نبيه «ص»، من يؤمن به وليس هذا من مذاهب خصومك في الإمامة فتوضح عنه بما يكسر شبهة مدعيه على أن الاخبار قد وردت باذعان القوم بالبيعة مع اقامتهم على ترك المساعدة والنصرة وما تضمنت ذكر أعذارهم زعموها في ذلك وجاءت بما كان من أمير المؤمنين فيما أظهره وإنكاره له بحسب ما اقتضته الحال في مثله من الخطأ فيما ارتكبه .

فروى أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه الذي صنفه في حرب البصرة عن أصحابه ، وروى غيره من أمثاله الرواة للسيرة عن سلفهم أصحاب أمير المؤمنين «ع» ، لما هم بالمسير الى البصرة بلغه عن سعد ابن أبي وقاص وابن مسلمة واسامة بن زيد وابن عمر ثاقلم عنه فبعث اليهم فلما حضروا قال لهم قد بلغني عنكم هنات كرهتها وأنا لا أكرهكم على المسير معي على بيعتي : قالوا بلى ، قال فما الذي يقعدكم عن صحبتي ؟ فقال له سعد إني أكره الخروج في هذا الحرب فأصيب مؤمناً فإن أعطيني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك .

وقال له اسامة أنت أعز الخلق علي ولكنني عاهدت الله أن لا أقاتل أهل لا إله إلا الله ، وكان اسامة قد أهوى برمحه في عهد رسول الله إلى رجل في الحرب من المشركين يخافه الرجل فقال لا إله إلا الله فتجرح

— ما وجدت في نفسي من هذه الآية وهي قوله تعالى : فقاتلوا التي تبغي الخ حيث أتى لم أقاتل الفئة الباغية يعني معاوية ومن معه من الباغيين على علي «ع» اهـ ، ولم يتعقبه الالوسي بشيء .

ثم ذكر الالوسي عن بعض الحنابلة التصريح بوجوب قتال الباغيين احتجاجاً بأن علياً «ع» ، اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغيين دون الجهاد فهو إذاً أفضل من الجهاد .

بالرمح فقتله فبلغ النبي « ص » خبره فقال يا اسامة أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله ؟ فقال يا رسول الله إنما قالها تعوذاً ، فقال له ألا شفقت عن قتله فرغم اسامة أن النبي « ص » أمره أن يقاتل بالسيف من قاتل المشركين فإذا قوتل به المسلمون ضرب بسيفه الحجر فكسره .
وقال عبد الله بن عمر لست أعرف في هذه الحرب شيئاً أسألك أن لاتحملني على ما لا أعرف .

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام ليس كل مفتون معاتب السم على بيعتى قالوا بلى قال انصرفوا فسيغنيى الله عنكم فاعترفوا له « د » ، بالبيعة وأقاموا في تأخرهم عند عنداً لم يقبله منهم وأخبر أنهم بتركهم الجهاد مفتون ولم ير الإنكار عليهم في الحال بأكثر مما أبداه من ذكر المهم عن الصواب في خلافته والشهادة بفتنتهم بترك وفاقهم له .

ولأن الدلائل الظاهرة على حقه « د » ، تغني عن حاجتهم بالكلام ومعرفة بباطن أمرهم الذي أظهروا خلافه في الاعتذار يسقط عن فرض التنبيه الذي محتاج إليه أهل الرقعة عن البيان وقد قال الله عز وجل في تأكيد ما ذكرناه وحجة على ما وصفناه (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .)

وقد ذكر بعض العلماء أن الأسباب في تأخر القوم عن نصره أمير المؤمنين « د » ، بعد البيعة له معروفة وأن الذي أظهره من الاعتذار في خلافه خداع منهم وتمويه وستر على أنفسهم ما استبطنوه منه خوفاً من الفضيحة فيه ، فقال أما سعد بن مالك فسبب قعوده عن نصره أمير المؤمنين « د » ، الحسد له والطمع كان منه في مقامه الذي يرجوه فلما خاب من أمله جملة الحسد على خذلانه والمباينة له في الرأي قال والذي أفسد سعداً طمعه فيما ليس له بأهل وجرأة على مسامات أمير المؤمنين بادخال عمر بن الخطاب إياه في الشورى وتأهيله إياه للخلافة وإيهامه

لذلك انه محل الإمامة فقدم عليه وأفسد حاله في الدنيا والدين حتى خرج منها صغراً مما كان يرتجيه .

وأما اسامة بن زيد فان النبي « ص » كان ولده في مرضه الذي توفي فيه على أني بكر وعمر وعثمان فلما مضى رسول الله لسيله انصرف القوم عن معسكره وخدعوه بتسميته مدة حياتهم له بالأمره مع تقدمهم عليه في الخلافة وصانعوه بذلك بما خالفوه فيه من السمع له والسير معه والطاعة واغتر بخداعهم وقبل منهم مصانعتهم وكان يعلم ان أمير المؤمنين لا يسمع له بالخداع ولا يصانعه مصانعة القوم ويحذر من التسمية التي جعلوها له ولا يرفع عن منزلته ويسير به سيرته في عبيده وموالي نعمته إذ كان ولاته له بالعق الذي كان من انزاعه التي « ص » لآييه بعد استرقاقه فصار كذلك بعد النبي « ص » غير انه منه في الولاء فكره الانحطاط عن رتبته التي رتبها القوم فيه ولم يجد إلى التخلص من ذلك إلا بكفر النعمة والمباينة لسيده والخلاف لمولاه فحمل نفسه على ذلك لما ذكرناه .

وأما محمد بن مسلمة فانه كان صديق عثمان بن عفان وخاصته وبطائه فحملته المعصية له على معاونة الطالبين بثاره وكرهه أن يتظاهر في الكون في حيز المحاربين لهم المباينين طريقهم ولم ير بمقتضى الحال معاونة أعدائهم ولا سمحت نفسه بذلك فأظهر من العذر بتأخره عن نصرة أمير المؤمنين بخلاف باطنه منه بما كرهه وستراً لقيح سريرته .

وأما عبد الله بن عمر فانه كان ضعيف العقل كثير الجهل ماقثاً لايمير المؤمنين ورائه الخلف عن السلف ما يرثونه من المودة والعداوة وكان أمير المؤمنين « ع » مع ذلك قد شجاء بهدردم أخيه عبيد الله لقتله الهرمزان وأجلاه عن المدينة وشرده في البلاد لا يأمن على نفسه من الظفر به فيسقط قوداً فلم تسمع نفسه بطاعة أمير المؤمنين « ع » ولا

أمكنه المقت من الانقياد له لنصرته وتجاهل ما أبداه من الخيرة في قتال البغاة والشك في لمسه ذلك وحجته .

روى هذا الكلام بعينه عن أمير المؤمنين في أسباب تأخر القوم عنه فإن صحت الرواية بذلك فهو أوكد بحجته وإن لم تثبت كفى في برهانه أن قائله ليس من أهل العلم له صحة فكر وصفاء فطنة .

على أنا لو سلطنا لخصومنا ما ادعوه من امتناع سعد وابن مسله واسامة وابن عمر من بيعة أمير المؤمنين وكراهتهم لها باعتزالهم إياها وأضفنا اليهم في ذلك أمثالهم ممن ظاهر عليه بالعداوة كزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ومروان بن الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن الزبير وولد عثمان بن عفان وجماعة ممن كان معهم في الدار يوم الحصار بنى أمية المعروفين بمقت بنى هاشم وعداوتهم والمباينة لهم في الجاهلية والإسلام بالآلاف لما قدح فيما اعتمدنا من دليل لإمامته «ع» الذي بينا القول فيه على مذاهب الخصوم من الحشوية والمرجئة والخوارج وأهل الاعتزال وقاعدتهم في ثبوت البيعة بالاختيار من أهل الرأي إذ كنا لم نعتمد في ذلك على إجماع كافة أهل الإسلام وإنما اعتمدنا ما ثبت به العقل على أمور القوم في بيعة أهل الفضل منهم والاجتهاد واستظهرنا في التأكيد لذلك بذكر إجماع المهاجرين الأولين وعميون الأنصار وفضلاء المسلمين ممن حوته المدينة يومئذ والتابعين بأحسان والخيرة الصالحين من أهل الحجاز والعراق ومصر وغيرها من البلاد والذين كانوا حاضرين بالمدينة يومئذ بأجمعهم سوى من يعتصم بخلافة الخصوم محصور عددهم لقتلهم رضوا بإمامة أمير المؤمنين «ع» ورغبوا في تولي الأمر وسألوه ورأوا أن لا يستحق له سواء وتابعوه على الطوع منهم والايثار وبذلوا نفوسهم من بعد البيعة معه في جهاد أعدائه واعتقدوا أن التأخر عن طاعته في قتال أعدائه ضلال موبق وفسق مخرج عن

الايمان والبيعة عند مخالفينا تم ببعض من ذكرناه إذ كانوا خمسة نفر على قول فريق منهم أو أربعة على قول آخرين أو اثنين على مذهب فريق آخر بل تتم عند أكثرهم بواحد حسبما ذكرناه فكيف يحل مع ذلك بدليلنا الذى ذكرناه فى إمامته وع، خلاف النفر الذين تعلق بذكرهم فى القعود عن القتال من تعلق أو بما ظهر بعد البيعة من خلاف مرتكبها . ومباينة معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص بعد الذى كان من مراسلتها أمير المؤمنين وع، بالبيعة والطاعة بشرط أقرارها على ما ولاها عليه عثمان من الاعمال فلما أبى ذلك خوفاً من الله تعالى ظاهروا عليه بالخلاف وان خصومنا جهال أغمار لا معرفة لهم بوجوه النظر ولا علم لهم بالاخبار .

ونحن نذكر الآن جملة من بايع أمير المؤمنين وع، الراضين بامامته الباذلين لانفسهم فى طاعته بعد الذى أجملناه من الخبر عنهم من يعترف المنصف بوقوفه على أسمائهم تحقيق ما وصفناه عن عنايتهم فى الدين وتقدمهم فى الإسلام ومكانتهم من نبي الهدى وان الواحد منهم لو ولى العقد لامام لانعقد الامر به اصة عند خصومنا فضلا عن جماعتهم وعلى مذهبهم فيما يدعونه من ثبوت الإمامة بالاختيار وآراء الرجال وتضمحل بذلك عنده شبهات الاموية فيما راموه من القدح فى دليلنا بما ذكروه من خلاف من سموه حسبما قدمنا ومن بايع أمير المؤمنين بغير ارياب ودان بامامته على الاجماع والاتفاق ، واعتقد فرض طاعته والتحريم لخلافه ومعصيته والحاضرون معه فى حرب البصرة الف وخمسةائة رجل من وجوه المهاجرين الاولين والسابقين إلى الإسلام والانصار البدرين العقيبين وأهل بيعة الرضوان من جملتهم سبعائة من المهاجرين وثمانمائة من الانصار سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم وغيرهم من بطون العرب والتابعين باحسان على ما جاء به الثبت من الاخبار .

فن جملة المهاجرين عمار بن ياسر صاحب رسول الله ﷺ ، وحييه وأخص الأصحاب كان به والثقة قبل البعثة وبعدها وأنصر الناس له وأشدهم اجتهاداً في طاعته المعذب في الله أبوه وامه في أول الإسلام الذي لم يكن لأحد من الصحابة في المحبة ما كان له ولا نال أحد منهم في الدين من المكروه والصبر على الإسلام كما ناله ، لم تأخذه في الله لومة لائم ، مقيم مع شدة البلاء على الإيمان الذي اختص من رسول الله ﷺ بمدح لم يسبقه فيها سواه من الصحابة كلها ، مع شهادته له بالجنة مع القطع والبيان لآثاره من قتله والتبشير لقاتله بالنار على ما اتفق عليه أهل النقل من حملة الآثار فمن ذلك قول رسول الله ﷺ ، ان الجنة لتشتاق إلى عمار فانها اليه أشوق منه إليها ، وقوله بشر قاتل عمار وسالبه بالنار ، وقوله ﷺ ، عمار جلدة بين عيني وأني ، وقوله لا تؤذوني في عمار ، وقوله عمار ملأ إيماناً وعلماً ، في أمثال ذلك من المدائح والتعظيمات التي اختص بها على ما ذكرناه .

ثم الحصين بن الحرث بن عبد المطلب والطفيل بن الحرث المهاجران البديان ومسطح بن أثانة وحجار بن سعد الغفاري وعبد الرحمن بن جميل الجمحي وعبد الله ومحمد ابنا بديل الخزاعي والحرث بن عوف وأبو عابد الليثي والبراء بن عازب وزيد بن صوحان ويزيد بن نيرة الذي شهد له رسول الله ﷺ ، بالجنة وهاشم بن عتبة المر قال وبريدة الأسلمي وعمر بن الحق الخزاعي وهجرته إلى الله ورسوله معروفة ومكانه منه مشهور ومدحه له مذكور والحرث بن سراق وأبو أسيد ابن ربيعة ومسعود بن أبي عمر وعبد الله بن عقيل وعمر بن حصن وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر ومن في عدادهم من أدرك عصر النبى .

كحجر بن عدى الكندى وشداد بن أوس في نظر أنهما من الأصحاب
وأمثال من تقدم ذكره من المهاجرين على طبقاتهم في التقى ومراتبهم
في الدين من يطول تعداد ذكره والكلام فيه .

بيعة الأنصار :

ومن الأنصار أبو أيوب وخالد بن زيد صاحباً رسول الله «ص»،
وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين وأبى الهيثم بن التيهان وأبو سعيد
الخدري وعبادة ابن الصامت وسهل وعثمان ابنا حنيف وأبو عباس
الزرقى فارس رسول الله «ص»، يوم احد وزيد بن أرقم وسعد وقيس
ابن سعد بن عبادة وجابر بن عبد الله بن حزام ومسعود بن أسلم وعامر
ابن أجبل وسهل بن سعيد والنعمان بن حجلان وسعد بن زياد ورفاعة
أبن سعد ومخلد وخالد ابني أبي خلف وضرار بن الصامت ومسعود بن
قيس وعمر بن بلال وعمار بن أوس ومرة الساعدي ورفاعة بن مالك
الزرقى وجبله بن عمرو الساعدي وعمر بن حزم وسهل بن سعد
الساعدي في أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين وصلوا القبلين
واختصوا من مداخل القرآن والثناء عليهم من نبي الهدى عليه وآله
السلام مما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان ومن لو أنبتنا أسماءهم لطال
بها الكتاب ولم يحتمل استيفاء العدد الذى حددناه .

بيعة الهاشميين :

ومن بنى هاشم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي
ومختلف الملائكة الحسن والحسين سبطا الرحمة وسيدا شباب أهل
الجنة عليهما السلام ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر ومحمد وعون ابنا
جعفر الطيار وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله

والفضل وثم وعبيد الله بنو العباس وعبد الله بن أبي لهب وعبد الله
ابن الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن
عبد المطلب وكافة بني هاشم وبني عبد المطلب .

بيعة باقي الشيعة :

ومن يلحق منهم بالذكر من أوليائهم وعليه شيعتهم وأهل الفضل
في الدين والإيمان والعلم والفقه والقرآن المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة
والجهاد والتسك بحقائق الإيمان : محمد بن أبي بكر ربيب أمير المؤمنين
وحبيبه ومحمد بن أبي حذيفة وإليه وخاصته المستشهد في طاعته ومالك
ابن الحرث الأشتر النخعي سيفه ، المخلص في ولايته وثابت بن قيس
النخعي وكيل بن زياد وصعصعة بن صوحان العبدى وعمر بن زارة
النخعي وعبد الله بن أرقم وزيد بن الملق ومليمان بن صرد الخزاعي
وقيصة وجابر وعبد الله ومحمد بن بديل الخزاعي وعبد الرحمن بن
عديس السلولى وأويس القرنى وهند الجلي وجندب الأزدي والأشعث
ابن سوار وحكيم بن جبلة ورشيد الهجرى ومعمل بن قيس بن
حنظلة وسويد بن الحارث وسعد بن مبشر وعبد الله بن وال ومالك
ابن ضمرة والحارث الهمداني وحبة بن جوية العرقى ممن كانوا بالمدينة
عند قتل عثمان وأطبقوا على الرضا بأمر المؤمنين د ع ، فبايعوه على حرب
من حارب وسلم من سالم وأن لا يولوا في نصرته الأديار وحضروا
مشاهده كلها لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضى الشهيد منهم على نصرته
وبقى المتأخر منهم على حجته حتى مضى أمير المؤمنين د ع ، لسيله وكان
من بقى منهم بعده على ولايته والاعتقاد بفضله على الكافة بإمامته وإذا
كان الأمر في بيعته حسب ما ذكرناه واجماع من سمعناه ونعتناه على
الرضا به والطاعة له والاعتقاد كما وصفناه بطل اعتراض المعارض في

ثبوت إمامته بتأخر من سميناه من البيعة وتفردهم عن الحرب معه ووضح
 حصر عددهم وقلت ان الاجماع كان من كافة أهل الهجرة عليه إذ لو
 كان هناك سوى نفر المعدودين في خلاف أمير المؤمنين «ع»، اشركهم
 في الرأي وذكرهم الناس في جملتهم وأحصوهم في عددهم وألحقوهم بهم
 فيما انفردوا به من جماعتهم ولم يكن لغيرهم ذكر في ذلك فصح ما حكيناه
 من اتفاق المهاجرين والانصار وأهل بئر وأهل بيعة الرضوان
 والتابعين باحسان على إمامته كما قدمناه فيما سلف وذكرناه والمثله لله .

الاجبار في البيعة :

فان قال قائل قد وجدتمكم فيما احتججتم به على مخالفيكم في إمامة
 علي «ع»، وثبوتها الموجب لضلال مخالفيه وخروجهم بحربه عن الإيمان
 عقد الصحابة على الاختيار ورغبتهم اليه في تولي امورهم ومسائلته في
 ذلك وإبائوه له حتى اجتمع المسلمون والالحاح من بايعه طوعاً من
 المهاجرين والانصار وقد جاءت الاخبار بضد ذلك وانه كان قاهراً
 للامة مجبراً لها على البيعة مكرهاً في ذلك الناس . فروى الواقدي عن
 هاشم بن عاصم عن المنذر بن الجهم قال سألت عبد الله بن تغلبة كيف
 كانت بيعة علي عليه السلام قال رأيت بيعة رأسها الاشر يقول من لم
 يبايع ضربت عنقه وحكيم بن جيلة وذووهما ماظنك بما يكون أجبر
 فيه جبراً ثم قال أشهد لرأيت الناس يحشرون بيعته فيتفرقون فيؤثي بهم
 فيضربون ويعسفون فبايع من بايع وانفلك من انفلك ، وروى أيضاً
 عن سعيد بن المسيب قال لقيت سعد بن زيد بن نفيل فقلت بايعت ؟
 فقال ما أصنع لأن لم أفعل قتلني الاشر وذووه قال وقد عرف الناس
 من طلحة والزبير كأننا يقولان بايعنا مكرهين ، وروى عنها انها قالا
 بايعناه بأيدينا ولم تبايعه قلوبنا ، والخبر مشهور عن طلحة بن عبد الله

لأنه كان يقول بأبعت مع علي وإلا رقتي ، قالوا وإذا كان البيعة لعلي
بقهر وإصرار وإكراه الناس وإجبار لم تثبت إمامته ولم يثبت نظيرها
في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ،

الجواب : فيقال للمعترض لما حكيناه ، لسائل عما ذكرناه ، فاما
الواقدي فعثمانى المذهب بالميل عن علي أمير المؤمنين ع ، والذي روى
عنه ما رواه من إكراه الناس علي البيعة لأمير المؤمنين ع ، والتخصر
عليه بإضافة الإباطيل اليه وقد ثبت ان شهادة المشاجر مردودة بالإجماع
وحديث الخصم فيما قدح به عدالة خصمه مطروح بالاتفاق وقول
المتهم الظنين غير مقبول بلا اختلاف فلا حجة في الحديث المذكور
عن ابن تغلبه .

ولو سلم من جميع ما وصفناه من الطعن فيه إذا كان فانه خبر واحد
يضاد التواتر الوارد بخلاف معناه فكيف وهو من الوهن عل ما بيناه .
وأما خبر ابن المسيب عن سعيد بن زيد بن ثعلبة فقد صرح فيه
بإقرار سعيد بالبيعة ودعواهم انه بايع خوفاً من الاشترا باطلاً إذا كان
ظاهره بخلاف ما ادعاه فيه وليس كل من خاف شيئاً فقد وقع خوفه
موقعه بل أكثر من يخاف متوهم للبعد ظان للباطل متخيل للفاسد ولم
يذكر سعيد شيئاً من إمارات خوفه فيكون له حجة فيما ادعاه ولم يقل
أحد ان الاشترا ولا غيره من شيعة أمير المؤمنين ع ، كلوا ممتعاً من
بيعته في الحال ولا ضربوا أحداً منهم بالسوط ولا نهروه فضلاً عن
القتل وضرب الرقاب فكيف يخاف سعيد من الاشترا مع ما ذكرناه وأن
يكون لخوفه وجه صحيح على ما قلناه وهذا يدل على كذب الواقدي .
فيما أضافه إلى سعيد بن زيد من الخوف وأخبر عنه أو على تمويه
سعيد فيما ادعاه .

وأما قول طلحة والزبير إنهما بايعا مكرهين فالكلام فيه كالكلام

على ابن المسيب عن سعيد والتهمة لهما في ذلك أو كد لانهما جعلتا ذلك
عذراً في نكسهما البيعة والخروج عن الطاعة وطلب الرياسة والأمرة فلم
يجدا إلى ذلك سبيلاً مع ما كان منهما في ظاهر الحال من البيعة على الطوع
بلا اجبار إلا بدعوى الاكراه والاحالة في ذلك على الضائر والبواطن
التي لا يعلمها إلا الله وقد ثبت في حكم الاسلام الاخلها بمقتضى الاقرار
منهما في البيعة والقضاء عليها بلزوم الطاعة لهما لمن بايعاه والخلاف عليهما
لامامهما الذي اعترفا ببيعتهما له وصفقا له بأيديهما على يده بالعقد له على
ظاهر الرضا والايثار وسقوط دعواهما للباطن المضاد للحكم الظاهر من
ذلك ومازعماه من حكم الكراهة في قلوبهما على ما ادعياه .

مع أن ظهور مشاحتهما لامير المؤمنين د ع ، ومظاهرتهما له بالعداوة
وبلوغهما في ذلك الغاية من ضرب الرقاب وسفك الدماء يبطل دعواهما
على ما يقدر في عدالته ويؤثر في إمامته ويمنعه حقاً له على كل حال .
على أنه لو ثبت الاكراه في البيعة لامير المؤمنين لمن ادعى المخالفون
إكراهه لم يقدر ذلك في إمامته د ع ، على أن اصول شيعته الدائنين
بالنص عليه من رسول الله د ص ، تقتضي ذلك لان الإمام المنصوص
عليه المفترض طاعته على الانام أن يكره من أبي طاعته ونصرته
بالسوط والسيف على ذلك حتى يفني إلى أمر الله والالتقياده ويزول
بذلك ما يحذر من فسادهم وقتلهم ولا يؤثر أيضاً في إمامته على مذهب
المخالفين القائلين بالاختيار لانه إذا بايع عندهم من أهل الفضل عدد
محصور ثبت له العقد ووجب له الطاعة وكان له إكراه من أبي البيعة
ورام الخلاف والعصيان واعمال السوط والسيف في ردعه عن ذلك
ولا كراهه على الطاعة والدخول مع الجماعة ومعلوم ان أمير المؤمنين
قد بايعه على الرضا به من لا يحصى عددهم كثرة ممن جاهد معه في حروبه
وبذل دمه في نصرته من المهاجرين البدرين والانصار العقبيين وأهل

بيعة الرضوان ، والتابعين باحسان من أثبتنا أسماء بعضهم فيما سبق هذا الفصل في الكتاب فبطل ما تعلق به الخصم من دعوى الاكراه لمن سموه والخبر في ذلك على ما ادعوه والاعتماد على أخبار شواذ به يبطله الظاهر المنتشر في خلافهما من الاخبار .

إنكار جماعة بيعة أبي بكر :

على أنه يقال للخصم ان كان الخبر باكراه قوم على بيعة أمير المؤمنين يقدح في إمامة عدل فقد جاءت الاخبار المتواترة باكراه من اكراه على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان فيجب أن تقطع على فساد إمامتهم بذلك ولا كنت مناقضاً عند العقلاء ، ألا ترى ان المعلوم المنتشر بعد بلا ارتياب من مباينة الانصار في بيعة أبي بكر ودعائها إلى البيعة لسعد ابن عباد وإنكاره بيعة سواء وتضمن على حرف الامر عن قريش وشروعها في ذلك حتى اختلف كتبهم وأفسد أمره بشر بن سعد منهم وبابيع أبا بكر حسداً لابن عمه وظناً عليه بالرياسة وكراهة الاتباع له والتقدم على نفسه ف وقعت الفتنة وسلك السيوف ودعا عمر بن الخطاب إلى قتل سعد بن عباد وحرص عليه في ذلك وقال اقتلوا سعداً قتل الله سعداً تخافت الانصار من ظفرها والجناية عليها فحملوا سعداً من السقيفة بين جماعتهم لضعفه عن النهوض بنفسه لمرض كان به في الحال وانحاز اليه أهل بيته كارهين لبيعة من عقدت له منكرين لما تم لأبي بكر متوعدين فيه بالخلاف .

وجاءت الاخبار متظافرة بانكار الزبير بن العوام لبيعة أبي بكر وخروجه بالسيف مصلاً للقتال فتكاثر القوم عليه حتى أخذوه من يده وضربوه بالاحجار فكسروه وجعلوا به ملبياً لأبي بكر حتى بايع مكرهاً على غير اختيار منكراً ولما حضر سلمان رضي الله عنه لامرهم

متكلماً في ذلك بلسانه ومفصلاً فيه بلسان العرب وما كان من إنكار
 العباس بن عبد المطلب عم رسول الله «ص»، صرف الأمر عن بني
 هاشم ويصمتهم لمن بايعوا ودعائه أمير المؤمنين «ع»، إلى بسط يده ليبايعه
 على الأمر فقال له أمدد يدك يا ابن أخي. أبابيك ليقول الناس عم رسول
 الله «ص»، بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان وقول أبي
 سفيان حرب بن صخر بأعلى صوته : يا بني هاشم أرضيتم أن يبلى
 عليكم ابن تيم مرة حاكاً على العرب ومتى طمعت أن تتقدم على بني
 هاشم في الأمر انهضوا لدفع هؤلاء القوم عما تمالؤا إليه ظلاً لكم أما
 والله لئن شئت لمألأنها عليهم خيلاً ورجالاً ثم قال :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيا تيم بن مرة أو عدى
 فإ الأمر إلا فيكمم واليكمم وليس له إلا أبو حسن على
 أبا حسن فاشدد بها كف فأتك فانك بألأمر الذي يرتجي ملي (١)

ولما اجتمع من اجتمع في دار فاطمة من بني هاشم وغيرهم للتحيز
 عن أبي بكر وإظهار الخلاف أنفذ عمر بن الخطاب قنفذاً وقال له
 اخرج من في البيت فان خرجوا وإلا فاجمع الاحطاب على بابه واعلمهم
 انهم ان لم يخرجوا للبيعة أضرمت البيت عليهم ناراً .

ثم قام بنفسه في جماعة منهم المغيرة بن شعبة الثقفي وسالم مولى حذيفة
 حتى صاروا إلى باب على فنادى يافاطمة بنت رسول الله «ص»، اخرجي
 من اعتصم بيتك ليبايع ويدخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا والله
 أضرمت عليهم ناراً في حديث مشهور (٢) .

(١) رواها اليعقوبي في تاريخه (ج ٢ - ص ١٠٥) ط النجف
 بزيادة بيت رابع :

وان امرأ أرمى قصياً وراءه عزيز الحى والناس من غالب قصى.

(٢) في العقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٥٢) ان عمر بن الخطاب —

ولما عرف أهل البغامة تقلد أبي بكر أنكروا أمره وامتنعوا من حمل الزكاة حتى أخذ اليهم الجيوش فقتلهم وحكم عليهم بالردة عن الإسلام وفي إنكار أهل البغامة بيعة أبي بكر يقول :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ماشأني وشأن أبي بكر إذا مات بكر قام عمر مكانه وذلك لعمر الله قاصمة الظهر (١) وكان عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب خارجا من المدينة فدخلها وقد بايع الناس أبا بكر فوقف في وسط المسجد وأنشأ يقول (٢) :

ما كنت أحسب هذا الأمر منتقلا
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
ليس أول من صلى لقبلتهم
وأعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن
جبريل عون له بالنسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به
وليس في القوم ما فيه من الحسن
فما الذي ردكم عنه فتعلبه
ها ان يبعثكم في أول الفتن

— جاء إلى بيت فاطمة بقبس من نار يريد أن يحرقه على من فيه
فخرجت إليه فاطمة دح ، تقول يا ابن الخطاب جئت لتحرق دارنا ؟
قال نعم اه ، والقبس في نص أهل اللغة شعلة نار مضمرة .

(١) في تاريخ الطبري (ج ٣ - ص ٢٢٣) ذكر سبعة أبيات منها
البيتين ونسبها للخليل بن أوس أخو الخطيئة وفي روايته عجز البيت
الأول : (فيا لعباد الله ما لأبي بكر) وصدر البيت الثاني : (أيورثنا
بكر إذا مات بعده) .

(٢) في تاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٠٣) ط النجف نسبت إلى
عتبة بن أبي لهب ولم يذكر الخامس وفي روايته الصدر الاول :
(ما كنت أحسب أن الأمر منصرف) والبيت الثاني :

عن أول الناس إيماناً وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن

رواه أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي عن محمد بن اسحق الكلبي
وأبي صالح ورواه أيضاً عن رجله زائدة بن قدامة قال كان جماعة
من الأعراب قد دخلوا المدينة أيتاروا منها فشغل الناس عنهم بموت
رسول الله ص ، فشهدوا البيعة وحضروا الأمر فأنفذ إليهم عمر
واستدعاهم وقال لهم خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول الله
واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليبيعوا فمن امتنع فاضربوا رأسه
وجبينه ، قال والله لقد رأيت الأعراب تحزموا ، وانشعروا بالأزر
الصنعانية وأخذوا بأيديهم الخشب وخرجوا حتى خبطوا الناس خطأ
وجلّوا بهم مكهرين إلى البيعة وأمثال ما ذكرناه من الأخبار في قهر
الناس على بيعة أبي بكر وحملهم عليها بالاضطرار كثيرة ولو رمنا إرادها
لم يتسع لهذا الكتاب فإن كان الذي ادعاه المخالف من إكراه من أكره
على بيعة أمير المؤمنين د ع ، دليلاً على فسادها مع ضعف الحديث بذلك
فيكون ثبوت الأخبار بمباشر خناه من الأدلة على بيعة أبي بكر موضحة
عن بطلانها .

كراهة المسلمين استخلاف عمر :

هذا والامة مجمعة على أن أبا بكر لما أراد استخلاف عمر بن
الخطاب حضره وجوه المهاجرين وفيهم طلحة والزبير وسعد بن أبي
وقاص فقالوا ما تقول لربك إذا وليت علينا هذا الفض الغليظ وإنما لم
نكن نعليقه وهو رعية لك فكيف إذا ولي الأمر ، فاتق الله في الإسلام
وأهله ولا تسلطه على الناس ، فغضب أبو بكر وقال اجلسوني فاجلس
واستند إلى صدور الرجال من ضعفه ثم قال لهم : أبا الله تخوفوني ان
كل واحد منكم قد طمع في هذا الأمر ، فلما سمع ما أريده عمر ورم
لذلك أنفه قال وقد رأيتم ما جاءته فعملتم على التأمير واستعمال السور

وفضائد الدياج لتتخذوها كسروية لا والله لا أجبكم الى ما تريدون
 اني اذا لقيت ربي فسألني من استخلفت عليهم قلت استخلفت عليهم
 خير أهلهم ، وهذا خبر مشهور لا تنازع فيه العلماء (١) وهو متضمن
 اعقد أبي بكر الامر لعمر على كراهية من ذكرناه وقهرأ لهم وإجباراً
 عليهم فيجب على غلبة الخصم أن تكون إمامة عمر بن الخطاب فاسدة
 أكرهتها من أعدناه .

الصحابة يوم الشورى :

قال ولما كان في يوم الشورى حضر عمار بن ياسر رحمه الله فقام
 في الناس وقال ان وليتموها علياً (ع) سمعنا وأطعنا وان وليتموها
 عثمان سمعنا وعصينا فقام الوليد بن عقبة وقال : يامعشر الناس أهل
 الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا وان وليتموها علياً سمعنا
 وعصينا فانتهره عمار وقال له متى كان مثلك بافاسق يعترض في أمور
 المسلمين وشتات جمعها ، وتسابا جميعاً وتناوشاً حتى حيل بينهما فقال
 المقداد من وراء الباب : يامعشر المسلمين ان وليتموها أحداً من القوم
 فلا تولوها من لم يحضر بداراً وانهم يوم احد ولم يحضر بيعة الرضوان (٢)

(١) في تاريخ الطبرى (ج ٤ - ص ٥٢) والعقد الفريد (ج ٢ -
 ص ٢٥٧) وشرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٥٥) ان أبا
 بكر ذكره - هذا عند مجيء المهاجرين اليه وتدمره منهم وفي تاريخ
 الخيس (ج ٢ - ص ٢٩٩) ان طلحة والزبير قالوا له أتولى علينا فضلاً
 غليظاً ما نقول لربك .

(٢) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٦٦) ان عبد
 الرحمن بن عوف أرسل إلى عثمان يذكره بفراره يوم احد وعدم
 حضوره بداراً ولا بيعة الرضوان فلم ينكر عليه .

وولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال له عثمان أما والله لئن أيتها لأردنك إلى ربك الاول ، ولما صفق عبد الرحمن يده على يد عثمان نهض أمير المؤمنين دح ، وقال مال الرجل إلى صهره ونبد دينه وراء ظهره وأقبل على عبد الرحمن فقال والله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم (١) وانصرف مظهرأ للتكثير على عبد الرحمن واعتزل بيعة عثمان فلم يبايعه حتى كان من أمره مع المسلمين ما كان وقد عرفت الخاصة والعامة ما أظهره أمير المؤمنين دح ، من كراهته من تقدم عليه وظلمه منهم .

فقال في مقام بعد مقام : اللهم انى أستعيدك على قريش فانهم ظلموني حتى ومنعوني ارثى وتمالؤا على .

وقال دح ، لم أزل مظلوماً منذ قبض رسول الله دص ، .

وقال وقد عهد إلى رسول الله ان الامة ستغدر بي من بعده .

وقال اللهم أجز قريشاً عنى الجوازي فقد قطعت رحى ودفعتنى عن

حتى وأغرت بي سفهاء الناس وخاطرت بدى (٢) .

خطبة علي يوم البيعة :

فصل : ولما أفضى الامر اليه رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

(١) فى تاج العروس (ج ٩ - ص ٧٩) بمادة نشم ان امرأة صنعت لزوجها طيباً تطيب به ثم أنها صادفت رجلاً فطيبته فلقية زوجها فشم طيب زوجته فقتله فاقتل الحيان من أجله فضرب به المثل وقالوا أشام من عطر منشم ، وقيل ان المنشم حب عطر شاق الدق وهو سم ساعة وفيه يقول زهير :

تدار كتما عبساً وذيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

(٢) البيان والتبيين (ج ٢ - ص ٥٢) ط سنة ١٣٣٢ هـ

قد كانت امور كثيرة لم تكونوا عندي فيها محمودين أما انى لو أشاء
 قلقت عنى الله عما سلف سبق الرجال ، وقام الثالث كالغراب همة
 بطنه وفرجه ، باويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له .
 إلى آخر الخطبة وفيها عجائب من فصيح الكلام وغرائب والعباء
 متفقون عليها عنه د ع ، وقد ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى وفسر
 غريب الكلام فيها وأوردها المداينى فى كتبه وذكرها الجاحظ مع
 نصبه وعداوته لأمير المؤمنين د ع ، فى كتابه الموسر (بالبيان
 والتبيين) (١) .

الشَّقَشِقِيَّة :

فاما خطبته عليه السلام التى رواها عبد الله بن عباس فهى أشهر من
 أن ندل عليها لشهرتها وهى التى يقول د ع ، فى أولها :
 والله لقد قمصها ابن أبى قحافة وأنه ليعلم ان محلى منها محل القطب
 من الرحى ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير فسدلت دونها ثوباً
 وطوبت عنها كشحاً .

أرى ترائى نهياً فصبرت وفى العين قذى ، وفى الخلق شجى ، إلى
 فرله د ع : لجعلنى عمر سادس ستة زعم انى أحدهم فيا لله وللشورى
 متى اعترض الريب فى مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر
 ولكنى أسففت إذا سفوا ، وطرت إذا طاروا ، فى كلام طويل
 اختصرناه هنا (٢) فدل ما ذكرناه عنه عليه السلام على كراهيته من

(١) ذكر ابن أبى الحديد فى شرح النهج (ج ٢ - ص ٤٩٦) ان
 الاخبار قد تواترت عنه عليه السلام فى هذا وذكر ما نص عليه المفيد .
 (٢) ذكر شيخنا الحجة الشيخ هادى آل كاشف الغطاء قدس سره
 فى رسالته مدارك نهج البلاغة ص ٧٠ المطبوعة مع مؤلفه المستدرك —

تقدم عليه ، وإنكاره ما صنعوه في ذلك ، وخصومنا لعنادهم الحق
وتجاهلهم يحملون الاخبار الشاذة في كراهة نفر معبودين لبيعة أمير
المؤمنين دح ، قسما في إمامته ولا يحملون ما ذكرناه من خلاف وجوه
المسلمين وعامة المؤمنين والانصار والمهاجرين في إمامة الثلاثة النفر
المذكورين حجة في بطلانها ولا إنكارهم لذلك وكراهتهم لما قدحاً فيها
و يدعون مع ذلك بحجهم وجرأتهم وقلة أمانتهم لإجماع الامة عليهم
(ان هذا الشيء عجيب) مع اني مثبت طرفاً من الاخبار التي جاءت ببيعة
أمير المؤمنين دح ، وانها كانت على وفاق ما ذكرت في أول الباب
من الرغبة اليه في قبولها منهم والايثار لتقدمه عليهم والاختيار ما قصدنا
به الايضاح عنه من ثبوت إمامته على اصول الواقفين من شيعة
والمخالفين لهم في ذلك حسب ما بيناه ان شاء الله تعالى .

امتناع علي من البيعة :

فمن روى خبر البيعة وما كانت عليه الحال أبو مخنف لوط بن يحيى
الأزدى في كتابه المصنف في حرب البصرة عن سيف بن عمر عن محمد
ابن عبد الله بن سواده وطلحة بن الاعلم وابني عثمان أجمع قالوا بقيت
المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها العافق بن حرب العكي (١)
والناس يلتمسون من يحبهم لهذا الامر فلا يجدون فيأتي المصريون
علياً فيختبئ عنهم ويلوذ بحيطان المدينة فاذا لقوه يأبى عليهم ، قال
وروى اسحق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن اثيري
— على نهج البلاغة — أقوال العلماء في الاعتراف بوجود الخطبة
الشعشقية في مؤلفات كتبت قبل أن يوجد السيد الرضى وأبوه فراجعه
فانه نافع جداً .

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٠٣ و ص ١٥٥) .

قال ألا احذرك بما رأت عيناى وسمعت اذناى لما التقي الناس عند بيت المال قال على د ع ، لطلحة أبسط يدك ابايعك فقال طلحة أنت أحق بهذا الامر منى وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس (١) لم يجتمع لى فقال له د ع ، ما خشينا غيرك فقال طلحة لا تخشى فوالله لاتوثى من قبلى وقام عمار بن ياسر والهيثم بن التيهان ورفاعة بن أبى رافع ومالك بن مجلان وأبو أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلى د ع ، ان هذا الامر قد فسد وقد رأيت ماصنع عثمان وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة فابسط يدك لنبايعك لتصلح من أمر الامة ماقد فسد فاستقال على د ع ، وقال قد رأيتم ماصنع بى وعرفتم رأى القوم فلا حاجة لى فيهم فاقبلوا على الانصار وقالوا يامعشر الانصار أتم أنصار الله وأنصار رسوله وبرسوله أكرمكم الله وقد علمتم فضل على وسابقته فى الاسلام وقرابته ومكاتبته من النبي د ص ، وان ولى بى لكم خيراً فقال القوم نحن أَرْضَى الناس به ما نريد به بدلاً ثم اجتمعوا عليه وما يزالوا به حتى بايعوه .

وباسناده عن ابن أبى الهيثم بن التيهان ؛ قال يامعشر الانصار قد عرفتم رأيى ونصحى ومكاتبى من رسول الله د ص ، واختياره إياى فردوا هذا الامر الى أقدمكم اسلاماً واولاكم برسول الله د ص ، اهل الله أن يجمع به لفقتكم ويحقق به دماءكم فأجابه القوم بالسمع والطاعة وروى سيف عن رجاله قال اجتمع الناس الى على وسألوه ان ينظر فى امورهم وبذلوا له البيعة فقال لهم التمسوا غيرى فقالوا له نشدك الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله فى ضياع هذه الامة فلما ألحوا عليه قال لهم انى لو أجبتكم حملتكم على ما أعله وان تركتمونى كنت لاحكم قالوا قد رضينا بحكمك وما فينا بخالف لك فاحملنا على ماتراه ثم بايعته الجماعة .

بيعة طلحة والزبير :

وروى أبو اسحاق بن ابراهيم بن محمد الثقفى عن عثمان بن أبي شيبة عن ادريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال جاء طلحة والزبير إلى علي د ع ، وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلوا عليه وقالوا ابسط يدك نبايعك فان الناس لا يرضون إلا بك ؛ فقال لهما لا حاجة لى فى ذلك ولئن أكون الحكا وزيراً خير لكما من أن أكون أميراً فليبسط قرشياً منكاً يده ابايعه ؛ فقالا ان الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس ، فقال ان يبعى لا تكون سرأ فامهلاً حتى اخرج إلى المسجد فقالا بل نبايعك هنا ثم نبايعك فى المسجد فبايعاه أول الناس ثم بايعه الناس على المنبر أولهم طلحة بن عبيد الله وكانت يده شلاء فصعد المنبر اليه فصفق على يده ، ورجل من بنى أسد يزجر الطير قائم ينظر اليه فلما رأى أول يده صفقت على يد أمير المؤمنين يد طلحة وهى شلاء قال إنا لله وإنا اليه راجعون أول يد صفقت على يدي شلاء بوشك أن لا يتم هذا الأمر (١) ثم نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما ، وهذه الأخبار مع كثرتها وانتشارها فى كتب السير وكافة كتب العلماء وظهورها واستفاضتها تتضمن تقيض ما ادعاه المخالف من إكراه أمير المؤمنين د ع ، على البيعة ويبطل ما تعلق به من من ذلك من شك فى الخبر الذى أورده الواقدي عن العثمانية المتظاهرة بعداوة أمير المؤمنين د ع .

على أن الواقى قد أثبت فى كتابه الذى صنفه فى حرب البصرة ما يوافق الأخبار التى قدمنا ذكرها ويضاد ما خالفها فى معناه ، فقال حدثني عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد قال لما قتل عثمان أقبل الناس

(١) العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦٩) والطبرى (ج ٥ ص ١٥٣)

على علي إيايعهو قتأبي عليهم وقالوا بايعنا لا نخلف أمرك فأبى عليهم
فبسطوا يده وبسطوها وقبضوها فقالوا بايعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا
بك ؛ وروى اسماعيل بن محمد عن محمد بن سعد عن أبيه قال أرسل علي
ابن أبي طالب دع ، إلى أبي إيباع فقال له إذا لم يبق غيري بايعتك فقال
علي دع ، خلوا سعداً وأرسل إلى أسامة بن زيد فقال له أسامة أنا لك
طوع ولكن اعفني الخروج بالسيف فقال له علي لم أكره أحداً على بيعته
وان جميع من بايعه كان مؤثراً له داعياً إليه في ذلك على ما قدمناه والحمد لله .
قال الشيخ المفيد أدام الله تأييده : وقد دللنا على إمامة أمير المؤمنين
عليه السلام من جهة النص عليه بها من رسول الله (ص) وباختصاره له
من ذوى العقول والعلم والفضل والرأى على ما يذهب إليه المخالفون
في ثبوت الإمامة وانعقادها وأنبأنا عن عصمته دع ، بما سلف وشرحنا
القول في طريقها وأوضحناه وذكرنا الأخبار الواردة من طريق الخاصة
والعامة في وجوب حقه وبرهان صوابه وتحريم خلافه وفي ذلك لإبطال
ما ذهب إليه كافة خصومنا على اختلافهم في تصويب محاربه والوقوف
في ذلك والشك فيه وفي ما أصلناه من ذلك ورسمناه في معناه غني عن
تكليف كلام في فساد مذهب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد على
ما شرحناه عنها في صدر هذا الكتاب من شبهات المذهب الرذل وإبطال
مذهب الأصم وأتباعه ونقض شبهات الحشوية في تصويب الجماعة
وإفساد ما ذهب إليه كل فريق منهم في تخطئتهم بأسرهم وإقامة البرهان
على صحة ما ذهب إليه الشيعة ومن شاركهم من قبائل المعتزلة والمرجئة
والخوارج على أمير المؤمنين وضلال أهل البصرة وتخطئة محاربه
في هذين المقامين وضلالهم في ذلك عن طريق الرشاد وفيما أثبتناه عن
عصمته (ع) وحقه أيضاً دليل مقنع في إبطال مذهب الخوارج
المبدعة في إنكار التحكيم وترك القتال عند المواجهة حسب ما قدمناه

ونحن نشفع ذلك بأسباب فتنة البصرة على ما بطن منها عن كثير من الناس وظهر منها للجمهور ونورد بعد هذا الباب الذي ذكرناه الأخبار الواردة بصورة الأمر في القتال وكيفية ما جرى فيه على ترتيب ذلك في مواضعه المقتضية لذكره فيها ونأتي به على الترتيب والنظام إن شاء الله تعالى .

الناكثان :

فصل : فأما ظاهر الفتنة بالبصرة فهو ما أحدثه طلحة والزبير من نكث البيعة التي بذلها لأمر المؤمنين (ع) طوعاً واختياراً وإشاراً وخروجهما عن المدينة إلى مكة على اظهار منهما ابتغاء العمرة فلما وصلها اجتمعا مع عائشة وعمال عثمان الهاريين بأموال المسلمين الى مكة طمعاً فيما احتجبه منها وخوفاً من أمير المؤمنين (ع) واتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان والتعلق عليه في ذلك بانحياز قتلة عثمان وحاصريه وخاذليه من المهاجرين والأنصار وأهل مصر والعراق وكونهم جنداً له وأنصاراً واختصاصهم به في حربهم منه ومظاهرتهم بالجميل وقوله فيهم الحسن من الكلام ؛ وترك إنكار ما صنعوه بعثمان والأعراض عنهم في ذلك ، والمصيب معهم في جنده إلى ما ذكرناه وشبهوا بذلك على الضعفاء واغرتوا به السفهاء وأوهوم بذلك لظلم عثمان والبراءة من شيء يستحق به ما صنع به القوم من إحصاره وخلعه والمنازعة إلى دمه فأجابهم إلى مرادهم من الفتنة بمن استغفروه بما وصفناه وقصدوا البصرة لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان وأصحاب عامله وابن عمه كان بها وهو عبد الله بن كريز بن عامر وكان ذلك منهم ظاهراً وباطناً بخلافه كما تدل عليه الأخبار ويوضح عن صحة الحكم به الاعتبار ألا ترى أن طلحة والزبير وعائشة باجماع العلماء بالسيرة والآثار هم الذين

كانوا أو كد السبب لخلع عثمان وحصره وقتله وإن أمير المؤمنين (ع) لم يزل يدفعهم عن ذلك (١) ويلطف في منهم عنه ويبذل الجهد في إصلاح حاله مع المنكرين عليه ، العائين له ؛ المحتجين عليه بأفعاله وأحداثه فمن أنكر ما ذكرناه أو شك في شيء مما وصفناه فهو بعيد عن علم الأخبار ناء عن معرفة السير والفتن والآثار ومكابير يحمل نفسه على جحد لا على اضطراب وهذا باب لا يحسن مكالمة الخصوم فيه إلا مع الإنصاف والإطلاع على ما جاءت به الأخبار ومخالطة العلماء من أهل الأخبار في الإسلام وأما من لا معرفة له بالروايات أو منقطع عنها إلى صناعة الكلام أو عاى له غفلة أو مترف مشغول بالذات فلا وجه لمجاراته في هذا الباب وأمثاله فيما طرقه السمع والأخبار وسيله ملاقة الخاصة والعلماء والاستفادة مما عندهم من علمه على ما ذكرناه .

أسباب الخروج على عثمان :

فصل ونحن ثبت بتوفيق الله مختصراً من الأخبار فيما ذكرناه من كون طلحة والزبير وعائشة فيما صنعوه في أيام عثمان من أوكد أسباب ماتم عليه من الخلع والحصر وسفك الدم والفساد فمن ذلك ما رواه أبو حذيفة اصحاق بن بشر القرشي وأثبتته في كتابه الذي صنفه في مقتل عثمان وكان هذا الرجل أعنى أبا حذيفة من وجوه أصحاب الحديث المنتسبين إلى السنة والمباينين للشيعة يهتم فيما يروونه لفارقة خصومه ولا يظن تخريصاً فيما يجتنيه من جميع الأخبار ، فقال حدثني محمد بن اصحاق عن الزهري لما قدم أهل مصر في سبائة راكب عليهم عبد الرحمن بن عديس البكري فزلوا ذا خشب وفيهم كنانة بن بشير

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٢٥٦) كان

عبيد الله بن عمر بن الخطاب يمدح علياً بأن لم يشترك في قتل عثمان .

الكناني وأبو عمر بن بديل بن ورقاء الخزاعي وأبو عروة الليثي واجتمع معهم حكيم بن جبلة العبدى في طائفة من أهل البصرة وكييل بن زياد ومالك الأشتر وصمصعة بن صوحان وحجر بن عدى في جماعة من قراء الكوفة الذين كانوا سيرهم عثمان منها إلى الشام حين شكوا أحداثه التي أنكرها عليه المهاجرون والأنصار ١٠ ، فاجتمع القوم على عيب عثمان وجهروا بذكر أحداثه فمر بهم عمر بن عبد الله الأصم وزباد بن النظر فقالا إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبي (ص) فإن أمرنكم أن تقدموا فاقدموا فقالوا لهما إفعلا واقصدوا علياً آخر الناس فانطلق الرجلان فبدأ بعائشة وأزواج النبي بعدها ثم أنبأ أصحابه (ص) ، فأخبرهم الخبر فأمرهم أن يقدموا المدينة وصاروا إلى أمير المؤمنين فأخبره واستأذناه للقوم في دخول المدينة فقال لهما أتيتما أحداً قبلى ؟ قال نعم أتيتا عائشة وأزواج النبي (ص) ، بعدها وأصحابه من المهاجرين والأنصار فأمرهم أن يقدموا فقال علي (ص) لا آمرهم إلا أن يستغيثوا بمن قرب فإن أغاثهم فهو خير لهم وإن أبى فهم أعلم ، فخرج الرجلان إليهم جميعاً وتسرع إليهم جماعة من المدينة واجتمعوا مع أهل حسب وذو مروءات فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى علي (ع) ، وقال :

أخرج يا أبا الحسن إلى هؤلاء القوم وردهم عما جاؤا إليه .

فخرج إليهم فلما رأوه رحبوا به وقالوا له قد علمت يا أبا الحسن ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثة وما يلقاه المسلمون منه ومن عماله وكنا أقيناه واستعتبناه فلم يعتبنا وكنااه فلم يصغ إلى كلامنا وأغراه ذلك بنا وقد جئنا نطالبه بالإعتزال عن إمرة المسلمين واستأذنا في ذلك الأنصار والمهاجرين وأزواج النبي أمهات المؤمنين فأذنوا لنا

١٠ ، ذكر الطبري (ج ٥ ص ٨٥) وابن الأثير (ج ٣ ص ٥٣)

تفسير الجماعة إلى الشام وفي رسائل الخوارزمي ص ٧٧ إشارة إليه ،

في ورود المدينة ونحن على ذلك ، فقال لهم أمير المؤمنين يا هؤلاء تريثوا لا تسرعوا الى شيء لا تعرف عاقبته فانا كنا قد عتبنا على هذا في شيء وانه قد رجع عنه فارجعوا ؛ فقالوا هيهات يا أبا الحسن لا تنزع منه إلا بالإعتزال عن هذا الأمر ليقدم به من يوثق بأمانته ، فرجع أمير المؤمنين إلى عثمان وأخبره بمقالتهم فخرج عثمان حتى أتى المنبر فخطب الناس وجعل يتكلم ويدعو الى نصرته ودفاع القوم عنه فقام اليه عمرو بن العاص فقال يا عثمان إنك قد زكبت بالتهمة وقد ركبوها منك فقب إلى الله ، فقال له عثمان وإنك لها هنا يا بن النابغة (١) ، ثم رفع يده إلى السماء وقال أتوب الى الله اللهم إني أتوب اليك ؛ فأنفذ أمير المؤمنين دع ، إلى القوم بما جرى من عثمان وما صار اليه من التوبة والإفلاع فساروا إلى المدينة بأجمعهم وسار اليهم عمرو بن معدى كرب في ناس كثيرين فجعل يحرض على عثمان ويذكر لإثرته فقال :

أما هلكنا ولا يبكي لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير والحر في الصيف قد تدي جوارحه نعطي السوية عما أخلص الكير نعطي السوية يوم الضرب قد علوا ولا سوية إذ كانت دنسانير وانظم اليهم من المهاجرين طلحة والزبير وجهور الأنصار على ذلك فخرج اليهم أمير المؤمنين دع ، فقال لهم يا هؤلاء اتقوا الله ما لكم وللرجل أما رجع عما أنكرتموه أما تاب على المنبر توبة جبرها ، ولم يزل عليه السلام يلطف بهم حتى سكنت فورتهم .

ثم سأله أهل مصر أن يلقاه في عزل عبد الله بن سعيد بن أبي سرح عنهم واقترح أهل الكوفة عزل سعيد بن العاص عنهم وسأل أهل النهروان أن يصرف ابن كرز عنهم ويعدل عما كان عليه من منكر

١٠ ، في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١) وشرح النهج الحديدي

(ج ١ - ص ١٦٣) ذكر انكار عمرو ، على عثمان وما قاله فيه .

الأفعال فدخل عليه أمير المؤمنين «ع» ، ولم يزل حتى أعطاه ما أراد القوم من ذلك وبذل لهم العهد والأيمن .

فخرج أمير المؤمنين إلى القوم بما ضمنه له عثمان ولم يزل بهم حتى تفرقوا فلما سار أهل مصر ببعض الطريق نظروا وإذا براكب على الطريق مسرع فلما دنا تأملوه فإذا هو غلام عثمان على ناقته من نوقه فاسترابوا به فقالوا له أين تذهب ؟ فقال بعثني عثمان في حاجة له قالوا إلى أين بعثك ؟ فارتج عليه وتلعثم في كلامه فنهره وزبروه فقال أنفذني إلى مصر فقالوا فيما أنفذك ؟ قال لا علم لي فزاد استرابهم فيه ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً فأخذوا أدواته ففتشوها وإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح وهو إذا أتاك كتابي هذا فاضرب عتق عمرو بن بديل وعبد الرحمن البكري واقطع أيدي وأرجل علقمة وكنانة وعروة ثم دعهم يتشحطون في دماهم فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخل .

فلما رأوا ذلك قبضوا على الغلام وعادوا إلى المدينة فاستأذنوا على ابن أبي طالب «ع» ، ودفعوا إليه الكتاب ففزع عليه السلام لذلك فدخل على عثمان فقال إنك وسطتني أمراً بذات الجهد فيه لك وفي نصيحتك واستوهبت لك من القوم فقال عثمان فماذا ؟ فأخرج إليه الكتاب ففضه وقرأه فأنكره فقال له عليّ أتعرف الخط ؟ قال الخط يتشابه ، قال أتعرف الختم ؟ قال الختم ينقش عليه ، قال فهذا البعير الذي على باب دارك تعرفه ؟ قال هو بعيري ولم آمر أحداً ولا يركبونه قال فغلامك من أنفذه ؟ قال أنفذ بغير أمرى .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أما أنا فممتلك وشأنك وأصحابك وخرج من عنده ودخل داره وأغلق عليه بابه ولم يأذن لأحد من

القوم في الوصول اليه . ١٠٠ ،

وخرج اليهم طلحة والزبير وقالوا لهم قد اعتزل علي بن أبي طالب
واتدبنا معكم على هذا الرجل فاجتمع القوم على حصره فلما علم أن
القوم قد حصروه وحقق العزيمة على خلعه كتب الى معاوية يستدعيه
بجنود الشام ، وكتب الى عبد الله بن عامر يستدعيه بجنود البصرة
وفارس لينتصر بهم ويدفعهم عن نفسه وعرف أهل مصر وأهل العراق
والحجاز أنه قد استقر عليهم أهل الشام وشيعته من أهل البصرة وفارس
وخوزستان لجدوا في حصاره ونولى ذلك منه طلحة والزبير ومنعاه
الماء وضيقا عليه وكان طلحة على حرس الدار يمنع كل أحد يدخل
اليه شيئاً من الطعام والشراب ويمنع من في الدار أن يخرج عنها الى
غيرها . ٢٠٠ .

فصل : فهل يخفى على عاقل براءة أمير المؤمنين «ع» مما قرفوه به
ناكثوا عهده من التأليب على عثمان والسعي في دمه مع ما روينا من
الحديث عن سميئة ، أم هل يرتاب عاقل فيما فعله طلحة والزبير فيما
تولياه من حصر عثمان حتى آل ذلك الى قتله وهما من بعده يقرآن علياً
بما تولياه ويدعيان لأنفسهما البراءة بما صنعاه ويجعلان شبهتهما في استحلال
قتاله عليه السلام دعوى الباطل المعروف بهتاناً ممن ادعاه وهذا يكشف
ان الامر فيما ادعياه وأظهراه من الطلب بدم عثمان كان بخلافه على
ما بيناه مما جاءت به الاخبار فيما تولاه طلحة والزبير في عثمان ما رواه
أبو اسحاق جبلة بن زفر قال رأيت طلحة والزبير يرفلان في أذرعاها

١٠ ، الطبري (ج ٥ - ص ١٠٧ الى ص ١١٢) .

٢٠ ، في تاريخ الطبري (ج ٥ - ١٢٢) وشرح النهج لابن

أبي الحديد (ج ١ - ص ١٦٧) والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٦٧)
ان طلحة ممن أعان على عثمان وأب الناس عليه .

في عثمان ثم جاء من بعد إلى علي « د ع » ، فبايعاه طابعين غير مكرهين
ثم صنعا ما صنعا ، وروى أبو حذيفة القرشي عن الحصين بن عبد الرحمان
عن عمرو بن جاران عن الأخنف بن قيس قال قدمت المدينة وساق
حديثاً طويلاً من أمر عثمان إلى أن قال لما لقيت الفتنة والناس قد
اجتمعوا على حصر عثمان وهو على خطر فأتيته طلحة والزبير فقلت لهما
ما أرى هذا الرجل إلا مقتولاً فن تأمراني أن أبايع وترضونه لي فقالا
علياً نخرجت حتى أتيت مكة وبها عائشة فدخلت عليها فقلت إني لأحسب
هذا الرجل مقتولاً فن تأمريني أن أبايع فقالت أبايع علياً فقضيت حتى
ثم مررت بالمدينة وقد قتل عثمان فبايعت علياً ثم عدت إلى البصرة فاذا
عائشة وطلحة والزبير قد جلّونا يطلبون بدم عثمان ويأمروننا بقتال علي
ابن أبي طالب فطال تعجبي من ذلك « ١ » .

وروى أبو حذيفة عن رجاله انه لما اجتمع الناس على عثمان أنفذوا
إليه اخلع نفسك فقال لا أخلع سربالاً سربلنيه الله « د ٢ » ، وكتب إلى
معاوية يستدعيه بجنود الشام وإلى عبد الله بن عامر بن كريز يستدعيه
بجند البصرة وخرج عثمان حتى صعد المنبر فلما بدأ بالخطبة قام إليه رجل
من الأنصار وقال له أقم كتاب الله يا عثمان فقال هو لك ثم أعادها
ثانية فقال هو لك فأعادها ثالثة ففزع وأجلس فقام ناس من الأنصار
نخلصوه وحصب عثمان بالحصى حتى سقط مغشياً عليه فحمله بنو أمية حتى أدخلوه
الدار وجاءه علي « د ع » ، يسأله عن خبره فثارت بنو أمية إليه بصوت واحد
يا علي كدرت علينا العيش وعملت بنا العمل والله ائن بلغت الذي تريد
انخبثن عليك الدنيا فخرج علي مغضباً فقال القوم للعباس بن الزرقان
« ١ » ، رواه ابن حجر الهيتمي في تطهير الجنان بهامش الصواعق المحرقة

ص ١١٣ ط سنة ١٣١٢ هـ والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٨٢) .

« ٢ » ، تاريخ الطبري (ج ٥ - ١١٨) .

وكانت اخته تحت الحرث بن الحكم أخى مروان بن الحكم اتبع الرجل
وقل له مالك ولابن عمك فاتبعه وقال له ذلك فقال عليه السلام وهو
مغضب فعل الله وفعل ينجى ما ينجى واسأل عن أمره واتهم مع ذلك أما
والله لو لا مكانى لأحتر الذى فيه عيني عثمان .

إنكار طلحة على عثمان :

ولما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة والزبير حصاره والناس
معهما على ذلك فحصره حصراً شديداً ومنعوه الماء وأنفذ إلى على يقول
ان طلحة والزبير قد قتلا من العطش، والموت بالسلاح أحسن فخرج
معتدداً على يد المسور بن مخزومة الزهرى حتى دخل على طلحة بن عبيد الله
وهو جالس فى داره يسوى نبلا وعليه قميص هندى فلما رآه رحب،
به ووسع له على الوسادة فقال له على عليه السلام ان عثمان قد أرسل إلى
إنكم قد هلكتموه عطشاً وإن ذلك ليس بالحسن والقتل بالسلاح أحسن
وكنتم آليت على نفسى أن لا أرد عنه أحداً بعد أهل مصر وأنا
أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه ، فقال طلحة لا والله
لا نلعمه عيناً ولا نتركه يأكل ولا يشرب ، فقال على دع ، ما كنت
أظن أن أكلهم أحداً من قريش فيردنى دع ما كنت فيه يا طلحة فقال
طلحة ما كنت أنت يا على فى ذلك من شيء فقام على دع ، مغضباً وقال
ستعلم يا بن الحضرمية أكون فى ذلك من شيء أم لا ثم انصرف .

وروى أبو حذيفة بن اححاق بن بشير القرشى أيضاً قال حدثنى
يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال والله إنى لأنظر إلى
طلحة وعثمان محصور وهو على فرس أدهم ويده الرمح يحول حول
الدار وكأنى انظر إلى بياض ما وراء الدرع . ١٠ .

١٠ ، فى شرح النهج لابن أبى الحديد (ج ٢ - ص ٤٠٤) كان
طلحة يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب يرى الدار بالسهم وأنه حمل الذين -

وروى أبو اسحاق قال لما اشتد الحصار بعثان عبد بنو أمية على إخراجه ليلاً إلى مكة وعرف الناس فجعلوا عليه حرساً وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان ، قال واطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظماً من العطش فتأذى أيها الناس اسقونا شربة من الماء واطعمونا بما رزقكم الله فتأذى الزبير بن العوام : يا نعمتل لا والله لا تذوقه .

وروى أبو حذيفة القرشي عن الأعمش عن حبيب بن ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحماني قال أتيت الزبير وهو عند أحجار الزيت فقلت له يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء فنظر نحوم وقال وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب فهذه الأحاديث في جملة كثيرة في هذا المعنى وهي كاشفة عما ذكرناه من أدغال القوم من التظاهر بطلب دم عثمان وهم تولوا سفكه ولم يظهر أحد منهم إلا الذم عليه ، ولما بايع الناس علياً أظهروا التندم على ما فرط منهم وقرفوا بما صنعوا وأثاروا الفتنة التي رجع عليهم ما كانوا آملوه فيها منه وهو الظاهر منهم والباطن كان مخالفاً للظاهر منهم فيما ادعوه بعثمان .

لنكار عائشة على عثمان :

فأما تأليب عائشة على عثمان فهو أظهر مما وردت به الأخبار من تأليب طلحة والزبير عليه ، فمن ذلك ما رواه محمد بن اسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال دخلت يوماً بالمدينة إلى المسجد فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف يقول : أيها الناس العهد قريب هذان نعلان رسول الله (١) ، وقيصه وكأني أرى ذلك القميص — حاصروه إلى دار بعض الأنصار فتسوروا منها على عثمان فقتلوه والزبير يقول اقتلوه فقد بدل دينكم وأنه لجيفة على الصراط .

(١) في الأغاني (ج ٤ - ص ١٧٨) ان جماعة من أهل الكوفة -

يلوح تقول وان فيكم فرعون هذه الامة فاذا هي عائشة وعثمان يقول لها اسكتي ثم يقول للناس انها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصفوا إلى قولها ، وروى الحسن بن سعد قال رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم ثم قالت يا عثمان أقم ما في هذا الكتاب فقال لتتبهين عما أنت عليه أولاد دخن عليك جمر النار فقالت له عائشة أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله وهذا فيص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعلني (١ ، ٢) .

وروى الليث بن أبي سليمان عن ثابت الأنصاري عن ابن أبي عامر مولى الأنصار قال كنت في المسجد فر عثمان فنادته عائشة يا غدر يا غدر أخفرت أمانتك وضيعت رعيتك ولولا الصلاة الخمس لمشي إليك الرجال حتى يذبحك ذبح الشاة فقال عثمان : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .

وروى محمد بن اسحاق والمدائني وحذيفة قال لما عرفت عائشة ان الرجل مقتول تجهزت إلى مكة جاءها مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقالا لها انا انظن ان الرجل مقتول وأنت قادرة على الدفع عنه فان تقبلي يدفع الله بك عنه قالت ما أنا بقاعدة وقد قدمت ركابي وغريت غرائري وأوجبت الحج على نفسي فخرج من عندها مروان - شهدوا على الوليد بن عتبة وأخافهم عثمان فاستجاروا بعائشة فأخرجت نعل رسول الله إلى المسجد تقول :

ترك عثمان سنة صاحب هذا النعل .

(١٠ ، في كامل ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٠) والنهاية (ج ٤ - ص ١٦٦) بمادة نعل وتاج العروس ان عائشة سمت عثمان نعلا وهو أما رجل يهودي أو الشيخ الاحق أو رجل طويل اللحية بمصر .

يقول : (زخرف قيس على البلاد حتى إذا اضطربت) فسمعت عائشة فقالت : أيها المتمثل لهم قد سمعت ما تقول أتراني في شك من صاحبك والله لوددت أنه في غرارة من غراري حتى إذا مررت بالبحر قدفته فيه فقال مروان قد والله تبنييت قد والله تبنييت قال فسارت عائشة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء وابن عباس يريد المدينة فقالت يا ابن عباس إنك قد أوتيت عقلاً وبياناً وإياك أن ترد الناس عن قتل الطاغية ، وهذه أيضاً جملة من كثير ورد بها أخبار في تأليب عائشة على عثمان والسعي في دمه اقتصرنا عليها كراهة الإملال بالتطويل وفيها أوضح دليل على أن تظاهرها من بعد بطلب دمه ومباينة أمير المؤمنين عليه السلام وجمع الجموع لحربه والإجتهد في نقض عهده وأمرها بسفك دمه لم يكن الباطن فيه كإظهار بل كان لغير ذلك فيما اشتهر عند المعتبرين لأعمال القوم قديماً وحديثاً وأغراضهم في الأفعال وما فيه من بصرح القول عنهم في عداوتها له دح ، فلي تأمل أولوا الأبصار بما رويناه وليعمن النظر فيما ذكرناه ويمجد الأمر فيه على ما وصفناه والله المستعان .

ندم طلحة والزبير من البيعة :

فصل : قد قدمناه من القول فيما كان قد عمد عليه طلحة والزبير في خلاف أمير المؤمنين دح ، والمباينة له والتحيز عنه وهو لما كرها ولايته وأنكرا إمرته ولم يؤثرنا من الناس بيعته لما كانا عليه من الطمع في الولاية للأمر دونه والتأمر على الناس بذلك وفاتهما منه ما أملاه وندما على إفراطهما فيما صنعاه مع التسخير لهما من الله تعالى في بذل بيعتهما له دح ، طوعاً واختياراً سنع لهما الاعتلال في تسويغ خلافهما له بدعوى إكراههما لهما على البيعة فتعلقا بذلك وجعلاه حجة لهما في خلافه

فظن به تمام الشبهة التي قصدها بعد الأمر على الجهل فلما وضع لها
 تهافت ما اعتمده من ذلك بظهور اختيارها ابيعتها وإيثارها لتقدمه عليهما.
 والرضا بامامته واشتبه ذلك عند الكافة من الخاصة والعامة وعلموا أنه
 لا حجة لهما في دفع الظاهر بدعوى الباطن وأنه لو تم لهما التليس بدعوى
 الكراهة الباطنية لم تتم لهما حجة لأنه لا يسع أحد كراهة بيعة الحق ولا
 يسوغ لأحد خلاف المهاجرين والأنصار في الرضا بما يجتمعون عليه
 من الرضا بامامة المرتضى عليه السلام في ظاهر الحال فكيف بمن يرضى
 برضاء الله له في الباطن والظاهر على كل حال ولأنهما لم يجدا شبهة
 يتعلقان بها في كراهة إمامة أمير المؤمنين (ع) ، مع جمعه للفضل وتقدم
 الإيمان والذب عن الإسلام والجهاد في الدين والبلاء الحسن مع الرسول
 والعلم الظاهر الذي لا يختلف فيه اثنان من العلماء مع الزهد في الدنيا
 والورع عن محارم الله وحسن التدبير وصواب الرأي والرحم الماسية
 منه برسول الله (ص) وما كان منه فيه من الأمور الدالة على استحقاقه
 التقدم على كافة الأنام من الأئمة فلم يولّ عليه والياً قط ولا أقنعه في
 سرية إلا وهو أميرها وسيدها ورئيسها وقائدها وعظيمها وأنه لم
 يفسد أحد على عهد النبي أمراً إلا نذبه إليه فقوى تلافياً فارطه به (ع)
 وكان الأمر إذا أعضل في شيء ناطه به وأبجزه وكفى به وأغنائه
 ورفع اليه من بعده صلى الله عليه وآله من تقدمه في مقامه عند معضل
 الأمور فاستعملوا منه ما كان خافياً عليهم من أحكام الملة وصواب
 التدبير في مصالح الأئمة فلم تلحظ والوزير ان التعلق في خلافه بكراهة البيعة
 شبهة داحضة لا يثبت لهما به حجة عند أحد من الفضلاء والعقلاء وأنه
 لو ثبت ما ادعياه من إكراههما على البيعة لكان أسوأ لالحما عند الأئمة
 والكان له (ع) ، في حكم الشريعة ذلك إذ الأمام القهر على طاعته
 والإكراه على الإجابة إلى ما يلزم للأئمة كف الفتنة وشمول المصلحة

فلما علم الرجلان ذلك ووضع لهما ما ذكرناه في معانيه ولم يكونا ممن يخيل عليهما فساد الدعوى لما ادعياه وقصورهما عن غرضها فيه عدلاً إلى التظاهر بطلب دم عثمان وزعما أن الذي كان منهما قد بانا منه وادعيا أن التوبة لا تصلح أن تتم لهما إلا ببذل الجهد في طلب قاتليه والإقتصاص من ظالميه فاشتبه الأمر بما سارا إليه مما ذكرناه عنهما على المستضعفين واستغويا به كثيراً من العامة البعداء عن فقه الدين وسلكت عائشة في خلافها لأمر المؤمنين «ع» مسلكتها في ذلك فتظاهرت به من الطلب بدم عثمان والإقتصاص من قاتله ومعلوم في شريعة المسلمين أن ذلك ليس لهما ولا إليهما وإنما فيما تكلفاه منه على شبهة باطلة عند الناظرين لانهما لم يكونا أولياء لدم عثمان ولا بينه وبينهما نسب يسوغها للتخاصم في دمه.

المرأة والحجاب :

ولا إلى النساء أيضاً الدخول في شيء من ذلك على وجه من الوجوه إذ ليس عليهن جهاد ولا هن أمر ولا نهى في البلاد والعباد مع ما خص به الله أزواج النبي في الحكم المضاد ولما صنعته هذه المرأة وتبينت فيه بالخلاف فيه للدين وقص الله تعالى في حكم التنزيل حيث يقول جل اسمه : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن) وفرض عليهن سبجانهن التحصن والتجليب ولا يتعرفن إلى أحد لحاء بضد ذلك من التبرج وهتك الحجاب وإطراح الجلباب وإظهار الصورة وإبداء الشخص والتهتك بين العامة فيما لا عندها فيه مع ما ارتكبه من قتال ولي إله الذي فرض عليها إعظامه وإجلاله وأوجب عليها طاعته وحرم عليها معصيته وسفكت فيها صنعت دماء المؤمنين وأثارت الفتنة التي شانت بها المسلمين وأنى يواطىء ذلك ما أمرها الرسول به في الحديث المشهور

دخل ابن أم كلثوم وهو أعمى على النبي (ص) فقال لها قبل دخوله ادخلي الحجاب يا عائشة فاستترى به من هذا الرجل فقالت يا رسول الله انه أعمى ولن يراني فقال (ص) إن لم يراك فانك تريه (١) .

وقال سبحانه فيما أدب به أصحاب نبيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألهن من وراء حجاب ذلك أظهر ألقوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً) (٢) .

فبين الله غز إسمه أن خطاب المؤمنين من أصحابه لأزواج نبيه يؤذيه وإن الإنسباط لهم يشق عليه ويؤله وصانهم لصيائمه واحتراسه فنهى أن يأنس بهن أحد أو يسألن متاعاً إلا من وراء حجاب ونهى عن اللبث في بيته بعد نيل الحاجة من طعامه وغير ذلك لئلا يطول مقامهم فيه فتأنس أزواجه بهن أو يأنسون بكلامهن فكيف هذا يوافق لما فعلته المرأة من مخالطتها للقوم ومسافرتها معهم وإطالة التجوى لهم وكونها بمحمل من لا يحتشم في خطاب ولا كلام ولا أمر

(١) مثل هذا الحديث ما رواه الخازن في تفسيره (ج ٥ ص ٥٧) والبغوي في تفسيره بهامشه كلاهما عن الترمذي وأبي داود عن أم سلمة قالت : كنت وميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم كلثوم فدخل على رسول الله (ص) وذلك بعد ما نزل الأمر بالحجاب فقال رسول الله احتجبا منه فقلنا انه أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال (ص) أفعميا وتانا أنتما ألسما تبصرانه .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٣ .

ونهى ويؤنس بها في كل حال وتصير بذلك كأمير العسكر وقائد الجيش الذي لا يتمكن من الإستخفاء عن أصحابه بحال وان هذا لعجيب عند من فكر فيه ، والحكم بالعصيان لله عز وجل والإطراح والإستخفاف بنواهيه غير مشكل على كل ذى عقل ومن اشتبه عليه ضلالها فهو يعد من الأموات هذا مع قول الله عز وجل : (يانسأ النبي لستن كأحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وعند كل ذى لب عرف الشرع ودان بالإسلام ان أزواج عثمان وبناته وبنات عمه من بنى أمية الذين هم أمس رحماً من عائشة لو كلفن ما تكلفن للقتال وان كن عاصيات خارجات عن شريف الإسلام فما ظنك بالبعيدة نسباً النائبة عنه عقلاً ومنهجاً المقررة على قتله الساعية فى دمه الداعية إلى خلعه المانعة عن نصرته وما الذى أحدثه بعد إنكارها عليه عما يوجب رجوعها عما كانت عليه معتقدة فهل تراه أحدث عملاً صالحاً بعد قتله أو أحياء الله لها فسألتها نصرته أم أوحى الله اليها من باطن أمره ما كان مستوراً عنها ، كلا . لكن الأمر فيما قصدته من حرب أمير المؤمنين ؑ ، وتظاهرت عليه به من عداوته كان أظهر من أن تخفيه بالعلل والأباطيل وقد أجمع أهل النقل عنها على ما ذكرناه فى باطن الأمر وأوضحناه فى وجوه الحجاج وبيناه .

عائشة تبغض علياً :

فصل : فمن ذلك ما رواه كافة العلماء عنها انها كانت تقول : لم يزل بينى وبين علي من التباعد ما يكون بين بنت الاحياء ، وقالت فى خبرها عن قصة الذين رموها بصفوان بن المعطل وما كان منها فى غزوة بنى المصطلق وهجر رسول الله لها واعراضه عنها واستشارته فى اسامة بن

زيد قالت وكان عبداً صالحاً مؤمناً وذكر له قذف القوم بصفوان فقال له اسامة لا تظن يا رسول الله إلا خيراً فان المرأة مأمونة وصفوان عبد صالح ثم استشار علياً عليه السلام فقال له يا رسول الله النساء عليك كثيرة سل عن الخبر بريرة خادمتها وابحث عن سر خبرها منها فقال له رسول الله فتول أنت يا علي تقريرها فقطع لها علي دح، خشباً من النخل وخلل بها يسألها ويتهدها ويرهبها لا جرم أني لا احب علياً أبداً ١٠٠ .

فهذا تصريح منها بيفضها له ومقتها لإياه ولم يكن منه ذلك عليه السلام إلا النصيحة لله ولرسوله واجتهاده في الرأي ونصحه وامتناله لأمر النبي (ص) ومسارعته لطاعته .

ومن ذلك ما رواه كافة العلماء من حديث عكرمة وابن عباس وان عكرمة اخبره عن حديث حدثته عائشة في مرض رسول الله (ص) الذي توفي فيه حتى انتهت من ذلك إلى قولها فخرج رسول الله متوكئاً على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر فقال

١٠٠ روى المفسرون وأرباب الحديث قصة الافك النازل فيها قوله تعالى : (ان الذين جاؤا بالافك) الآية . وارتاحوا لتزيه (صاحبة الجمل) عما قيل فيها ؛ روى ذلك البخاري (ج ٣ - ص ٣٣) ومسلم (ج ٢ - ص ٤٥٥) والحاازن في تفسيره (ج ٥ - ص ٤٦) والبعثي بهامشه وابن جرير الطبري في التاريخ (ج ٣ - ص ٦٧) بالإسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة والى سعيد بن المسيب عنها وإلى علقمة بن وقاص عنها وإلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عنها فالمصدر لنقل الحديث عائشة فقط وأصبحت هذه الإشاعة حديث أندية المدينة . ذلك نبي الله (ص) لأنه لم يتفق ومقامه الطافح بالعظمة القدسية . هنا يقول ابن العربي الأندلسي في أحكام القرآن (ج ٢ - ص ٩٤) -

عبد الله بن العباس لعكرمة فلم تسم لك الآخر قال لا والله ما سمته فقال
أتدري من هو؟ قال لا، قال ذلك علي بن أبي طالب وما كانت والله
أما تذكره بخير وهي تستطيع.

والرواية المشهورة عن ابن عباس حين أنفذه أمير المؤمنين (ع)،
إلى عائشة وهي بالبصرة نازلة في قصر ابن خلف يأمرها بالرحيل إلى
وطنها والرجوع إلى بيتها والحديث مشهور مثبت في كتب الرجال،
وغيرها أن ابن عباس قال لها إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترتجلي إلى
بيتك فقات رحم الله أمير المؤمنين وإن تربدت له وجوه ورغمت له
معاطس؛ هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مرية في صحتها لإتفاق
الرواة عليها أنها لما قتل أمير المؤمنين جاء الناعي فنعى أهل المدينة
فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

- شاور النبي (ص) أسامة بن زيد وعلياً (ع)، في أمرها فقال له
أمير المؤمنين إن الله تعالى لم يضيق عليك والنساء كثير فاسأل الجارية
تصدقك،

هذا كل ما في علبة القوم وما أدري ولا المنجم يدري كيف تغافل
المسلمون عن نقل هذا الحادث الشائع الذي نزل القرآن في اقتضاح
من أشاعه فلم يذكر أحداً ما روته عائشة وانفردت بنقله مع شدة
حرصهم على حفظ ما لا أهمية له من الحوادث، أكلهم تواصلوا بالكتمان
والعادة تبعده أم أن للقصة تخريباً آخراً ولم تكن بذلك الظهور.

نعم، أوقفنا الشيخ الجليل الثبت علي بن إبراهيم القمي من علماء
القرن الثالث على حقيقة سترتها الأحقاد فروى في تفسيره (ص ٤٥٣)
عن رجال أجلاء ثقة عن زرارة بن أعين قال سمعت الباقر (ع)، يقول
لما مات إبراهيم بن رسول الله حزن عليه النبي (ص) فقالت له عائشة
ما الذي يحزنك عليه إنه ابن جريح القبطى فبعث النبي علياً ليقتله -

فان يك ناعياً فلقد نعاہ انا من ليس في فيه التراب
فقال لها زينب بنت أبي سلى ألعلي تقولين ؟ قضا حكت ثم
قالت أنسى فاذا نسيت فذكروني ثم خرت ساجدة شكراً على ما بلغها من
قتله ورفعت رأسها وهي تقول « ١ » :

فأقمت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينا بالإياب المسافر
هذا وقد روى عن مسروق انه قال دخلت عليها فاستدعت غلاماً
باسم عبد الرحمن قالت عبدى قلت لها فكيف سميت به عبد الرحمن قالت
حباً لعبد الرحمن بن ملجم قاتل على .

- يخاف منه جريح فتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فاذا ليس
له ما للرجال فرجع على د ع ، إلى رسول الله (ص) واخبره بما رأى فقال
(ص) الحمد لله الذى صرف عنا السوء أهل البيت ثم نزلت هذه الآية:
(إن الذين جاؤا بالافك) وفى ص - ٦٤٠ - من التفسير روى عن
الصادق أن رسول الله كان عالماً بكذبها ولكنه أراد أن يدفع القتل
عن جريح وترجع المرأة عن ذنبها .

وفى شرح النهج لابن أبى الحديد (ج ٢ - ص ٤٥٧) كانت
اماتشة جراً على رسول الله حتى كان منها فى أمرارية ما كان من
الحديث الذى أسره إلى الزوجة الأخرى وأدى إلى تظاهرها عليه فزل
فيهما قرآناً يتلى فى المحارب يتضمن وعيداً غليظاً عقيب تصريح
بوقوع الذنب .

ولم تخف هذه الظاهرة على شيخنا المفيد ولكنه مشى فى نقل القصة
عنها مع المؤرخين ليسجل عليها اعترافاً بالمباينة لأمير المؤمنين التى
لا يستحق فيها شيئاً جاء به من قبل نفسه وإنما هو يمثل أمر رسول الله
فى تعقيب المرأة لتعترف بالحقيقة ويستبين الحال .

« ١ » ، البيتان فى تاريخ الطبرى (ج ٦ ص ٨٧) .

والخبر مشهور أنه لما بعث اليها أمير المؤمنين بالبصرة أن ارتحلي
 عن هذه البلدة قالت لا أريتم مكانى هذا فقال لها أمير المؤمنين أم والله
 لارتحلين أو لأبعثن اليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشغار
 حداد فقال لرسوله ارتحل فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إلي من
 مكان يكون هو فيه ، وأمثال هذا مما لو أثبتناه لطلال به الكتاب وما
 يؤكد ما ذكرناه من أن غرض القوم كان في مباينة أمير المؤمنين (ع)
 ومظاهرته بالخلاف وأنه لم يكن لإقامة حق واجتهاد ورأى في إصابة
 طاعة وحوز مشوبة بل كان لضغائن بينه وبينهم لأسباب سائلة وآنف
 أو طمع في عاجل أو حسد له وبغى عليه .

عائشة تفرح وتحزن :

وان حكم المرأة لما ذكرناه ظاهر لذوى الاعتبار ، وما أجمع على
 نقله رواة الآثار ؛ وفقلة السير والأخبار أنه لما قتل عثمان بن عفان
 خرج البغاة إلى الآفاق فلما وصل بعضهم إلى مكة سمعت بذلك عائشة
 فاستبشرت بقتله وقالت قتلته أعماله أنه أحرقت كتاب الله وأمات سنة
 رسول الله فقتله الله ، ومن بايع الناس ؟ فقال لها الناعى لم ابرح المدينة
 حتى أخذ طلحة بن عبد الله نعاجاً لعثمان وعمل مفاتيح لأبواب بيت
 المال ولا شك أن الناس قد بايعوه فقالت أى هذا الاصييع وجدوك لها
 محسناً وبها كافياً ثم قالت شدوا رحلي فقد قضيت عمرتي لا توجه إلى
 ١٠ ، في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٦٠) كانت
 عائشة أشد الناس عليه تأليفاً وتحريضاً فلما سمعت بقتله قالت أبعد الله
 وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فتعود الإمرة نيمية فلما سمعت أن البيعة
 تمت اهلى «ع» صاحت واعثماناه قتل عثمان مظلوماً ؛ ونقل ذلك عن
 شيخه المعتزلى أبي يعقوب يوسف اللباني .

منزلي فلما شدوا رحالها واستوت على مركبها سارت حتى بلغت (سرفا) موضع معروف بهذا الاسم اقيها ابراهيم بن عبيد بن ام كلاب فقالت ما الخبر؟ فقال قتل عثمان قالت قتل نعل؟ ثم قالت اخبرني عن قصته وكيف كان أمره؟ فقال لها أحاط الناس بالدار وبه ورأيت طلحة بن عبد الله قد غلب على الأمر واتخذ مفاتيح على بيوت الاموال والخزائن وتهايم ليبياع له فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب «ع» ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره وخرجوا في طلب علي يقدمهم الاشر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر رحمه الله حتى أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه فقالوا له بايعنا على الطاعة لك فتفكر ساعة فقال الاشر يا علي ان الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس .

قال وكان في الجماعة طلحة والزبير فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلى كلام قبل ذلك فقال الاشر لطلحة قم يا طلحة فبايع ثم قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما بييمته ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر فتكلم بكلام لا أحفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم ما جرى بعدي .

فقلت يا أخا بني بكر أنت رأيت طلحة بايع علياً؟ فقلت اي والله رأيته بايعه وما قلت إلا رأيته طلحة والزبير أول من بايعه فقالت إنا لله اكره والله الرجل وغضب علي بن أبي طالب أمرهم وقتل خليفة الله مظلوماً ردوا بغالى ردوا بغالى فرجعت إلى مكة .

قال وسرت معها فجعلت تسألني في المسير وجعلت اخبرها ما كان فقالت لي هذا بعهدى وما كنت اظن ان الناس يعدلون بعن طلحة مع بلائه يوم احدثت فان كان بالبلاء فصاحبه الذي بويع ذو بلاء وعناء فقالت يا أخا بني بكر لا تسلك غير هذا فاذا دخلت مكة وسألك الناس ما رد

ام المؤمنين قتل القيام بدم عثمان والطلب به .
وجاءها يعلى بن منبه فقال لها قد قتل خليفتك الذى كنت تحرضين
على قتله فقالت برأت إلى الله من قتله .

قال الآن ؛ ثم قال لها اظهري البراءة ثانياً من قاتله فخرجت إلى
المسجد فجعلت تتبرء من قتل عثمان ، وهذا الخبر يصرح مضمونه عما
ذكرناه من أنها لم تزل مقيمة على رأيها فى استحلالها دم عثمان حتى بلغها
أن أمير المؤمنين قد بويع وبايعه طلحة والزبير فقلبت الأمر وأظهرت
ضد الذى كانت عليه من رأى وأنه لو تم الأمر لطلحة لأقامت
ما كانت عليه وإن طلحة والزبير كانا فى الاول على عثمان وإنما رجعا
عنه لما فاتهما بما كانا يأملانه من ذلك ولم يرجعا عنه لما أظهره من بعد
الندم على قتل عثمان والدعاء إلى قتله ولا رجعا عنه استبصاراً بضلالة
ما كانا يأملانه فى ذلك وإن الذى ادعته الحشوية لهم من اجتهاد الرأى
باطل ومنحل وإن دعوى المعتزلة فى الشبهة عليهما فيما صاروا اليه من
خلاف أمير المؤمنين عليه السلام ايس بصحيح .

بل الحق فى ذلك ما ذهبت اليه الشيعة فى تعمدتها خلافه وأسباب
ذلك العداوة له والشقاق مع الطمع فى الدنيا والسعى فى عاجلها والميل
للتأمر على الناس والتملك لامرهم وبسط اليد عليهم وإن الرجلين خاصة
لما أيسا من نيل ما طمعا فيه من الأمر فوجدا الأمة لا تعدل بأمر المؤمنين
أحداً وعرفا رأى المهاجرين والانصار فن أرادا الخطوة عنده
بالبدار إلى بيعته وظنا بذلك شركاه فى أمره فلما استويا بالحال من بعد
وصح لها رأيه (ع) وتحققا انها لا يليان معه أمراً فامتحنا ذلك
مع ما غلب فى ظنهما بما ذكرناه بأن صاروا اليه بعد استقرار الامر ببيعة
المهاجرين والانصار وبنى هاشم وكافة الناس إلا من شذ من بطانة
عثمان وكانوا على خفاء لاشخاصهم مخافة على دمائهم من أهل الإيمان

فصارا إلى أمير المؤمنين فطلب منه طلحة ولاية العراق وطلب منه الزبير ولاية الشام فأمسك علي عن إجابتهما في شيء من ذلك فانصرفا وهما ساخطان وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما قبل من رأيه (ع) فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صارا إليه واستأذنا عليه فأذن لهما وكان في عليّة داره فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه وقالا يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة وقد جئناك لتدفع إلينا شيئا نصلح به أحوالنا ونقضى به حقوقاً علينا فقال عليه السلام قد عرفتما مالي (ينبع) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر فقالا لا حاجة لنا في مالك (ينبع) فقال لهما ما اصنع؟ فقالا له اعطنا من بيت المال شيئا لنا فيه كفاية فقال سبحانه الله وأى يد لي في بيت المال وذلك للمسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم فإن شئتما رقيتاً المنبر وسألتما ذلك ما شئتما فإن اذنوا فيه فعلت وأنى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم لكني أبدى لكما عذراً فقالا ما كنا بالذي نكلف ذلك ولو كلفناك لما اجابك المسلمون فقال لهما ما اصنع؟ قالوا قد سمعنا ما عندك ثم نزلنا من عليّة وكان في أرض الدار خادمة لا أمير المؤمنين سمعتهما يقولان والله ما بايعنا بقلوبنا وإن كنا بايعنا بالسنتنا فقال أمير المؤمنين عليه السلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فن نكت فانما ينكت على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ، فتركاه يومين آخرين وقد جاءتهما الخبر باظهار عائشة بمكة ما أظهرته من كراهة أمره وكراهة من قتل عثمان والدعاء إلى نصره والطلب بدمه وان عمال عثمان قد هربوا من الامصار إلى مكة بما احتجبهوا من أموال المسلمين ولخوفهم من أمير المؤمنين ومن معه من المهاجرين والانصار وان مروان بن الحكم بن عم عثمان ويعلى بن منبه خليفته وعامله كان باليمن وعبد الله بن عامر بن كريز ابن عمه وعامله كان على البصرة وقد

اجتمعوا مع عائشة وهم يدبرون الامر في الفتنة ، فصار إلى امير المؤمنين عليه السلام وتيما وقت خلوته فلما دخلا عليه قال يا امير المؤمنين قد استأذناك للخروج في العمرة لانا بعيدان العهد بها لئذن لنا فيها فقال وافقه ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الصدرة ، وانما تريدان البصرة فقالا اللهم غفرأ ما نريد إلا العمرة فقال عليه السلام احلفا لي بالله العظيم انكما لا تفسدان على امر المسلمين ولا تنكثان لي ببيعة ولا تسعيان في فتنة فبذلا الستهم بالايمان المؤكدة فيما استخلفهما عليه من ذلك فلما خرجا من عنده لقيهما ابن عباس فقال لهما اذن لكما امير المؤمنين ؟ قال نعم .

فدخل على أمير المؤمنين فابتداه عليه السلام فقال يا ابن عباس أعندك الخبر قال قد رأيت طلحة والزبير فقال (ع) انهما استأذنانى في العمرة فأذنت لهما بعد ان استوثقت منهما بالايمان ان لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً وافقه يا ابن عباس وانى اعلم انهما ما قصدا إلا الفتنة فكأنى بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربى فان يعلى بن منه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك وسيفسدان هذان الرجلان على امرى ويسفكان دماء شيعتى وانصارى .

قال عبد الله بن عباس إذا كان ذلك عندك يا امير المؤمنين معلوماً فلم اذنت لهما وهلا حبستهما واوثقتهما بالحديد وكفيت المسلمين شرهما .

فقال له عليه السلام يا ابن عباس اتأمرنى بالظلم ابدأ وبالنيئة قبل الحسنة واعاقب على الظنة والتهمة واوآخذ بالفعل قبل كونه كلا والله لا عدلت عما اخذ الله على من الحكم والعدل ولا ابتدأ بالفصل . يا ابن عباس اننى اذنت لهما واعرف ما يكون منهما ، ولكنى استظهرت بالله عليهما والله لا قتلتهما ولا خيبن ظنهما ولا يلقيان من الامر مناهما وان الله يأخذهما بظلمهما لي ونكشهما بيعتى وبغيهما على وهذا الخبر الذى تقدم مع ما ذكرناه من وجودهما في اثر مصنفات اصحاب السيرة وقد اورد

ابو مخنف لوط بن يحيى فى كتابه الذى صنفه فى حرب الجبل وجاء به
 الثقفى عن رجال الكوفيين ، والشاميين ، وغيرهم ولم يورد احد من
 اصحاب الآثار قتيضه فى معناه ولا ثبت ضده فى خواه ، ومن تأمل
 ذلك علم ان القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية فى الدين ولا
 للسليين ، وان الذى اظهروه من الطلب بدم عثمان انما كان تشبيهاً
 وتليسياً ، على العامة والمستضعفين ولولا ما جعلوه من شعارهم بدعى
 الانتصار بعثمان ، والتظاهر بتظيم قاتليه وغاذليه والندم على ما فرط منهم
 فيه لما اختلف اثنان من العلماء واتباعهم فى صواب رأى المسلمين بما كان
 فى عثمان وانهم انما اجتمعوا على خلعه وقتله باستحقاقه ذلك بالاحداث
 التى احدثها فى الدين واسكنهم ضلوا بما اظهروه وافسدوا افساداً عظيماً
 بما اظهروه ، ولم يثر المستضعفين فى هذا الباب إلا لتأنيهم عن معرفة
 الاخبار وتدبر الآثار واشتبه الامر فيه على جماعة النظار بجهلهم بما
 اثبتناه فى ذلك من الحديث ، وبعدهم عن معرفة طرقة واهل جمهورهم
 لم يسمع بشيء منه فضلاً عن تدبره وكل من ضل عن سبيل الحق إنما
 ضل بالتقليد ، وحسن الظن بمن لا يحسب حسن الظن لله فيه واعتقاد
 فضل من قد خرج عنه بسوء رأى ، وطريق الانصاف ، فيما ذكرناه
 والنظر فيما وصفناه والتأمل لما اثبتناه من الاخبار فيه وشرحناه
 والرجوع إلى اهل السير وإلى اختلافهم فى الآراء والمذهب وإلى كتبهم
 المصنفة فى الفتن تعرف ذلك منهما ومن تدبر الامر يجد على ما وصفناه
 واقعاً ولى التوفيق .

برائة أمير المؤمنين من الدم :

باب آخر فى القول فيما يتصل بالمقدم من الكلام فى معانيه ثم قد
 اشتبه الامر فى رأى أمير المؤمنين عليه السلام ومذهبه فى حصر عثمان

وقتله وتشعب اقوال المختلفين في ذلك ، فلم اجد أحداً من متكلمي
 اصحابنا الامامية حصر القول في ذلك ، ولا كلاماً في معناه يوضح
 عن الغرض الملتبس على العقلاء وكان كل فريق عدا الامامية من اهل
 القبلة يقولون في ذلك بظن او ترجيم ، ولا يضع يده في شيء منه على
 معرفة و يقين ، والذي تدل الدلائل عليه من رأى امير المؤمنين (ع)
 فيما صنعه القوم بعثان من الحصار ومطابته بالخلع ، ومنعه الطعام
 والشراب ، لعدم الاجابة لهم على ما دغوه اليه من اعتزال الامر ثم
 الهجوم عليه بالقتل والقائه على بعض المزابيل لا يريدون الصلوة عليه
 ولا الدفن له ويمنعون من ذلك على ما اجمعت عليه رواة الآثار والاختبار
 والمتفق على صحته العلماء بالسير من الآثار فقد ذكره (ع) بجملة من ذلك
 وعزل القوم فيه غير انه لم يواطى على كراهة غيره ، على نيته فيه ولا
 وافق سواء من مخالفيه على طويتهم في معناه ، وذلك انه عليه السلام
 لم يشرع مع القوم في دعاء عثمان إلى الاعتزال ، ولا رأى ما رأوه من
 حصاره وما ولى ذلك من افعالهم به وانه عليه السلام علم عاقبة الامر
 في ذلك وتحققها ولم يخف عليه ما يكون في مستقبل الاوقات في الفتنة
 بذلك ، والاختلاف والحروب ، وسفك الدماء ، فان مخالفيه لقديم
 العداوة له والبغضاء منهم له (ع) والشنآن والحسد والبغى عليه
 بالطغيان سيقرفونه بقتل عثمان ، والسعى في دمه بهتاناً له في ذلك على
 ما ذكرناه من الظغناء في الدين البعداء عن علمه ، ولم يصر إلى الاعتزال
 بما صنعه القوم بالرجل لولائه ولا اعتقاد الجليل فيه ؛ وكيف يكون
 اعتزاله لهم فيما رأوه من خلعه وحصره وقتله واعتقاد الحق له عليهم
 وثبوت إمامته بحكم الله في ذلك كما ظنه اولياء الرجل وهو عليه السلام
 يعلم انه مظلوم بدفعه عن الامر بعد النبي (ص) وتقدم عليه من لا يستحق
 ذلك والتصغير من شأنه والخط بذلك له عن قدره والاغراء في السعاية

بذلك في جحد فضله وإنكار فضله وتظلمه من القوم جميعاً في مقام على التلويح والتصريح والتحقيق والتعريض .

بقوله (ع) اللهم انى استعديك على قریش فانهم ظلونى ومنعونى حتى وصغروا شأنى ومنعونى حتى اى ار فى مقام مشهور .
وقوله (ع) فى مقام آخر اللهم اجز قریشاً عنى الجوازى فقد ظلونى ومنعونى حتى وصغروا شأنى ومنعونى ارثى .

وقوله (ع) فى مقام آخر لم ازل مظلوماً منذ قبض رسول الله .
وقوله (ع) اللهم اجز عمرأ اقد ظلم الحجر والمدر .
وقوله (ع) والذى فلق الحبة وبرأ النسمة اقد عهد النبى (ص) الى ان الامة ستغدر بك من بعدى .

وقوله (ع) فى مقام آخر لما قبض الله نبيه لم يكن يرى أحداً بهذا الامر منا اهل البيت حتى قوى عليه غيرنا فابترنا حقنا منه .
وقوله (ع) لما مضى نبينا (ص) وتقلدها ابو بكر والله اعلم لانى اولى بها منه كقيسى هذا وقبض قميصه بيده .

وقوله (ع) فى خطبته المشهورة اما والله لقد تقمصها ابن قحافة وانه اعلم ان على منها محل القطب من الرحي ينحدر عنى السيل ولا يرقى الى الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، وطفقت ارتأى بين ان اصول بيد جزاء ، او اصبر على طخية عماية ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن ، حتى يلقي ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احبى فصبرت وفى العين قذى ، وفى الحلق شجى ، ارى تراثى نهياً ، حتى اذا حضر أجله جعلها فى صاحبه عمر فياجبأ بينا هو يستقبلها فى حيوته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .

وفى كلامه المشهور حتى انتهى الى الشورى فذكر عمر وقال لجعلها شورى فى ستة ازمع لنى اقدم فى الله وللشورى متى اختلج الرب

في مع الاولين حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر .
ثم انتهى في كلامه إلى بيعة عثمان فذكر عبد الرحمن في اختياره
لعثمان عليه وقال ونهض واحد اضغنه ومال الآخر اصهره وكان
عبد الرحمن صهراً لعثمان على اخته في الكلام الثابت في الخطبة الى آخرها
وقوله (ع) في اول خطبة خطبها بعد قتل عثمان وبيعة الناس له
قد مضت امور كنتم فيها غير مخدو الرأي اما لو اشاء اقلت ولكن
عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه
وفرجه ياريله لو قص جناحه وقطع رأسه لكان خيراً له حتى انتهى
إلى قوله وقد اهلك الله فرعون وهامان وقارون .
فيما يتصل بهذه الخطبة إلى آخرها .

وقوله (ع) عند بيعة عبد الرحمن لعثمان يوم الشورى والله
ما املت إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم (١)
ثم انصرف في امثاله لهذا الكلام كثيراً ان قصدنا إثباته اطال به
الكتاب وفي ثبوت النص على امير المؤمنين بالامامة في القرآن والايخبار
المتواترة عن النبي (ص) اوضح دليل على انه (ع) لم يكن قاضياً
بتقديم أحد عليه في مقام النبوة ولا مصوباً لهم في ادعاء الامامة فكيف
وقد تظاهرت الاخبار بما ذكرناه وما كشف به عن عقيدته فيه ورأيه
في القوم على ما بيناه ولو لم يكن نص عليه بالامامة ولا ورد عنه مقال
في إنكار ما صنعه القوم في التقديم عليه في الامر لكان الدليل القاهر
على فضله (ع) بثبوته عن جماعتهم بذلك كافياً في كراهة امرهم
وإنكاره عليهم ولو فسد الطريق في ذلك اجمع واشتبه الامر فيه لم
يعترض ريب في إنكاره احداث عثمان بن عفان التي اجمع على إنكارها
المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وما تظاهرت به الاخبار من

(١) تقدم بيان هذا المثل .

مواليه د ع ، على الانكار في مقام بعد مقام .

ما نقم به على عثمان :

ألا ترى إلى ما جاءت به الاخبار من إنكاره (ع) ادراء الحد
عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقد استحق القود بقتله الهرمزان
ومن قتل معه من اهل العهد بغير حق بمقتضى شريعة الاسلام ولما
طالبه القوم للقود منه تعلق عثمان ، تارة بأن اباه قتل ولا يرى قتله اليوم
اثن لا يجترأ المسلمون بذلك وتواتر عليهم الهموم والغموم ولما خاف من
الاضطراب له والفساد فرد عليه امير المؤمنين (ع) هذا الرأي وأعله
ان حدود الله لا تسقط ولا يجوز تطبيقها بمثل هذا الاعتلال (١)
فعمل عثمان إلى تعلق آخر بأن في إسقاط الحد عن ابن عمر خلافاً
على رأى امير المؤمنين فيه ومضادته فيما دعاه اليه وأشار به عليه في
حكم الله تعالى وقال الهرمزان رجل غريب لا ولى له وانا ولى من
لا ولى له وقد رأيت العفو عن قاتله فقال له امير المؤمنين ليس للامام
ان يعفو عن حق يتعلق بالمخلوقين إلا ان يعفو الاولياء عنه وليس له
ان يعفو عن ابن عمر ولكن ان اردت ان تدرأ الحد عنه فأد الدية الى
المسلمين الذين هم اولياء الهرمزان او اقسما مع ما في بيت المال على
مستحقه فلما رأى امير المؤمنين دفاع عثمان عن الحد الواجب في حكم
الله وتعلقه في ذلك قال له اما انت فطالب بدم الهرمزان يوم يعرض

- (١) في صحيح البخارى (ج ٢ - ص ٢٦٢) وصحيح مسلم
(ج ٢ - ص ٣٢) والمستدرک عليهما للحاكم (ج ٤ - ص ٣٧٩)
ومسند احمد (ج ٣ - ص ٣٨٦) وسنن ابى داود والسنجستاني (ج ٤
- ص ١٣٢) ان النبي (ص) قال الحدود لا تسقط بحال فلم يقبل
شبهة احد في سارقة الخلى حتى قطع يدها .

الله الخلق للحساب واما انا فاقسم بالله فاني لان وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لاخذت حق الله منه وان رغم انف من رغم فاستدعى عثمان عبيد الله ليلاً وأمره بالحرب من أمير المؤمنين (ع) فخرج من المدينة ايلاً وقد أصبحه عثمان كتاباً أقطعه فيه قرية من قرى الكوفة وهي (كويضة ابن عمر) فلم يزل بها حتى ولي أمير المؤمنين (ع) فكان من جملة المعاندين له واجتهد في حربه مع جند الشام فقتله الله بغيضه ولقاه أعماله وكفى المسلمين شره .

ولما ورد أهل الكوفة يتظلمون من الوليد بن عقبة بن أبي معيط ويشهدون عليه بشرب الخمر وسكره وصلوته فيها بالناس الفجر وهو سكران وانه قام بالخمر ونام في موضعه حتى حمل منه وجعل مواضع القرآن شغراً مشهوراً ، فاغتاظ عثمان من الشهود وتغير عليهم وأمر بضربهم فصاروا إلى أمير المؤمنين (ع) يشكون اليه أمرهم وما حل بهم من عثمان فقام (ع) حتى دخل عليه فلما رآه عثمان قال مالك يا ابن أبي طالب أحدث أمر؟ قال نعم حدث أمر عظيم ، قال وما ذاك؟ قال عطلت الحدود وضربت الشهود ، فقال عثمان فما ترى؟ قال أرى أن تعزل أخاك عن الكوفة وتستدعيه وتقيم عليه الحد قال أنظر في هذا (١) .

ولما كان من إنكار أبي ذر وإجداث عثمان ما كان ودخل عليه في بعض الأيام وعنده قوم يمدحونه بالأباطيل فأخذ بيده كفاً من التراب وضرب وجوههم فقال له عثمان ويلك ما هذا تضرب وجوه المسلمين بالتراب قال انه لم أفعل إلا ما أمر به رسول الله (ص) بقوله إذا رأيتم

(١) ابن الأثير (ج ٣ - ص ٤٠) حوادث سنة ٣٠ ، والاعاني (ج ١ - ص ٢٠ و ج ٤ ص ١٧٦) وتاريخ يعقوبي (ج ٢ - ص ١٤٢) .

المداحين فاحشوا في وجوههم التراب وقد رأيت هؤلاء يتقربون
بالأباطيل اليك ويمدحونك بما ليس فيك فقال عثمان كذبت فهو إذا
يكذبه ويغلظ له في القول وأبو ذر يخاصمه إذ دخل أمير المؤمنين
فقال له عثمان يا علي أما ترى هذا الكذاب كيف يكذب على رسول الله
فقال له علي إنزل له يا عثمان فيما قال بمنزلة مؤمن آل فرعون قال الله تعالى
(إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً صبكم بعض الذي يعدكم)
فغضب عثمان وقال اسكت بفيك التراب فجاء د ع ، على ركبته ثم قال
بل بفيك التراب سيكون (١) ولما حضر الوليد لإقامة الحد عليه أخذ
عثمان السوط فالتفاه إلى من حضر من الصحابة وقال وهو مغضب
من شاء منكم فليقم الحد على أخى فأحجم القوم عن ذلك فنهض أمير
المؤمنين (ع) ويده السوط إلى الوليد فلما رآه الوليد يقصد نحوه
ليضربه نهض من موضعه لينصرف فبادر إليه فقبضه وشمته الوليد
فسبه علي د ع ، بما كان أهله وتعتته حتى أثبت إقامة الحد عليه
فاستشاط عثمان من ذلك وقال له ليس لك أن تعنفه يا علي ولا لك أن
تسبه فقال له عليه السلام بل لي أن أقهره على الصبر على الحد وما سببته
إلا لما سبني وباطل وقلت فيه حقاً ثم ضربه بالسوط وكان له رأسان
أربعين جلدة في الحساب بثمانين فحقدها عليه عثمان .

ولما ورد عثمان طريد رسول الله وهو الحكم بن أبي العاص الذي
لعنه الله وقد كان نفاه النبي من المدينة إلى الطائف وذلك أنه كان يؤذى
النبي حتى بلغ من أذاه له أنه كان يتسلق على حائط بيته إبراهيم مع أزواجه
فضربه د ص ، وهو متطلع عليه ولما وقعت عيناه في عينه كبح في
وجه النبي ثم نزل وكان النبي إذا مشى مشى خلفه الحكم يتخلع في
مشيته يحكيه وكان من رسول الله د ص ، التفاتة إليه فقال له كن كما

(١) راجع تاريخ يعقوبي د ج ٢ - ص ١٤٨ ، ط النجف .

أنت فلا يقدر على المشي بعدها إلا مغلجاً وكل من يقف نصب عينه فإذا تكلم (ص) يذكر شيئاً من الوحي إليه وشرح لأمته من الدين شيئاً ووعظهم وأنذرهم أو وعدهم أو رغبهم وعلم شيئاً من الحكم لوى شدقيه في وجهه يحكيه ويعيب به فلما طال ذلك منه على رسول الله وقد كان يداري قومه من قبل بالصبر عليه فنفاه إلى الطائف وأباح دمه متى وجد بالمدينة وقضى رسول الله والحكم مطروداً فلما ولي أبو بكر جاءه عثمان فسأله في رده فامتنع عليه وقال له قد مضى رسول الله ولم يأذن له في الرد فاني لا أردته فلما مات أبو بكر وولي عمر جاءه عثمان يسأله في رده فقال له ائذ كنت سألت رسول الله في ذلك فلم يجبك وسألت أبا بكر فلم يجبك ولست أرى لإجابتك إلى ما سألت فأمسك يا عثمان فاني لا اخالف صاحبي (١) .

ولما ولي عثمان الأمر استدعاه من الطائف إلى المدينة وآواه وحباه وأعطاه وقطعه المريد بمدينة الرسول فعظم ذلك على المسلمين وقالوا آوى طريد رسول الله وحباه وأعطاه وصاروا إلى أمير المؤمنين دح ، فسألوه أن يكلمه في إخراجهم عن المدينة وردده إلى حيث نفاه النبي فجاءه أمير المؤمنين وقال له قد علمت يا عثمان ان النبي قد نفى هذا الرجل عن المدينة ولم يردده وان صاحبيك سلكا سبيله في تبعيده واتباع سنته في ذلك وقد عظم على المسلمين ما صنعت في رده وإيوانه فاخرجه عن المدينة واسلك في ذلك سنة النبي (ص) فقال يا علي قد علمت مكان هذا الرجل مني وانه عني وقد كان النبي (ص) أخرجه عن المدينة لبلاغه ما لم يصلح عليه وقد مضى النبي لسبيله ورأى أبو بكر وعمر ما رأياه وأنا أرى أن أصل رحمي وأقضى حق عني وهو ليس شر أهل

(١) الإصابة لابن حجر (ج ١ - ص ٣٤٥) والاستيعاب بهامشها ص ٣١٧ .

الأرض وفي الناس من هو شر منه .

فقال (ع) والله أئن بقيت يا عثمان ليقول الناس فيك ما هو شر من هذا ولما كان من عثمان من تفريق ما في بيت المال على أوليائه وأقربائه وإخراج خمس مال إفريقية إلى مروان بن الحكم وتسويغه إياه (١) وجائه زيد بن ثابت بمائة ألف درهم من بيت المال واقطاعه من أقطع من أرض المسلمين وأجازته الشعراء بكثير من مال المسلمين أعظم المسلمون ذلك وفزعوا إلى علي (ع) فدخل عليه ووعظه وذكر له ما عليه المسلمون من إنكاره بما عمله فسكت عثمان ولم يحبه بحرف فلما طال على أمير المؤمنين سكوته قال له بماذا أرجع إلى المسلمين عنك ؟ ألك عذر فيما فعلت ؟ قال انصرف يا ابن أبي طالب فساخرج إلى المسجد وتسمع مني جواب ما سألت عنه .

ثم خرج عثمان بعد وقت العصر حتى صعد المنبر واجتمع المسلمون لسماع كلامه فقال : معشر الناس قد بلغني خوضكم في برى أهل بيتي ووصلي لهم وحباي لمن حبوت من أهلي وأوليائي وأقربائي أن رسول الله من بني هاشم لحبا أهله ووصلهم وجعل لهم الخمس نصيباً ووفره عليهم ونحلهم صفو الأموال وأغناهم عن السؤال وإن أبا بكر حبا أهله وخصهم بما شاء من المال وإن عمر حبا بني عدي واصطفاهم وخصهم بالأكرام والاعظام وأعطاهم ما شاء من المال وإن بني أمية وعبد شمس أهلي وخاصتي وأنا أخصهم بما شئت من المال أما والله لو قدرت على مفاتيح الجنة لسلستها إلى بني أمية على رغم أنف من رغم .
فقام عمار بن ياسر فأخذ بطرف أنفه وقال والله إن أنفي أول انف يرغم بذلك .

(١) في البداية لابن كثير (ج ٧ - ص ١٥٨) أن عثمان أعطى آل مروان ألف دينار وعشرين ألف ديناراً .

وتفرق المسلمون على سخط من مقالته وجاءه خزان بيت المال
فألقوا المفاتيح بين يديه وقالوا لا حاجة لنا فيها وأنت تصنع في أموال
الله ما تصنع .

ولما كتب المسلمون كتاباً يذكرون فيه ما ينكرون من أحواله
التمسوا من يوصله إليه ليقف عليه فيرجع عن ذلك أو يعرفون رأيه فيه
فوقع اختيارهم على عمار بن ياسر رحمه الله فضمن لهم عرض الكتاب
عليه وأخذوا واستأذنوا عليه حاجبه في إيصاله إليه فأذن له فدخل عليه
وقد لبس ثيابه وهو يلبس خفيه فقال له مرحباً بك يا عمار فيما جئت ؟
قال جئت بهذا الكتاب فأخذه من يده فلما قرأه تغير واستشاط غضباً
وقال له يا عاص بظرامه أنت تجترى علي وتلقاني بما أكره ووثب إليه
فدفعه حتى انصرع على الأرض وداس بطنه وعورته حتى اغشى عليه
فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وعرف المسلمون
ذلك فأذكروه .

وقال فيه أمير المؤمنين ما هو مشهور ، وروى ذلك محمد بن اسحق
عن الزهري وأبو حذيفة القرشي عن رجاله وغيرهما من أصحاب السير
وقد كان من أمير المؤمنين د ع ، له وعظ مشهور في مقامات آخر
وكان بينه وبينه هنات ومهاجرات ومباينات في أوقات متفرقات .

فمن ذلك ما رواه أبو حذيفة القرشي قال حدثني اسحق بن محمد قال
حدثني الحسن بن عبد الله عن عبيد الله بن عباس عن عكرمة قال
كان بين عثمان بن عفان وبين علي د ع ، كلام على عهد عمر بن الخطاب
فقال له ما تقول في ما ذنبني والله ما تحبكم قريش أبداً بعد سبعين رجلاً
قتلتم منهم يوم بدر كانوا هم شنوف الذهب .

علي ينصح عثمان :

وروى المدائني عن علي بن صالح قال ذكر ابن داب قال لما عاب الناس علي عثمان ما عابوا كلوا علياً فيه فدخل عليه وقال ان الناس ورائي قد كلوني فيك فوالله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فتخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغك وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله (ص) كما صحبنا وما ابن أبي قحافة ولا ابن أبي الخطاب بأولى بشيء من عمل الخير منك وأنت أقرب الى رسول الله وقد نلت من صهره ما لا ينال ولا سبقك إلى شيء فوالله الله في نفسك فانك والله لا تبصر من عمي ولا تعلم من جهل وان الطريق لواضح بين وان أعلام الدين لقائمة تعلم يا عثمان ان أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله ان كلا ابنين وان السنن لقائمة لها أعلام وان البدع لظاهرة لها أعلام وان شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به فأمات سنة معلومة وأحيى بدعة متروكة وإنى سمعت رسول الله يقول : يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرمح ثم يرتطم في غمرة جهنم وإنى أحذرك الله واحذرك سطوته وقماته فان عذابه شديد ألیم واحذرك أن تكون إمام هذه الامة المقتول فانه كان يقال يقتل في هذه الامة إمام فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة وتلبس امورها عليها وتنشب الفتن فلا يبصرون الحق املوا الباطل بموجون فيها موجاً وبمرجون فيها مرجاً .

فقال له عثمان كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم فقال دع ما كان في المدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله

وصول امرك اليهم فقال عثمان والله قد علمت ما تقول أما والله لو كنت
بمكاني ما أغضبتك ولا عتبت عليك ولا جئت منكراً ولا علمت سوا
إن وصلت رحماً أو سددت خلة (١) .

ثم خرج عثمان فجلس على المنبر مغضباً وقال : اما بعد فان لكل شيء
آفة ولكل امرء عاهة ، وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيايون
طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون
امثال النعام يتبعون اول ناعق احب مواردنا اليها البعيد لا يشربون
إلا نفضاً ولا يردون إلا عكراً لا يقوم لهم رائد وقد اعيتهم الامور
وتعذرت عليهم المكاسب ألا فقد والله عيتهم على بما اقررتهم لابن الخطاب
بمثله ولكنه وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدتهم له
ما احببتهم او كرهتم واوطأت لكم كتفي وكففت يدي واساني عنكم
فاجترأتم على أما والله لانا اعز نفراً واقرب ناصراً واكثر عدداً
واقن ان قلت لم اتى الى ولقد اعددت لكم اقرانكم وكثرت لكم
عن نابي واخرجتكم مني خلقاً لم اكن احسنه ومنطقاً لم اكن به انطق
فكفوا عني الستكم وطعنكم وعيبكم على ولا تكم فاني قد كففت عنكم
من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ألا فها
تفقدون من حكم والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي
وما وجدتم تختلفون عليه فما بالكم .

فقال مروان بن الحكم ان شئتم حكما بيننا وبينكم السيف فنحن
واقم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم مفارسكم تبنون في دمن الثرى
فقال عثمان لمروان اسكت أسكتك الله دعني واصحابي ثم نزل

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ و ص ٩٧) .

عثمان (١) فلما كان بعد ايام عاد اليه على دع ، فوعظه فقال است ابدء بك واني لا علم شأنك لي دعني واصحابي فقال دع ، لقد اديت اليك ما اوجب الله علي وخرج من عنده .

خطبة عثمان :

فلم يكن بأسرع من أن عثمان خرج إلى المسجد فرقى المنبر فحمد الله واثني عليه وقال :

أما بعد ايها الناس فو الله ما عاب من عاب منكم شيئاً اجهله وما جئت شيئاً الا وانا اعرفه ولكني متقني نفسي وكذبتني نصيحتي وضل عني رشدي ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول من ذل فليتب ومن اخطأ فليتب ولا تبادى بالهلكة فان من تبادى في الجور كان ابعد عن الطريق فانا اول من اتعظ أستغفر الله أستغفر الله مما فعلت واتوب اليه فثلي نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني إشرافكم فليروني رأيهم فو الله ائن ردني الحق عبداً لا كونن له كالمقوق ان ملك صبر وان عتق شكر وما عن الله مذهب إلا اليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلى ائن أبت يميني لتابعني شمالي .

فقام اليه المقداد بن عمر فقال يا عثمان ليس بواصل لك من ليس معك الله الله في نفسك فأتهم على ما قلت (٢) ،

ولما نزل عثمان وجد مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ونفراً من بني امية مجلس فقال له مروان يا أمير المؤمنين أتكلم ام أصمت فقال له نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بل اصمت فأتهم والله قاتلوه ومؤثموه

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ و ص ٩٧) وابن الاثير

(ج ٣ - ص ٥٨) .

(٢) في الطبري (ج ٥ - ص ١١١) نسب القول الى سعيد بن زيد

انه قال مقالة لا ينبغي ان يزرع عنها فاقبل عليها مروان قال لها وما انت في هذا فوالله اقدم مات ابوك ولا يحسن ان يتوضأ فقات مهلا عن ذكر الالباء فانك تخبر عنه وهو غائب تكذب عليه وان اباك لا يستطيع ان يدفع عنه اما والله لولا انه عمه وانه يناله غمه لآخرتك عنه ولم اكذب عليه ثم اعرض مروان عنها وقال انكلم ام اسكت فقال له عثمان تكلم قال بأبي انت وامى والله لوددت ان مقاتلك هذه كانت وانت تمتنع منيع وكنت اول من رضى بها واعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيين وبلغ السيل الزبى وحين اعطى الخطة الدائمة الدليل والله لا قامة على خطيئة تستغفر منها اجل من توبة تخوف عليها وانت ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة وقد اجتمع على الباب مثل الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج اليهم وكلهم فاني استحي منهم فخرج اليهم مروان وفتح الباب والناس يركب بعضهم بعضاً قال : ما شأنكم قد اجتمعتم ايها الناس كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه كل انسان آخذ باذن صاحبه إلا من اريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا أما والله لن رمتونا ليرى عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن بمفلولين على ما في ايدينا فرجع الناس وخرج بعضهم الى أمير المؤمنين فقال خرج علينا مروان وقال كذا وكذا وقصوا عليه الخبر فخرج مغضباً حتى دخل على عثمان فقال يا عثمان أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وبخدعك عن عقلك مثل جمل الظعينة يقادحيث يسار به والله ما مروان بذى رأى في دينه ولا نفسه وأيم الله انى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك اذهبت والله شرفك وغلبت على امرك

ثم انصرف عنه (١) .

كتاب عثمان الى معاوية :

وبعث عثمان في الحال المسور بن عخرمة الزهري بكتاب الى معاوية
ابن ابي سفيان :

اما بعد : فاني كتبت كتابي هذا والله ما أحسبه يبلغك وانما حي
وقدر رأيك ورضيت عنك بمكانك واطمانت إلى نفسك ووثقت بامنية
من مناك ولن تنتهي بك الامنية دون الذلة فاحداهما خير لك من
الآخرى واذا بلغك كتابي هذا فابعث إلى جيشاً سريعاً برجل معه من
اهل ثقتك في نفسك واجعله حبيب بن مسلمة ثم أمره فليجعل اليومين
يوماً والليلتين ليلة والمزليين منزلاً وان استطعت ان تفاجئني مفاجأة
فقد التقت العصا ولم يبق إلا خنوات واعط وامنع وهات وهلم ونعم
ولا يبين ذلك عاجل وامر ناهض والدين مع اول صدمة والسلام (٢)
في امثال ما اثبتاه من كلام أمير المؤمنين د ع ، وإنكاره عليه في
مقام بعد مقام واعتزاله امره وامر القوم حتى كان منه ومنهم ما كان
وكيف يكون على د ع ، معتوباً لعثمان مع ما وصفناه او راضياً بشيء
من افعاله على ما ذكرناه وكيف لا يكون ساخطاً مع ما بيناه ومشاركاً
للقوم جميعاً في تبديعه على ما قدمناه غير أنه لم يساعدنا على حصره ولا
اعانهم على خلعه ولا شاركهم في قتله لما اسلفناه من القول في عاقبة

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١ و ص ١١٢) وابن
الاثير (ج ٣ - ص ٦٥) .

(٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١٥) ان معاوية لما وصل
اليه الكتاب تربص واظهر كراهية المخالفة لاصحاب رسول الله (ص)
وقد علم باجتاههم عليه فأبطأ في الامر .

ذلك وعليه بها وأحاطته بجميع ما كان منها ولاقامة الحجة على قارفيه
بذمه في بطلان تزويرهم له وأيضاحه عن بهتانهم فيه عليه وايش ذلك
بمناف لرأيه الذي بينا عنه وشرحناه وانما في أحكام قتل عثمان وغاياته
وحاصريه ما سنتبه عنه شافعا لهذا الفصل ان شاء الله .

الآراء في احداث عثمان :

فصل : اعلم عليك الله الخير وجعلك من اهله ووفقك لما يرضيه
انني لم أجد أحداً حقق القول في آراء المنكرين على عثمان ما فعله من
الاحداث ولا صوب مذهبهم في ذلك واكثر من قال منهم قولا فهو
مسند له إلى ظن تضعيف إمارته أو إلى عقد يسبق في ذلك كانوا على
مذاهب وآراء متباينة وأغراض متنافية طائفة منهم تعلقوا عليه باحداث
لم ينكروا مثلها من غيره طمعاً فيه واستقصاء مقالته وقصدوا الى تقلد
الأمر من بعده ونيل الرياسة بخلعها منه وقتله فمن هذه الطائفة من
قدمنا من ذكر طلحة والزبير في حصر عثمان وتولى ذلك بنفسه واعوانه
وتغلب على بيت المال في حياته وجعل لا قفال أبوابه مفتاح في يديه
 واجتهاده في سفك دمه بمنع الماء عنه وسعيه في إتلافه بذلك فلما تم
الأمر في قتل الرجل تطاول منهم من تطاول الأمر وظن انه مختار
متابع فبطل زعمه بانصراف الناس الى غيره واختيارهم سواء فلما فاتته ما كان
أمله ورجاه بالسمي الذي ساءه واقتياده لبيعة الامام ، أما طمعاً او خوفاً
فتعقب الرأي ونكث البيعة وخرج عن العهدة وفارق الاسلام ونصب
الحرب له حتى آل أمره في ذلك إلى ما آل ، ومنهم طائفة ارغما عثمان
بمنعه لما المراد منه وردھا عن طلباتها وأبطل رسومها لحقت عليه لذلك
وسعت في خلعه وسفك دمه وظنت ان الأمر يصير من بعده إلى من يتمكن
من قياده ويحبها إلى ملتصقها فلما تم ما سعت فيه فات القوم الذي رجحت

لهم ما رجعت من الامر رجعت عن رأيها إلى تقضه وأظهرت الندم على ما فرط منها وتحيزت إلى الفرقة وصارت مع من أب على الامام القائم مجتهدة في إزالة الأمر عنه ومصيرة إلى من ترجوه معيناً لها ومريداً ومطيعاً لامرها فعمت الجميع الحية بما رجعت وكان عاقبة أمرهم خسراً وطائفة انتقضت عاداتها بعثان والاكرام لها والاعظام بمن تقدمه فصارت بذلك كارهة لامره وساعية في خلعه وطائفة كان المتقدمون يقلدونهم الاعمال واستبدل بهم منها سواهم من الناس، وحرّمهم ما كانوا يصلون اليه من بيت المال فسعت في ذلك في خلعه وعاونوا من أجله على قتله وطائفة استشنت احداثاً كانت منه ، واعتقدت فيه الضلال بذلك وقصدت في خلعه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما كان منهم غالباً فيما استشنته وربما كان منهم مصيباً فيه غير ان الغرض كان منهم فيما صنعوه قصداً انصرة الدين والاسلام وهذه الطائفة هي التي كانت الاصل في الانكار عليه وبفعلها تسبب الاسباب في خلعه وقتله وطائفة منهم كانت تعتقد الحق في أصل الامامة وطريقها وترى ان السالك سبيل عثمان في نيل المراد مشاركاً فيما أنكروه منه ولم يكن الذين حملهم على معونة حاصريه وقاتليه بمن عددها بشيء من اغراضهم على ما شرحناه وفصلناه بل كان غرضهم في ذلك بما لو تم لهم ما صنعوه فيمن تقدم اسارعوا اليه لكنه لم يتفق لهم في المتقدم واففق لهم في المتأخر واما خاذلوه فجمهورهم تنقسم اغراضهم في ذلك إلى أغراض من سميناه من خذله أو الشك في حاله وأحوال حاصريه وقاتليه ، فلذلك لم يجوزوا المعونة لهم عليه ولا تفردوا بالنصرة له منهم .

وأما أمير المؤمنين (ع) ، فلم يكن تفرده عن نصرته وترك النهوض بالدفاع عنه خذلاناً له لرأى يستصوبه في خلعه وقتله بل كان رأيه عليه السلام تابعاً في ذلك لعقيدته فيمن تقدم عليه من الامراء من

كافة القوم وكان عالماً بعواقب الامور غير شاك في المصالح يرى الموادعة والمهادنة والرقود والمسالمة إلى انقضاء المدة التي يعلم صواب التدبير فيها بذلك فامتنع «دع» من التحمل للدفاع عن حصره وقتله بمثل ما امتنع من دفاع المتقدمين عليه في الأمر وذلك لشيثين معروفين احدهما عدم الانصار له على مراده في ذلك والثاني لو خيم العاقبة في المباينة للجمهور ولما تقتضى الحرب وتوقع الفتنة وقد دفع عليه السلام عنه بالقول في أحوال اقتضت المصلحة دفاعه عنه وأمسك عن الانكار لما كان القوم عليه والرأى في حصره وخلعه وقتله لما عرف من جميل العاقبة في ذلك ولولم يكن «دع» مستودعا علم ذلك كما تذهب اليه الشيعة فيه لكانت مشاهدته للحال ودلائلها تكفيه وتقنعه فيما صنع وراده في الاحوال والاختلاف بين ذو العقول فان الشاهد يرى مالا يراه الغائب فعمل عليه السلام في اختلاف الاقوال منه والافعال على علمه بعواقب الامور وشاهد الحال فلذلك التبس الامر على الجمهور في رأيه «دع» في عثمان وقاتليه فنسبه بعض الناس إلى الرضا بما صنعه القوم بعثمان ونسبه آخرون إلى المواطاة عليه والتأليب ونسبه آخرون الى الهوى في ذلك والتقصير فما كان يجب عليه اعثمان ونسبه آخرون الى الكراهة لما أجرى القوم في حصر عثمان فادعوا أنه كان له موالياً وبأعماله راضياً ولكن العجز عن نصرته أقعده عنها ثم أكد الشبهة عليهم فيما ذكرناه من اختلاف الاعتقاد في ذلك ما قدمنا في ذكره من أفعاله «دع» المختلفة مع عثمان تارة ينكر عليه ما أنكره المسلمون وتارة يدفع عنه وينهى عن قتله القاصدين إلى ذلك من اهل الامصار ، وتارة ينكر على من منعه الماء ويغلظ لذلك ويغضب من خلافه فيه وتارة يجلس في بيته وهو يرى الناس يهرعون إلى قتله وترك الاجتهاد في طلب دمه فلا يكون منه وعظ في ذلك ولا تخويف بالله عز وجل في ذلك وهو

في ظاهر الحال مطاع معظم مسموع الامر متبع في الرأي. هذا مع
هجره عثمان أحيانا ومنازعته له حيناً وصلحه أحيانا ومسالته له حيناً
وتعليظ القول عليه أحيانا وسعيه في الصلح بينه وبين الناس زماناً
وترك ذلك إلى الكف عنه زماناً هذا مع ان المحفوظ من قوله فيه بعد
قتله ما يختلف ظواهره وتشبهه معانيه .

كقوله د ع ، : وقتا والله ما قتلت عثمان ولا ما لثت في قتله .

وقوله د ع ، حيناً : الله قتل عثمان .

وقواه د ع ، وقتا آخر : لو لم يدخل الجنة إلا قاتل عثمان لما
دخلها ولو لم يدخل النار إلا قاتل عثمان لما دخلها .

وقوله د ع ، وقتا آخر : والله ما غاضني قتل عثمان ولا سرفني ولا
أحببت ذلك ولا كرهته .

وقوله د ع ، حيناً آخر : اكبت الله قتلة عثمان .

وقوله (ع) عند مطالبة القوم بقتلة عثمان : من قتل عثمان فليقيم
فقام أربعة آلاف من الناس المتحيزين اليه فقال هؤلاء قتلة عثمان
وكون قتلة عثمان خاصة أنصاره وأعوانه واصحابه وإظهاره الولاية
لهم والتعظيم والمودة والاكرام مع تقريبهم اليه وإتمامه لهم .

وقوله د ع ، : اللهم اقتل قتلة عثمان في بر الارض وبحرها في
أمثال ما ذكرناه ولكن الافعال والاقوال التي ذكرناها منه متلائمة غير
مختلفة في معناها إذا دحض بعضها بعضاً وحمل بعضها على بعض في
الرأي الذي تقتضيه الاحوال ويوجبه النظر في العلم بالعواقب
وتمام المصالح .

رأي الجاحظ في علي :

فصل : قد زعم الجاحظ ان أمير المؤمنين د ع ، كان ممتحناً بعد

قتل عثمان بمحن عظيمة وذلك ان جميع من نصب له الحرب جعل الحجة عليه في دعواه عليه قتل عثمان ، قال وظاهر الحال يوم ذلك عليه لانه كان مبايئا له في الاحوال والاوقات وهاجراً له في زمان وايام وكان المنكرون على عثمان من اهل مصر والعراق يلجأون اليه في السفارة بينه وبين عثمان وكان دعاءهم مسموع القول مطاعا معظما مأمونا ثم قعد عن نصرته وتقلد الامر من بعده واستنصر على محاربيه بقتله فلم يشك القوم انه قاتله قال وواحدة من هذه الخصال تريب فكيف بجميعها ثم قال : وقد علم الناس قد يكون في هذا المصير الذي يتولاه أميراً ووزيراً وعاملاً من يوصل مثل عمله ويصلح لمثل رتبته ويمد عنقه الى مثل ولايته ولا يتفق له من مراده من ذلك ويقصده الناظر بما يمنعه من صرفه والتدبر في عزله فيلزم بيته ويقصر مراعاته خوفاً من بيعته في عزله وتولى مقامه فيموت حتف أنفه فلا يشك الناس انه دس اليه من قتله ولو قتل ذلك الانسان ذو غر اغرض لضربه او اطلب ماله اقطعوا ان أمير البلدة وضعه على ذلك ودبر الامر فيه عليه وقد يجلس السلطان بعض الرعية لشيء يحده في نفسه عليه فيموت في الحبس حتف أنفه فيحلف خلق من الناس بالله انه تقدم فخفه ولا يشك الجمهور انه واطأ على دمه ولو اقسم السلطان بالله اقساماً أكدها على البرائة من دمه لجعلوا ذلك شبهة فيما ادعوه عليه من قتله ، ثم قال هذا الرجل اعنى الجاحظ ان اقوال على في عثمان انما اختلفت وتناقضت - بزعمه - لانه كان محتاجاً الى التبرى من دمه لكف اهل البصرة واهل الشام عنه بذلك وكان محتاجاً الى إضافة دم عثمان اليه لاستصلاح رعيته وارتباطهم لنصرته وائس الامر كما زعمه الجاحظ ولا القصد فيه كما توهمها وانما حمل الجاحظ حال أمير المؤمنين دعاءهم في ما زعمه على احوال اهل الدنيا ومن لا دين له ولا يقين ولا تقوى ومن يصنع ما يصنع

ويقول ما يقول لعامة الدنيا ولا يبالي بعاقبة ذلك في الآخرة بل كانت أفعال عليّ دُع ، وأقواله التي اثبتناها في ما تقدم على الأغراض التي أنبأنا عنها وأوضحنا عن اتفاقها ووافقها للدين والنظر في مصالح المسلمين ومن تأمل ما ذكرناه وفكر فيه بقلب سليم وجده على ما وصفناه .

رأي العثمانية :

فصل : وقد زعمت العثمانية ان الذي يدل على مشاركة عليّ دُع ، قتل عثمان أشياء قد ثبتت بالاخبار وتظاهرت بها الآثار منها انه تولى الصلوة بالناس يوم النحر وعثمان محصور ولم يستأذنه في ذلك وتغلب عليه فيه وهذا عما جعل الشافعي حجة في جواز صحة صلوة المتغلب بالناس يوم الجمعة والعيدين ورد به على أهل العراق وإنكارهم ذلك وقولهم لا تصح الصلوة في الجمعة والعيدين خلف المتغلب فحكى الربيع والمزني عن الشافعي انه قال في هذه المسألة لا بأس بصلوة الجمعة والعيدين خلف الأمر فان علياً دُع ، صلى بالناس وعثمان محصور وقد روى ابو حذيفة القرشي عن محمد بن اسحاق وغيره ان قوما صاروا إلى عثمان وهو محصور وقالوا ما ترى إلى هؤلاء الذين يصلون بالقوم في يوم الجمعة بالناس وانت على هذا الحال لم تأمرهم بذلك وقد كان طلحة بن عبيد الله صلى بهم يوم الجمعة في حصار عثمان فحكوا عن عثمان انه قال اذا أحسنوا فاتبعوهم وان أساءوا فاجتنبوهم الصلوة حسنة فصلوا إذا صلوا ، فزعمت العثمانية ان علياً كان متهما بدم عثمان لصلوته بالناس يوم النحر عن غير إذنه وادعى الشافعي انه كان متغلباً بذلك ولم يتعلق احد من قرف طلحة بدم عثمان لصلوته بالناس يوم الجمعة وعثمان محصور ولا نسبوه إلى التغلب بذلك وبرؤه من دمه وهو الذي تولى حصره حتى قتله وكانت شبهتهم في براءة طلحة خلاف لأمير المؤمنين دُع ، والتبويه في

حربه بالتظاهر اطلب دمه وعقول هؤلاء القوم عقول ضعيفة واحلامهم
احلام سخيصة فلذلك ينقادون من الشبهة إلى ما ذكرناه .

ومما تعلق القوم به أيضاً في قرف عليّ د ع ، بدم عثمان بعد الذي
ذكرناه وعددنا مقامه بالمدينة منذ حصر وقول اسامة بن زيد مشيراً
عليه بالخروج عنها على ما رواه حذيفة القرشي عز ، رجلاه قال قال اسامة
ابن زيد اعلى لانك والله يا أبا الحسن أعز علي من سمعي وبصري
فأطعني واخرج إلى أرضك ينبع فان قتل عثمان وأنت شاهد طلبك
الناس بدمه وان لم تشهد لم تعدل بك الناس أحداً ، فقال ابن عباس
لا اسامة يا أبا محمد أطلب أثراً بعد عين أبعد ثلاثة من قريش ؛ وروى
يوسف بن دينار عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن أبي ليلى قال سألتني
عبد الملك بن مروان حين قدم الكوفة عن قتل عثمان فأخبرته فقال
أين كان علي يومئذ فقلت بالمقاعد يأمر فيطاع ، وينهى فيطاع ولقد
رأيتُه عند أحجار الزيت محتبياً بسيفه ومناد ينادي آمن الله هذا الناس
كلهم إلا الشقي (نعثلاً) فقال عبد الملك هل سمعت علياً يقول شيئاً ؟
فقال لا ، وروى النخعي عن علقمة بن قيس قال أرسلت أم حبيبة بنت
أبي سفيان إلى علي وهو قاعد في المسجد : ابن امن لي خاصتي ومن
في الدار من أهلي ، فقال الناس كلهم آمنون إلا الشقي ابن أبي العاص
وروى خالد الحذا عن رجل من بني شيبان قال رأيت علياً يوم قتل
عثمان يخطب الناس على المنبر وعليه السلاح فجعلت العثمانيه هذه الاشياء
شبهها لها فيما قذفت به أمير المؤمنين د ع ، من دم عثمان واحتجت ايضاً
في ذلك بما صنعه علي د ع ، عند قتل عثمان من أخذ نجائبه وأدراعه
وأورد في ذلك قول الوايد بن عقبة يخاطب بني هاشم ويعاتبهم عند
قتل عثمان (١) :

(١) ذكر ابو الفرج في الاغانى (ج ٤ - ص ١٧٤) في —

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ولا تنهوه لا تحل مناهبه
 بني هاشم كيف الهواة بيننا وعند علي درعه ونجائبه
 بني هاشم كيف التودد بيننا وتبر ابن اروي فيكم وجوائبه
 بني هاشم اني وما كان منكم كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
 هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
 فان لم تكونوا قاتليه فانه سواء علينا مسلوه وسالبه
 واحتجوا ايضا بقول حسان بن ثابت الانصاري في قتل عثمان :
 ضحوا بأشمت عنوان السجود له يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
 يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا
 لتسمعن وشيكا في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان
 وله ايضا :

من عذيري من الزير ومن طلحة هاجا أمراً له اعصار
 حين قالوا للناس دونكم العا ج فشبت وسط المدينة نار
 واصطلاها محمد بن أبي بكر جهاراً وخلفه عمار
 وعلي في بيته يسأل الثا س رويداً وعنده الاخبار
 باسطا كفه يريد ذراعيه وفيه سكينه ووقار
 خذلته الانصار إذ حضر المو ت وكانت تعاند الانصار
 وكذلك اليهود ضلكت عن الدي ن بما زينت لها الاخبار
 وامثال ما ذكرناه والجواب عن جميعه سهل قريب والمنة لله

الدفاع عن علي :

فصل : فاما الجواب عما تعلقوا به من قذف علي « ع » بدم عثمان
 من حيث تولى الصلوة باناس يوم النحر وعثمان محصور فهو مبنى على
 — الرواية عن محمد بن حبيب ابياتا تسعة .

مذهبين : أحدهما مذهب الشيعة القائلين بالنصر على علي القاطعين على إمامته بلا فصل ، وهو انه إذا كان الامام المفترض الطاعة فله ان يتولى كلها يتمكن من توليه بما اقتضته إمامته ، والامامة تقتضي إمامة المسلمين في الصلاة والتقدم عليهم في الجهاد ، وإقامة الحدود والاحكام وليس متى تولى الامام شيئاً مما له توليته عند الامكان دل ذلك على انه ساع في دم انسان ومريد لقتله على كل حال والجواب على المذهب الآخر وهو القول بالاختيار ان الامام إذا غير وبدل وأحدث ما يفسخ به عقده فلا فاضل الناس أن يتولى أمر الصلاة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يعقد الامام من بعده وعلى مذهب القوم الذين رأوا إقامة الامام بالاختيار ان في خلع عثمان بأحدائه قد زال فرض طاعته بذلك وكان للافضل منهم أن يقدموا في الصلاة بهم من يرون إلى أن يتم الأمر في العقد لمن يستحق ذلك ؛ ولو كان هناك من يعتقد ان إمامة عثمان لم تزل بأحدائه ، إلا أنه ممنوع من الصلاة بالناس لكان للافضل أن يتولوا الصلاة نيابة عنه في تلك الحال فعلى كل المذهبين اللذين ذكرناهما لا تجب بصلاة على يوم النحر بالناس وعثمان محصور أن يقضى عليه بانه كان مريداً لقتله ، فضلا أن يكون مشاركا فيه وقد روى الخصم عن عثمان لما اوذن بصلاة طلحة بالناس ، واستؤذن في الصلاة معه ، قال لهم إذا أحسنوا فاتبعوهم وإذا أساؤا فاجتنبوهم لحكم اصلاتهم بالحسن وان كان محصوراً لم يأذن فيها لهم ولم يولهم ذلك إلا انه اباحه ووصف المصلين بانهم في ذلك محسنون فان تعلق المخالف على علي عليه السلام في قتل عثمان بصلاته بالناس وهو محصور لولا انه تعنت بذلك عادل عن طريق الانصاف واما تعلقهم بقعود أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة حتى قتل عثمان ، وتركه الخروج منها ومباعدة القوم فيما صنعوه وما أشار عليه اسامة من الخروج وتحذيره في قعوده بمطالبة

القوم له بدم عثمان فليس أيضاً ما ثبتت به الحجة على ما ادعوه من قبل انه لا يمتنع أن يكون مقامه بالمدينة في تلك الحال اتدبير الدفاع عنه ولو كان خرج عنها لتعجل من قتل القوم له ما تأخر ولم يكن أيضاً يؤمن ان يتعدى القتل منه إلا غيره وتحدث فتنة لا بتلافى صلاحها فجلس د ع ، لذلك ولم يجلس لمعونة على قتل عثمان ، بل لو خرج من المدينة في حال حصر القوم الرجل اسكانت التهمة اليه في قتله اسرع مع ما ذكرناه من المحذور ، واما قتلهم جواب ابن عباس لاسامة وقوله أبعد ثلاثة من قريش تطلب اثراً بعد عين ، فليس فيه أيضاً دليل على إثارة ابن عباس لامير المؤمنين د ع ، قتل الرجل ولا فيه حجة على انها شركا في ذلك من تولاه وانما يدل على إثارة ابن عباس ان يكون الامر فيهم بعد عثمان ، ولسنا ننكر أن يكون علياً كان مؤثراً للتمكن من الامر بعد عثمان ليقم بذلك حدود الله وينفذ به أحكامه ، وينظر في مصالح المسلمين ، ومن أثر ذلك من أهله فهو محمود وهذا يستمر على مذهب الشيعة الامامية والزيدية والجارودية والقائلين بالنص عليه وعلى مذهب اصحاب الاختيار معاً .

فاما اصحاب النص فيقولون انه الامام المفترض الطاعة على الانام وكان يجب أن يجتهد بالتوصل بما الأئمة إقامته وتولي ما لهم توليته وان لا يفرط في ذلك ولا يهمله وإذا كان مقامه لما ذكرناه كان محموداً ولم يجز صرف الغرض فيه إلى ما ادعاه الخصوم من خلافه مع انه لم ينكر انما كان مقامه بالمدينة لدفاع ما كان يحذر من إمامة من لا يستحق الامر بعد قتل عثمان فأقام لدفاعهم عن ذلك لوجوده بينهم وعلمه برأى الناس في تقديمه على غيره ولو كان نائباً عن المدينة لغلب على الامر من يعسر على الأمة صرفه عنه ممن لا يؤمن على الدين وهو مستمر على اصول اصحاب أهل الاختيار كما استمر على اصول

أصحاب النص وليس فيه دليل على ما يتعلق به القوم من قذفه بقتل عثمان حسبا بيناه وشرحناه .

وأما قبض أمير المؤمنين (ع) ، عند قتل عثمان النجائب والادراع (١) التي قبضها بما كان منسوباً إلى عثمان والتعلق بشعر الوليد بن عقبة على ما أثبتناه عنه فيما سلف وطرناه فليس أيضاً بحجة لقاذف على (ع) ، بقتل عثمان وذلك أنه لو لم يقبض ذلك على (ع) لا سرح إلى قبضه ونهبه وتملكه من ليس له ذلك بحق من الرعية واحتاط بقبضه وأحرازه لأربابه وقد كان هو الإمام باتفاق الجمهور بعد عثمان وللامام أن يحتاط لأموال المسلمين وتركات من قضى بينهم إيصال إلى مستحقه دون غيرهم وليس إذا التمس الوليد بن عقبة مالا يستحق فنع منه كان ذلك لغلول المانع له بما التمس ولا لتغلبه عليه ولا قول الوليد أيضاً مسموع ولا شهادته مقبولة مع نزول القرآن بتفسيره ، قال تبارك وتعالى اسمه (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقد روى أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين أنفذه النبي (ص) إلى قوم يقبض منهم الصدقات فعاد مدعياً عليهم أنهم منعوه من ذلك وخرجوا إلى حربه فأعد رسول الله جماعة لحربهم فورد وارد بتكذيب الوليد وأنهم على الإسلام والطاعة فأُنزل الله تعالى ما أثبتناه فيه (٢) .

وجاء في الحديث المشهور أن الوليد قال لأمير المؤمنين في محاوراة

(١) روى في الأغاني (ج ٤ - ص ١٨٥) أن أمير المؤمنين (ع) ، أخذ من دار عثمان أبل الصدقة والسلاح ، أقول وليس لأحد رد عليه بعد أن تمت البيعة فكان الخليفة المطلق يتصرف بما يراه من الصلاح .

(٢) رواه البغوي في تفسيره بهامش تفسير الخازن (ج ٦ - ص

١٨٥ والالوسي في روح المعاني (ج ٢٦ - ص ١٤٤) .

جرت بينها أنا أبسط منك لساناً وأحد سناناً فقال عليه السلام اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية : (أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) (١) وبعد فلو كانت الادراغ والنجائب التي قبضها أمير المؤمنين «ع» ، بعد قتل عثمان ملكاً له ، لكان اولاده وأزواجه أحق بها من الواليد وكان ارتباط على «ع» ، ليوصلها الى وريثه أولى من تسليمها للواليد وأمثاله من بني أمية الذين ليس لهم من تركه عثمان نصيب على حال فكيف وقد ذكر الناس في هذه الادراغ والنجائب انها من النبيء الذي يستحقه المسلمون فغلب عليها عثمان واصطفاه لنفسه فلما بايع الناس علياً اتزعما «ع» ، من موضعها ليجعلها في مستحقها فما في ذلك من تهمة بقتل عثمان لولا العمى والخذلان . واما شعر حسان ابن ثابت وما تضمنه من التعريض على أمير المؤمنين «ع» :

وليت شعري فليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا
ليسمعن وشيكا في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان
فهو امرى قذف بدم عثمان فلم يكن قوله حجة انصفي اليه ولا
كان عدلا فتقبل شهادته وقد نص التنزيل على رد شهادته فقال الله عز وجل : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا منهم شهادة أبداً اولئك هم الفاسقون) ولا خلاف ان حسان كان ممن قذف عائشة وجلده النبي (ص) على قذفه وإذا كان القرآن حاصراً على المسلمين قبول شهادة الفاسقين فوجب رد شهادة حسان وان لا يقبل منه على حال مع انه لا خلاف بين أهل العراق من ان القاذف مردود الشهادة وان تاب فعلى قول

(١) انظر الدر المشور للسيوطي (ج ٤ - ص ١٧٨) وتفسير الخازن (ج ٣ - ص ٢٧٠) والاغانى (ج ٤ - ص ١٨٥) وابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ١٠٣) .

هذه الفرقة شهادة حسان مردودة على كل حال وأما من ذهب إلى أن القاذف تقبل شهادته عند التوبة فينبههم في ذلك اختلاف فمنهم من يقول انه يشترط في توبته أن يقف في الموضع الذي قذف فيه فيكذب نفسه ويظهر التوبة من جرمه ولم يدع أحد أن حسان كذب نفسه ظاهراً ورجع عن قذفه مختاراً فلا توبة له على قول هذا الفريق وأما الفريق الآخر فانهم قبلوا شهادة القاذف بعد توبته ولم يشترط في توبته ما ذكرناه فليس معهم دلائل على أنه تاب والظاهر منه القذف الذي يستحق به التفسير ورد الشهادة في دين الاسلام فلا تعلق في قول حسان في قذف أمير المؤمنين «ع» بدم عثمان على كل حال على أن حسان مذموم مردود القول باتفاق أهل الاسلام وعلى كل مذهب لأهل القبلة وذلك انه قال في يوم الغدير بمحضر من النبي (ص) في أمير المؤمنين ما قال وشهد له بالامامة والنص فيها عليه من الله تعالى فردته المعتزلة بذلك وأنكرته الحشوية ودفعته الخوارج وكذبه جميع من سميناه ولم يحتج فيه إلا على مذهب الشيعة الامامية والجارودية دون من سواهما من فرق الامية على ما ذكرناه وقوله الذي قدمنا ذكره وأشرنا اليه على الاجمال هو هذا :

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأسمع بالنبي مناديا
يقول فن مولاكم ووايكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
آهلك مولانا وأنت وائنا	ومالك فينا في المقالة عاصيا
فقال له قم يا علي فانتني	رضيتك من بعدى إماما وهاديا
فن كنت مولاه فانت وايه	فكونوا له انصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وايه	وكن للذي عادى علياً معاديا (١)

(١) كفاية الطالب للحافظ الكنجي ص ١٧ ط نجف وتذكرة

الخواص ص ٢٠ ومناقب الخوارزمي ص ٨٠ .

وهذا القول مقبول عند الشيعة لانه قاله بحضور من رسول الله
ومشده فلم ينكر عليه فصارت الحجة في صوابه شهادة رسول الله
بحقه والناسبة بأجمعها ترد عليه وتكذبه فيه ثم تقبل قوله في القذف
الباطل وحال الفتنة الظاهرة ولا شاهد لهم على ما ادعوه ثم هو في وصفه
اعثمان بأنه ظلم فيما صنع به وانه كان بريئاً عند الله ومن أهل التقى
والامان مردود الشهادة عند جميع حاصري عثمان وقائليه من المهاجرين
والأنصار والتابعين باحسان وعند كافة الشيعة والمعتزلة والخوارج
حين قال :

ضحوا بأشمت عنوان السجود له يقطع الليل تسليحاً وقرآناً
إذ كان حسان مكذباً في قوله على مذهب ما ذكرناه من اهل القبلة
ومردود الشهادة بما سلف له من قذف المحصنات لم يعتمد في الحجة
بقوله المفترى به ومن برهان شمله الخذلان ثم هو في قول له آخر يكذب
عند الشيعة بأجمعها وجهور المعتزلة والمرجئة والحشوية القائلين بأن
أمير المؤمنين (ع) كان أفضل الناس بعد النبي (ص) وأبي على الجبائي
وابنه ورهطهما ومن شركهما في الوقف وترك القطع في التفضيل لأحد
من الخلفاء الأربعة على غيره وذلك في مريئته لأبي بكر :

إذا تذكرت شجوا من اخي ثقة فاذا ذكر اخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعد لها بعد النبي وأوقاها بما جملها

الثاني التالي المحمود مشده وأول الناس من صدق الرسلا

وهذا يكشف لك عن سقوط من تعلق في شيء من الدين بقول
حسان من ابطال من جعل قوله حجة على كل حال وتبين انه كان في ما يقول
نظماً وترأ على مذهب الشعراء الذين لا يتقون النبيات ولا يتورعون
عن الخطيئات ولا يبالون بارتكاب الزلات ويقدمون على الأباطيل في
ارتكاب الموبقات من وصفهم الله تعالى في كتابه فقال (والشعراء

يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون (وقد كان حسان بن يشكر نعمة عثمان عليه واحسانه اليه ولم يكن ممن يرجع إلى تقوى فيحجزه من الباطل فيما ادعاه وان امرأ يعتمد على قول حسان وأمثاله في القدح على أمير المؤمنين ويصوب استنفار الناس عليه واغراءهم به لخفيف الميزان عند الله بين الخسران وبالله المستعان

فتنة الجمل :

باب : الخبر عند ابتداء فتنة أصحاب البصرة في تديرها والاجتماع منهم على العمل عليها وما جاءت به الاخبار المتظافرة في ذلك قد اسلفنا القول في اسباب هذه الفتنة والدواعي اليها والاعراض التي كانت فيها وذكرنا من براهين الحق على ما اصلناه من المذهب الصحيح في ذلك وابطال شبهات الضالين فيه ونحن نبدأ بشرح القصة في ابتداء امر اصحاب الفتنة ، وما عملوا عليه فيها وتجدد من رأيهم في تديرها حسبما جاءت به الاخبار المستفيضة بين العلماء بالسير والحوادث المشهورة .

فصل : لما تم امر البيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وع ، واتفق على طاعته كافة بنى هاشم ووجوه المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وأيس طلحة والزبير مما كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البيعة لاحدهما بالامامة وتحققت عائشة بنت ابي بكر تمام الامر لعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين واجتماع الناس عليه وعدولهم عن طلحة والزبير وعلت انه لا مقام لها بالمدينة بعد خيبتها مما املاه من الامر وعرف عمال عثمان ان أمير المؤمنين لا يقرهم على ولاياتهم وانهم ان ثبتوا في أماكنهم او صاروا اليه طالبهم الخروج مما في أيديهم من اموال الله عز وجل وحذروا من عقابه على تورطهم في خيانة المسلمين وتكبرهم على المؤمنين واستحقاقهم بحقوق المتقين واجتباؤهم الفجرة

الفاسقين عمل كل فريق منهم على التحرز منه واحتال في الكيد له
 واجتهد في تفريق الناس عنه فصار القوم من كل مكان إلى مكة استعادة
 بها وسكنوا إلى ذلك المكان وعائشة بها وطمعوا في تمام كيدهم لأمير
 المؤمنين للحزب إليها والتقوية على الناس بها وكانت عائشة يقدرها كثير
 من الناس لمكانها من النبي (ص) وإنها من أمهات المؤمنين وابنة أبي
 بكر المعظم عند الجمهور وإن كل عدو لعلي بن أبي طالب دح،
 يلتجئ إليها متى أظهرت المباينة له ودعت إلى حربه وفساد أمره فلما
 تواترت الأخبار عليها وهي بمكة وتحيزها عن عثمان اقتتل المسلمين له
 قبل أن تعرف ما كان من أمر المسلمين بعده عمدت على التوجه إلى المدينة
 راجية بتمام الأمر بعد عثمان لطلحة والزبير زوج اختها فلما صارت
 ببعض الطريق لقيت الناعي عثمان فاستبشرت بنبأه له وما كان من أمر
 الناس في اجتماعهم على قتله ثم استخبرت عن الحال بعده فأخبرت أن
 البيعة تمت لأمير المؤمنين بعده وأن المهاجرين والتابعين لهم بإحسان
 وكافة أهل الإيمان اجتمعوا على تقديمه والرضا به فسامها ذلك
 وأحزنها وأظهرت الندم على ما كان منها في التأيب على عثمان والكراهة
 لتمام الأمر لعلي بن أبي طالب فأسرعت راجعة إلى مكة فابتدأت
 بالخبر فسترت فيه ونادى مناديا باجتماع الناس إليها فلما اجتمعوا
 تكلمت من وراء الستردعوا إلى نصرة عثمان وتنعاها إلى الناس وتبكيه
 ونشهد أنه قتل مظلوماً وجاءها عبد الله بن الحضرمي عامل عثمان على
 مكة فقال قرت عينك قتل عثمان وبلغت ما أردت من أمره فقالت
 سبحان الله أنا طلبت قتله إنما كنت عاتبة عليه من شيء أرضاني فيه (١)

(١) في تاريخ يعقوبي (ج ٢ - ص ١٥٢) ط النجف كان بين
 عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها بما كان يعطيها عمر بن الخطاب
 وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول الله وإن عثمان ليخطب في -

قتل عثمان والله من عثمان بن عفان خيراً منه وارضى عند الله وعند المسلمين والله ما زال قاتله - تعني أمير المؤمنين «ع» - مؤخراً منذ بعث محمد (ص) وبعد أن توفي عدل عنه الناس الى الخيرة من أصحاب النبي (ص) ولا يرونه أهلاً للامر ولكنه رجل يحب الامرة والله لا تجتمع عليه ولا على أحد من ولده الى قيام الساعة .

ثم قالت : معاشر المسلمين ان عثمان قتل مظلوماً ولقد قتل عثمان من اصبغ عثمان خيراً منه وجعلت تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين وتحشهم على نقض عهده ولحق إلى مكة جماعة من منافقي قريش وصار اليها عمال عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين ولحق بها عبد الله بن عمر بن الخطاب وأخوه عبيد الله ومروان بن الحكم بن أبي العاص وأولاد عثمان وعبيده وخاصته من بنى أمية وانحازوا اليها وجعلوها الملجأ لهم في ما دبروه من كيد أمير المؤمنين «ع» وجعل كل من ينحاز عن أمير المؤمنين حسداً له وبغضاً أو شائتاً له أو خوفاً من استيفاء الحقوق عليه أو لاثارة فتنة أو ادغال في الملة ينضم اليها وهي على حالتها وستنها تنعى اليهم عثمان وتبره من قاتله وتشهد له بالعدم والاحسان وتخبر انه قتل مظلوماً وتحث الناس على فراق أمير المؤمنين والاجتماع على خلعه ولما عرف طلحة والزبير حالها وحال القوم عمداً على اللحاق بها والتعااضد على شقاق أمير المؤمنين فاستأذناه في العمرة على ما قدمناه وذكرنا الخبر في معناه وشرحناه وسارا إلى مكة خائعين الطاعة ومفارقين للجماعة فلما ورد اليهما فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما وخالصتهما طاقا في البيت طواف العمرة وسعياً بين الصفا والمروة وبعثا إلى عائشة عبد - بعض الايام إذ دلت عائشة قيصر رسول الله (ص) ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته فقال (رب اصرف عني كيدهن ان كيدهن عظيم) .

الله بن الزبير وقال له امض إلى خالتك فاهد إليها السلام منا، وقل لها ان طلحة والزبير يقرءك السلام ويقولان لك ان أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً وان علي بن أبي طالب ابتز الناس أمرهم وأغلبهم عليه بالفسهاء الذين تولوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الامر به فان رأيت أن تسيرى معنا اهل الله يرتق بك فتق هذه الامة ويشعب بك صدعهم ويلم بك شعشهم ويصلح بك أمورهم فأناها عبد الله فبلغها ما ارسله به فظهرت الامتناع من اجابتها إلى الخروج عن مكة .

وقالت يا بنى لم أمر بالخروج الكنى رجعت إلى مكة لا علم الناس ما فعل بعثمان امامهم وانه اعطاهم التوبة فقتلوه تقياً نقياً برياً فيرون في ذلك رأيهم ويشيرون على من ابقرهم امرهم وغصبهم امرهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة بتكبر وتجبر ويظن ان الناس يرون له حقاً كما كانوا يرونه انفيره هيهات هيهات يظن ابن أبي طالب يكون في هذا الامر كما بن أبي قحافة لا والله ومن في الناس مثل ابن أبي قحافة تخضع اليه الرقاب ويلقى اليه المنقاد وليها والله ابن أبي قحافة وخرج منها كما دخل ثم وليها اخو بنى عدى فسلك طريقه ثم مضى فوليها ابن عفان فركبها رجل له سابقة ومصاهرة لرسول الله وأفعال مع النبي المذكورة لا يعمل أحد من الصحابة مثلاً عمله في ذات الله وكان محباً لقومه قال بعض الميل فاستبناه قتاب ثم قتل فيحق للمسلمين ان يطلبوا بدمه فقال لها عبد الله فاذا كان هذا قولك في علي يا امه ورأيك في قاتلي عثمان فما الذى يقعدك عن المساعدة على جهاد ابن أبي طالب وقد حضرك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريد فقات يا بنى افكر فيما قلت وترجع إلى فرجع عبد الله إلى طلحة والزبير بالخبر .

فقالا قد أجابت أمنا والحمد لله إلى ما نريد ثم قالاه باكرها في غد فذكرها امر المسلمين واعلمها إنا قاصدان إليها لنجدد بها عهداً ونحكم

معهما عقداً فباكرها عبد الله وأعاد عليها بعض ما أسلفه من القول اليها فأجابته إلى الخروج ونادى مناديا ان ام المؤمنين تريد ان تخرج تطلب بدم عثمان فمن كان يريد ان يخرج فليتهيأ للخروج معها وصار اليها طلحة فلما أبصرت به قالت يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً فقال يا امه ما مثلي إلا كما قال الاول :

ندمت ندامة الكسعى لما رأت عيناه ما صنعت يداه
وجاءها الزبير فسلم عليها فقالت له يا أبا عبد الله اشتركت في دم عثمان ثم بايعت اهل وأنت والله أحق بالامر منه فقال لها الزبير أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي من ذلك ولن أترك الطلب بدم عثمان والله ما بايعت علياً إلا مكرهاً التفت به السفهاء من أهل مصر والعراق واستلوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه وصار إلى مكة عبد الله ابن أبي ربيعة وكان عامل عثمان على صنعاء فدخلها وقد انكسر نخذه وكان سبب ذلك ما رواه الواقدي عن رجاله انه لما اتصل بابن ربيعة حصر الناس لعثمان أقبل سريعاً انصرته فلقية صفوان بن أمية وهو على فرس يجرى وعبد الله بن أبي ربيعة على بغل فدنا منها الفرس فحادت فطرح ابن أبي ربيعة وكسرت نخذه وعرف ان الناس قد قتلوا عثمان فصار إلى مكة بعد الظهر فوجد عائشة يومئذ بها تدعو إلى الخروج لطلب دم عثمان فأمر بسرير فوضع له سرير في المسجد ثم حل ووضع عليه وقال للناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه فجهز ناساً كثيراً ولم يستطع الخروج معهم لما كان برجله .

وروى عبد الله بن السائب قال رأيت عبد الله بن أبي ربيعة على سرير في المسجد يحرض الناس على الخروج في طلب دم عثمان ويحمل من جاء وكان يعلى بن منبه التيمي حليف بني نوفل عاملاً لعثمان على الجند فوا في الحج ذلك العام فلما بلغه قول ابن أبي ربيعة خرج من داره

وقال أيها الناس من خرج اطلب دم عثمان فعلى جهازه وكان قد صحب ابن أبي ربيعة مالا جزيلا فأنفقه في جهاز الناس إلى البصرة .

وروى الواقدي قال حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده قال سمعت يعلى بن منه يقول وهو مشتمل بصرة فيها عشرة آلاف دينار وهي عين مالي أقوى من طلب بدم عثمان فجعل يعطى الناس واشترى أربعمئة بعير وأناخها بالبطحاء وحمل عليها الرجال (١) .

ولما اتصل بأمير المؤمنين (ع) خبر ابن أبي ربيعة وابن منه وما بذلاه من المال في شقاقه والافساد عليه قال والله ان ظفرت بإبن منه وابن أبي ربيعة لأجعلن أموالها في سبيل الله ، ثم قال بلغني ان ابن منه بذل عشرة آلاف دينار في حربي من أين له عشرة آلاف دينار ؟ سرقها من النبي ثم جاء بها لن وجدته لا خذته بما اقربه فلما كان يوم الجمل وانكشف الناس هرب يعلى بن منه ولما رات عائشة اجتماع من اجتمع بمكة اليها من مخالفة علي والمباينة له والطاعة لها في حربه تأهبت للخروج وكانت في كل يوم تقيم مناديبا ينادى بالتأهب للخروج وكان المنادى ينادى فيقول من كان يريد المسير فليسر فان ام المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم .

وروى الواقدي عن أفلح بن سعيد عن يزيد بن زياد عن عبد الله ابن أبي رافع عن ام سلمة زوجة النبي (ص) قالت كنت مقيمة بمكة تلك السنة حتى دخل المحرم فلم أر إلا رسول طلحة والزبير جاءني عنهما يقول ان ام المؤمنين عائشة تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان فلو خرجت معها رجونا ان يصلح بكما فتنق هذه الامة فأرسلت اليهما والله ما بهذا امرت ولا عائشة لقد أمرنا الله أن نقر في بيوتنا لا نخرج للحرب أو للقتال مع ان أولياء عثمان غيرنا والله لا يجوز لنا عفو ولا صلح ولا

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٦٦) .

قصاص وما ذاك إلا لولد عثمان واخرى تقايل على بن أبي طالب أمير المؤمنين ذو البلاء والعناء وأولى الناس بهذا الامر والله ما أنصفتما رسول الله في نسائه حيث تخرجوهن إلى العراق وتركوا نساءكم في بيوتكم ثم أرسلت إلى عائشة فنهتها أشد النهي عن طلحة والزيير في الخروج اقتال على دع، وذكرتها اموراً تعرفها وقالت لها أنشدك الله هل تعلمين ان رسول الله (ص) قال لك اتق الله واحذري أن تنبحك كلاب الحوآب فقالت نعم ورددتها بعض الردع ثم رجعت الى رأيها في المسير (١).

مؤامرة الناكثين :

فصل : فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة وظهر تأهبهم لذلك اجتمع طلحة والزيير وعائشة وخواصهم من قومهم وبطاتهم وقالوا نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فان بها شيعة عثمان وانصاره وعامله عبدالله بن عامر وهو قريبة ونسيبه وقد عمل على استعداد

(١) في تذكرة الخواص ص ٣٨ ذكر نهى ام سلة لها فلما رأتها لا تقبل قالت :

نصحت واكن ليس للنصح قابل ولو قبلت ما عنفتها العواذل
كان بها قد ردت الحرب رحلها وايس لها إلا الترحل راحل
وفي المحاسن والمساوى للبيهقي (ج ١ - ص ٢٣١) ان ام سلة حلفت ان لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب على فدخلت عائشة عليها يوماً وكلمتها فقالت ام سلة ألم أنك ألم أقل لك قالت لاني استغفر الله كليني فقالت ام سلة يا حائط ألم أنك ألم أقل لك فلم تكلمها ام سلة حتى ماتت .

الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعوته على الطلب بدم عثمان وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان ان ينفذ لنا الجنود من الشام فان أبطننا عن الخروج خفنا أن يدهمنا على دمع ، بمكة أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان خوفاً من ان يفرق كلمتنا وإذا أسرنا المسير الى البصرة وأخرجنا عامله منها وقتلنا شيعته بها واستعنا بأمواله منها كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب وان اقام بالمدينة سيرنا اليه جنوداً حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان وان مار فهو كالي. ونحن جامون وهو على ظاهر البصرة ونحن بها متحصنون فلا يطول الزمان إلا بفل جموعه واهلاك نفسه أو إراحة المسلمين من قتلته .

ام سلمة تحذر عائشة :

وبلغ ام سلمة اجتماع القوم وما خاضوا فيه فبكت حتى اخضل خمارها ثم أدنت ثيابها فلبستها ومشت إلى عائشة لتعظها وتصددها عن رأيها في مظاهرة أمير المؤمنين دمع ، بالخلافة وتقعدها عن الخروج مع القوم فلما صارت اليها قالت إنك عدة رسول الله بين امته وحجابك مضروب على حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبدنيه واملك خفرك فلا تضحيها الله الله من وراء هذه الآية قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد اليك لفعل بل نهاك عن الفرط في البلاء وان عمود الدين لا يقام بالنساء ان اثلم ولا يشعب بهن ان الصدع فصدع النساء غض الاطراف وحف الاعطاف وقصر الوهادة وضم الديول وما كنت قائلة لو ان رسول الله عارضك ببعض الغلاة ناصة قلوفاً من منهل إلى آخر قد هتكت صداقته وتركته عهده ان يغير الله بك لواءك على رسول الله أتدريين والله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت ان التي رسول

الله (ص) هاتكه حجابا قد ستره علي اجمعلي حصنك بيتك وقاعة البيت قبرك حتى تلقينه وانت على ذلك أطوع ما تكوني له ما لزمته وانظري بنوع الدين ما حلت عنه .

فقال لها ما اعرفني بوعظك واقبلني لنصحك وانعم المسير مسير فزعت اليه وأنا بين سائرة ومتأخرة فان أقعد فمن غير جزع وان اسير فائي ما لا بد من الازدياد منه .

فلما رأت ام سلمة ان عائشة لا تمتنع عن الخروج عادت الى مكانها وبعثت الى رهط من المهاجرين والانصار قالت لهم لقد قتل عثمان بحضرتكم وكانا هذان الرجلان اعني طلحة والزبير يشيعان عليه كما رأيتم فلما قضى امره بايعا عليا وقد خرجا الآن عليه زعما انهما يطلبان بدم عثمان ويريدان ان يخرجاه حبيسة رسول الله معهم وقد عهد الى جميع نسائه عهداً واحداً ان يقرن في بيوتهن (١) فان كان مع عائشة عهد سوى ذلك تظهره وتخرجه اليها نعرفه فاتقوا الله عباد الله فاننا نأمركم

(١) في تفسير روح المعاني الالوسي (ج ٢٢ - ص ٦) عند قوله تعالى (وقرن) روى البزار عن أنس ان النساء جئن الى رسول الله بعد نزول الآية فقلن لقد ذهب الرجال بافضل والجهاد فهل لنا عمل ندرك به فضل المجاهدين فقال : من قعدت منكن في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين . قال الالوسي وقد يحرم عليهن الخروج الزيارة والمسجد ويكون محرماً كبيرة اذا تحققت الفتنة بخروجهن وفي الدر المنثور للسيوطي (ج ٥ - ص ١٩٦) ان سودة بنت زمعة زوجة النبي (ص) لم تحج بعد نزول الآية فقبل لها في ذلك قالت اني حججت واعتمرت وامرني ربي تعالى شأنه ان أقر في بيتي فلا أخرج حتى تخرج جنازتي قال وأخرج مسروق ان عائشة كلما قرأت (وقرن في بيوتكن) تبكي حتى تبل خمارها .

بتفوى الله والاعتصام بحبله والله ولي لنا والحكم .

فشق كثيراً على طلحة والزبير عند سماع هذا القول من ام سلة ثم
أنفنت ام سلة الى عائشة فقالت لها وقد وعظتك فلم تعظي . وقد
كنت اعرف رأيك في عثمان وانه لو طلب منك شربة ماء لمنعته ثم أنت
اليوم تقولين انه قتل مظلوما وتريدين ان تثيري لقتال أولى الناس بهذا
الأمر قدماً وحديثاً فاتق الله حق نفاته ولا تعرضي لسخطه فارسلت
اليها عائشة أما ما كنت تعرفيه من رأيي في عثمان فقد كان ولا أجد
مخرجاً منه إلا الطلب بدمه واما علي فاني آمره بردها الامر شورى
بين الناس فان فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضى الله ما هو قاض
فأنفنت اليها ام سلة أما أنا فغير واعظة لك من بعد ولا مكلمة لك
جهدى وطاقي . والله اني لحاققة عليك البوار ثم النار والله ليخين ظنك
واينصرن الله ابن ابى طالب على من بنى وستعرفين عاقبة ما أقول والسلام

علي يجاهد الناكثين :

فصل : ولما اجتمع القوم على ما ذكرناه من شقاق أمير المؤمنين
والتأهب للسير الى البصرة واتصل الخبر اليه وجاءه كتاب يخبره بخبر
القوم دعا ابن عباس ومحمد بن ابى بكر وعمار بن ياسر وسهل بن حنيف
واخبرهم بذلك وبما عليه القوم من المسير فقال محمد بن ابى بكر ما يريدون
يا أمير المؤمنين ؟ فتبسم عليه السلام وقال يطلبون بدم عثمان فقال محمد
والله ما قتله غيرهم ثم قال علي أشيروا على بما أسمع منكم القول فيه
فقال عمار الرأي ان نسير الى الكوفة فان اهلها لنا شيعة وقد اطلق
هؤلاء القوم الى البصرة وقال ابن عباس الرأي عندى يا أمير المؤمنين
ان تقدم رجالا الى الكوفة فيبايعوا لك وتكتب الى الاشعري ان يبايع
لك ثم يصد المسير حتى نلحق بالكوفة فتعاجل القوم قبل ان يدخلوا

البصرة وتكتب الى ام سلة فتخرج معك فانها لك قوة فقال أمير المؤمنين بل أنهض بنفسى ومن معى فى اتباع الطريق وراء القوم فان ادركتهم بالطريق اخذتهم وان فاتوني كتبت الى الكوفة واستمددت الجنود من الامصار وسرت اليهم .

واما ام سلة فاني لا ارى لإخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة فبينما هم فى ذلك إذ دخل عليهم اسامة بن زيد وقال لأمير المؤمنين فذاك أبى وامى لا تسر وحدك وانطلق إلى ينبع وخلف على المدينة رجلا واقم بما لك فان العرب لهم جولة ثم يصيرون اليك (١) . فقال له ابن عباس ان هذا القول منك يا اسامة على غير عل فى صدرك فقد أخطأت وجه الرأى منه ايس هذا برأى (بعير يكون والله كهينة الضبع فى مغارتها) فقال اسامة فما الرأى قال ما أشرت به اليه وما رأى أمير المؤمنين لنفسه .

ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام فى الناس تجهزوا السير فان طلحة والزبير قد نكثا البيعة ونقضوا العهد وأخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لاثارة الفتنة وسفك دماء أهل القبلة ثم رفع يديه إلى السماء فقال اللهم ان هذين الرجلين قد بغيا على ونكثا عهدي ونقضوا عهدي وشاقاني بغير حق سومهما ذلك اللهم خذهما بظلمتهما واظفرني بهما وانصرني عليهما ثم خرج فى سيمامة رجل من المهاجرين والانصار واستخلف على المدينة تمام بن عباس وبعث قثم بن عباس إلى مكة (٢)

(١) فى تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٦٠) ذكر هذا الرأى لابن عباس .

(٢) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٦٩) وفى تذكرة الخواص ص ٢٠١ كان المأمون يقول ابني العباس لما ولى الأمر من تولاه قبل على دء ، لم يولوا أحداً من بني العباس ولا بني هاشم فلما صارت -

ولما رأى أمير المؤمنين السير طالبا للقوم ركب جملا أحمر وراجزه
يقول (١) :

سيروا أبا ييل وحشوا السيرا كي تلتحقوا طلحة والزبيرا
إذ جلبا شرا وعافا خيرا يارب أدخلهم غدا سعيرا
وسار مجددا في السير حتى بلغ (الربرة) فوجد القوم قد فاتوا فزل
بها قليلا ثم توجه نحو البصرة والمهاجرون والأنصار عن يمينه وشماله
محدثون به مع من سمع بمسيرهم فاتبعهم حتى نزل (بنى قار) فأقام بها
كتاب علي إلى أبي موسى الأشعري :

ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال وكتب معه كتابا إلى أبي موسى
الأشعري وكان بالكوفة من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه ليستنفر
الناس منها إلى الجهاد معه وكان مضمون الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن
قيس : أما بعد فاني أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال لتشخص معه
من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي
وأحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم فأشخص الناس إلى معه حين
يقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه فاني لم أقرك في المصر الذي أنت فيه
إلا أن تكون من أعواني وأنصاري على هذا الامر والسلام .

— إلى أمير المؤمنين ترك آل أبي طالب وأقبل على بني العباس فولى
عبد الله البصرة وعيبد الله البين ومعبدا مكة وقم البحرين وما ترك
أحدًا ممن يتسمى إلى العباس إلا ولاه فهلا نكافأه في ولده .

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٦) أن راجز علي « ع » قال
سيروا أبا ييل وحشوا السيرا إذ عزم السير وقولوا خيرا
حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا نفزوا بها طلحة والزبيرا

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري فقرأه الكتاب وقال
له ما ترى فقال له أبو السائب اتبع ما كتب به إليك فأبى أبو موسى ذلك
وكرر الكتاب وعماه وبعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه ويتوعده بالسجن
فقال السائب بن مالك فأتيت هاشماً فأخبرته بأمر أبي موسى .
فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين :

اما بعد : يا أمير المؤمنين فاني قدمت بكتابك على أمرء شاق عاق
بعيد الرحم ظاهر الغل والشقاق وقد بعثت إليك بهذا الكتاب مع المحل
ابن خليفة الطائي وهو من شيعتك وأنصارك وعنده علم ما قبلنا فاسأله
عما بدا لك واكتب إلى برأيك أتبعه والسلام (١) .

فلما قدم الكتاب إلى علي (ع) ، وقرأه دعا الحسن ابنه وعمار بن
ياسر وقيس بن سعد وبعثهم إلى أبي موسى وكتب معهم من عهد الله
على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس اما بعد : يا ابن الحايك والله
لاني كنت لا أرى بعدك من هذا الامر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا
جعل لك فيه نصيباً وقد بعثت لك الحسن وعماراً وقيساً فأحل لهم
المصر وأهله واعتزل عملنا مذموماً مدحوراً فان فعلت وإلا أمرتهم أن
ينابذوك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فان اظهروا عليك قطعوك
إرباً إرباً والسلام على من شكر النعم ورضى البيعة وعمل لله رجاء العاقبة
كتاب علي إلى أهل الكوفة :

فلما قدم الحسن وعمار وقيس الكوفة مستغفرين لاهلها وكان في
كتابه معهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من علي بن أبي طالب إلى أهل الكوفة

(١) رواه في شرح النهج الحديدي (ج ٣ - ص ٢٩١) عن
أبي مخنف .

اما بعد (١) فاني أخبركم من أمر عثمان حتى يكون أمره كاليان لكم ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه (٢) وكان طلحة والزبير أهون سيرهما اليه الوجيف وقد كان من عائشة فيه فلة غضب فلما قتله الناس وبايعاني غير مستنكرين طائعين مختارين وكان طلحة والزبير أول من بايعني على ما بايعا به من كان قبلي ثم استأذناني في العمرة ولم يكونا يريدان العمرة ففقتنا العهد وأذنا في الحرب وأخرجنا عائشة من بيتها يتخذانها فتنة فسارا إلى البصرة واخترت السير اليهم معكم ولعمري اياي تجيبون انما تجيبون الله ورسوله والله ما قاتلتهم وفي نفسي شك وقد بعثت اليكم ولدي الحسن وعماراً وقيساً مستنفرين لكم فكونوا عند ظني بكم والسلام (٣) .

خطبة الحسن وعمار وقيس بالكوفة :

ولما نزل الحسن د ع ، وعمار وقيس الكوفة ومعهم كتاب أمير المؤمنين د ع ، قام فيهم الحسن د ع ، فقال :
أيها الناس قد كان من أمير المؤمنين د ع ، ما يكفيكم جملته وقد اتيناكم مستنفرين لكم لانكم جهة الانصار وسنام العرب وقد تقضا طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن كما قال الله تعالى : (الرجال قوامون على النساء) أما والله ان لم تنصروه

- (١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٣ - ص ٢٩١) مصر
بعث الكتاب مع ابن عباس ومحمد بن أبي بكر .
(٢) الاستعتاب طلب العتي وهي الرضا ومراده د ع ، انه كان
يكثّر من طلب رضاه ويقل من عتابه وتعنيفه .
(٣) رواه الشيخ الطوسي في الامالي ص ٧٨ والسيد الرضي في
النهج (ج ٢ - ص ٣) باختصار .

لينصرنه الله يتبعه من المهاجرين والانصار وسائر الناس فانصروا ربكم
ينصركم . ثم قام عمار بن ياسر فقال :

يا اهل الكوفة ان كانت هانت عندكم الدنيا فقد انتهت اليكم
امورنا واخبارنا ان قاتلي عثمان لا يعتدرون إلى الناس من قتله وقد
جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه وقد كان طلحة والزبير اول
من طعن عليه وأول من امر بقتله وسعى في دمه فلما قتل بايعا علياً
طوعا واختياراً ثم نكثا على غير حدث كان منه وهذا ابن رسول الله
وقد عرفتم انه انفذ اليكم يستنفركم وقد اصطفاكم على المهاجرين
والانصار .

ثم قام قيس بن سعد فقال :

أيها الناس ان هذا الامر لو استقبلنا به اهل الشوزى لكان على أحق
الناس به لمكانه من رسول الله (ص) وكان قتال من ابى ذلك حلالا
كفيع بالحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعا ثم خلعا حسداً وبغيا
وقد جاءكم علي في المهاجرين والانصار ثم انشأ يقول :

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا علياً وأبناء الرسول محمد
وقلنا لهم اهلا وسهلا ومرحبا نمد يدينا من هدى وتودد
فا للزبير الناقض العهد حرمة ولا لاخيه طلحة فيه من يد
انا كم سليل المصطفى ووصيه واتم بحمد الله عارضة الندي
فن قائم يرجى بنخيل الى الوغى وضم العوالي والصفيح المهند
يسود من ادناه غير مدافع وان كان ما تقضيه غير مسود
فان يك ما نهوى فذاك نريده وان نخط ما نهوى فغير نعمد (١)

(١) روى الشيخ الطوسي في الامالي ص ٩٤ و ص ٨٧ بعضها
للنجاشي مع زيادة لم تذكر هنا وقال ان النجاشي اجلب بالتسليم والطاعة

خطبة ابى موسى الاشعري :

فلما فرغ القوم من كلامهم قام ابو موسى الاشعري فقال :
أيها الناس ان تطيعوا الله باديا وتطيعوني ثانيا تكونوا جرنومة
من جرائم العرب يأوى اليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف ان علياً
انما يستنفركم لجهاد امكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله
ومن معهم من المسلمين وانا اعلم بهذه الفتن انها اذا اقبلت شبت وان
ادبرت اسفرت وان هذه الفتنة نافذة كداء البطن تجري بها الشمال
والجنوب وتشبك احياناً فلا ندري ما تأتى اشيئوا سيوفكم وقصروا
رماحكم وقطعوا او تارككم والزمو البيوت خلوا قريشاً اذا ابوا إلا
الخروج من دار الهجرة وفراق اهل العلم بالامرة وترق قنقها وتشعب
صدعها فان فعلت فلنفسها وان ابت فعلها ما جنت سمها في اديها
استنصحونى ولا تستشفونى يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بهذه
الفتنة من جناها (١) .

نهضة زيد واصحابه :

فقام زيد بن صوحان وكانت يده قطعت يوم جلولا . ثم قال :
يا أبا موسى تريد ان ترد الفرات عن ادراجه انه لا يرجع من حيث
بدا فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ويلك (١) لم احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ، ثم قال : ايها الناس سيروا الى
أمير المؤمنين واطيعوا ابن سيد المرسلين وانفروا اليه اجمعون تصيبوا
الحق وتظفروا بالرشد قد والله نصحتكم فاتبعوا رأيي ترشدون .

(١) رواها ابن ابى الحديد فى شرح النهج (ج ٣ - ص ٣٩٣)

بزيادة .

ثم قام عبد خير (١) وقال لابي موسى اخبرني يا ابا موسى هل كانا هذان الرجلان بايعا اعلیٰ فيما بلغك وعرفت ؟ قال نعم ، قال فهل جاء عليّ د ع ، بحدث يحمل عقدة بيعته حتى ترد بيعته كما ردت بيعة عثمان ؟ قال ابو موسى لا أعلم قال له عبد خير لا دريت نحن غير تاركيك حتى تدرى حينئذ خبرني يا ابا موسى هل تعلم احداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم انها عمياء تحخذ الناس منها ؟ أما تعلم انها اربع فرق : عليّ د ع ، يظهر بالكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة اخرى بالحجاز لاغناء بها ولا يقاتل بها عدو .

فقال ابو موسى الفرقة القاعدة عن القتال خير الناس فقال عبد خير غلبك عليك غشك يا ابا موسى (٢) فقام رجل من بحيلة فقال شعراً :

وحاجلك عبد خير يا بن قيس فانت اليوم كاشاة الريض
فلا حقاً اصبت ولا ضللاً فانت اليوم تهوى بالحضيض
ابا موسى فظرت برأى سوء تؤول به الى قلب مريض
وتنت فليس تفرق بين خير ولا شر ولا سود ويبيض
وتذكر فتنة شملت وفيها سقطت وانت ترزح بالجريض (٣)

قال وبلغ أمير المؤمنين ما كان من امر ابي موسى وتخذيذه الناس عن نصرته فقام اليه مالك الاشتر (ره) فقال يا امير المؤمنين انك قد بعثت الى الكوفة رجلاً قبل هذين فلم اره أحكم شيئاً وهذان اخلق من بعثت ان ينشب بهم الامر على غير ما تحب واست ادري ما يكون فان رأيت جعلت فداك ان تبعثنی فی أثرهم فان اهل الكوفة احسن لي طاعة وان

(١) في تاريخ الطبری (ج ٥ - ص ١٨٩) هو الخيواني .

(٢) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٠) والطبری ج ٥ - ص ١٩٠

(٣) يقال رزح الرجل : ضعف وذهب ما بيده والجريض ابتلاع

الريق غيضاً وهما .

قدمت عليهم رجوت ان لا يخالفني احد منهم فقال أمير المؤمنين د ع ،
 الحق بهم على اسم الله فأقبل الاشر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع
 الناس بالمسجد الاعظم فأخذ لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو
 مسجد إلا دعاهم وقال لهم اتبعوني الى القصر فاتتهى الى القصر في جماعة
 من الناس فاقتحم القصر وابو موسى في المسجد الاعظم يخطب الناس
 ويثبطهم عن نصرة على د ع ، وهو يقول ايها الناس هذه فتنة عمياء
 تطوخطامها النائم فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم
 خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من
 الراكب انها فتنة باقرة كداء البطن أتكمن من قبل مأمنكم تدع الحليم
 فيها حيران كابن امس انا معاشر اصحاب محمد (ص) اعلم بالفتنة انها
 اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت اسفرت .

وعمار والحسن وقيس يقولون له اعتزل عملنا لا ام لك وتنح عن منبرنا
 وابو موسى يقول لعمار هذه يدى بما سمعت من رسول الله يقول
 ستكون بعدى فتنة القاعد فيها خير من القائم .
 فقال له عمار انما قال رسول الله (ص) لك خاصة ستكون فتنة أنت
 فيها يا أبا موسى قاعداً خير منك قائماً .

الاشتر الى القصر :

فييناهم في الكلام اذ دخل غلمان ابى موسى يتنادون يا أبا موسى هذا
 الاشر اخرج من المسجد ودخل عليه اصحاب الاشر فقالوا له اخرج
 من المسجد يا ويلك اخرج الله روحك انك والله لمن المنافقين فخرج
 ابو موسى وأنفذ إلى الاشر ان اجلني هذه العشية قال قد اجلتك ولا
 تبت في القصر هذه الليلة واعتزل ناحية عنه ودخل الناس يتتبعون

متاع أنى موسى فاتبعهم الاشر بمن أخرجهم من القصر وقال لهم انى
أجلته فكف الناس عنه (١) ثم صعد الحسن د ع ، المنبر فحمد الله واثنى
عليه وذكر جده النبي (ص) فصلى عليه ثم ذكر فضل أمير المؤمنين
وانه احق بالامر من غيره وان من خالفه على ضلال

ثم نزل فصعد عمار فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله ثم قال :
أيها الناس انالما خشينا على هذا الدين ان يهدم جوانبه وان يتعزى
أديمه انظرنا لأنفسنا ولديننا فاخترنا علياً د ع ، خليفة ورضيناها إماماً
فنعم الخليفة ونعم المؤدب مؤدب لا يؤدب وفقه لا يعلم وصاحب بأس
لا ينكر وذو سابقة فى الاسلام ليس لأحد من الناس غيره وقد خالفه
قوم من أصحابه حاسدون له وباغون عليه وقد توجهوا إلى البصرة
فاخرجوا اليهم رحمكم الله فانكم لو شاهدتموهم وحاججتموهم تبين لكم
انهم ظالمون .

خطبة الاشر :

ثم خرج الاشر رحمه الله وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :
أيها الناس اصغوا لى بأسماعكم وافهموا لى بقلوبكم ان الله عز وجل
قد أنعم عليكم بالاسلام نعمة لا تقدرون قدرها ولا تؤدون شكرها
كتم اعداء يأكل قوياتكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم وتنتهك
حرمان الله بينكم والسبيل مخوف والشرك عندكم كثير والأرحام
عندكم مقطوعة وكل أهل دين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد
د ص ، فجمع شمل هذه الفرقة وألف بينكم بعد العداوة وكثرتم بعد ان
كتم قليلين ثم قبضه الله وحوله اليه فحوى بعده رجلا ثم ولى بعدهما رجل
نبذ كتاب الله وراء ظهره وعمل فى احكام الله بهوى نفسه فسألناه ان

(١) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٩٠)

يعتزل لنا نفسه فلم يفعل واقام على احداثه فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا
 ودنيانا ولا يبعد الله إلا القوم الظالمين وقد جاءكم الله بأعظم الناس
 مكاناً وأعظمهم في الاسلام سهماً ابن عم رسول الله ﷺ وأفقهم
 الناس في الدين وأقرأهم للكتاب واشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد
 استغفركم فانتظروا ؟ أسعيد أم الوليد ؟ الذي شرب الخمر وصلى
 بكم على سكر وهو سكران منها واستباح ما حرمه الله فيكم أي هذين
 تريدون قبح الله من له هذا الرأي ألا فاتقوا مع الحسن ابن بنت
 نبيكم ولا يتخلف رجل له قوة فوالله ما يدرى رجل منكم ما يضره وما
 ينفعه وإني لكم ناصح شفيق عليكم ان كنتم تعقلون او تبصرون
 اصبحوا انشاء الله غداً عادين مستعدين وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء

خطبة حجر بن عدي :

ثم قام حجر بن عدي الكندي وقال :
 أيها الناس هذا الحسن بن أمير المؤمنين وهو من عرفتم احد ابويه
 النبي ﷺ والآخر الامام الرضى المأمون الوصى صلى الله عليهما الذين
 ليس لهم شبيه في الاسلام سيد شباب اهل الجنة وسيد سادات العرب
 اكملهم صلاحاً وأفضلهم علماً وعملاً وهو رسول أيه اليكم يدعوكم
 إلى الحق وبأساكم النصر السعيد من ودهم ونصرهم والشقى من تخلف
 عنهم بنفسه عن مواساتهم فاتقوا معه رحمكم الله خفافاً وثقالاً
 واحتسبوا في ذلك الاجر فان الله لا يضيع اجر المحسنين .
 فأجلب الناس بأجمعهم بالسمع والطاعة .

وقد ذكر الواقدي ان علياً أنفذ إلى أهل الكوفة رسلاً وكتب
 اليهم كتاباً عند خروجه من المدينة وقبل نزوله بنى قار وقال في حديث
 آخر رواه انه أنفذ إلى القوم من الربة حين فاته رد طلحة والزبير

من الطريق ثم اتفق الواقدي وأبو مخنف وغيرهما من أصحاب السيرة على ما ذكرناه من انفاذ الرسل وكتب الكتب من ذي قار إلى أهل الكوفة يستنفرهم للجهاد معه والاستعانة بهم على أعدائه الناكثين لعهد الخارجين لحربه فكان مما رواه الواقدي أن قال حدثني عبيد الله بن الحرث بن الفضل عن أبيه قال لما عزم عليّ دعوته على المسير من المدينة لرد طلحة والزبير بعث محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر إلى الكوفة وكان عليهما أبو موسى الأشعري فلما قدما عليه أساء القول لهما واغلظ وقال : ان بيعة عثمان اني رقية صاحبكم وفي رقبي ما خرجنا منها . ثم قام على المنبر وقال :

أيها الناس إنا أصحاب رسول الله (ص) ونحن أعلم منكم بهذه الفتنة فاحذروها ان عاتشة كتبت إلي ان اكفني من قبلك وهذا علي بن أبي طالب قائم اليكم يريد ان يسفك بكم دماء المسلمين فكسروا نبلكم واقطعوا أوتاركم واضربوا الحجارة بسيوفكم .

فقال محمد بن الحنفية (رض) لمحمد بن أبي بكر يا أخي ما عند هذا خير ارجع بنا إلى أمير المؤمنين نخبره الخبر فلما رجعا إليه وأخبراه الحال وقد كان كتب معها كتاباً إلى أبي موسى الأشعري ان يبايع من قبله على السمع والطاعة وقال له في كتابه أخرج الناس عن حوزتك وارفع عنهم سوطك واجلس بالعراق فان خففت فاقبل وان ثقلت فاقعد فلما قرأ الكتاب قال انقل ثم انقل .

كتاب علي إلى أهل الكوفة :

ولما بلغ علي ما قال وصنع غضب غضباً شديداً وبعث عمار بن ياسر والحسن دعوته ، وكتب معهم كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

الى اهل الكوفة من المؤمنين والمسلمين . اما بعد : فان دار الهجرة
تقلعت بأهلها فانقلعوا منها ، وجلشت جيشان الرجل ، وكانت فاعلة يوم
ما فعلت ، وقد ركب المرأة الجمل ، ونبحتها كلاب الحوآب ، وقامت
الفتنة الباغية يقودها ، يطلبون بدم هم سفكوه ، وعرض هم شتموه ؛
وحرمة انتهكوها ، وأبا حوا ما أبا حوا ، يعتذرون إلى الناس دون الله
يخلفون لكم لترضون عنهم ، فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين ؛ اعملوا ربحكم الله ان الجهاد مفترض على العباد فقد
جاءكم في داركم من يحكم عليه ، ويعرض عليكم رشدكم ، والله يعلم
اني لم أجد بدأ من الدخول في هذا الامر ، ولو علمت ان أحداً أولي
به مني لما تقدمت اليه وقد بايعني طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثم
خرجوا يطلبان بدم عثمان وهما اللذان فعلا بعثان ما فعلا وعجبت لهما كيف
أطاعا أبا بكر وعمر في البيعة وأيا ذلك علي وهما يعلمان اني لست
بدون واحد منهما مع اني قد عرضت عليهما قبل ان يبايعاني إذا أحبا
بايعت لاحدهما فقالا لانتفس على ذلك بل نبايعك وتقدمك علينا بحق
فبايعا ثم نكثا والسلام .

علي (ع) في الطريق :

ولما سار عليه السلام من المدينة انتهى إلى فيد وكان قد عدل إلى
جبال طي حتى سار معه عدي بن حاتم في ستمائة رجل من قومه فقال
عليه السلام لابن عباس ما الرأي عندك في أهل الكوفة فقال له ابن
عباس أنفذ عماراً فإنه رجل له سابقة في الاسلام وقد شهد بدرأ فإنه
ان تكلم هناك صرف الناس اليك وانا أخرج معه وابعث معنا الحسن
ابنك ففعل ذلك فخرجوا حتى قدموا على أبي موسى الاشعري فلما
وصلوا الكوفة قال ابن عباس للحسن وعمار ان أبا موسى عاق فإذا

رفقنا به أدركنا حاجتنا منه فقالوا افعل ما شئت .

فقال ابن عباس لابي موسى ان علياً ارسلنا اليك لما يطرقه سرعتك الى طاعة الله تعالى ورسوله (ص) ومصيرك الى ما احببنا اهل البيت وقد علمت فضله وسابقته في الاسلام ويقول لك ان تبائع له الناس ويترك على عملك ويرضى عنك فانتخدع ابو موسى وصعد المنبر فبايع اهل ساعة من النهار ثم نزل .

خطبة عمار بالكوفة :

فقال عمار : الحمد لله حمداً كثيراً فانه اهل على نعمته التي لا يحصيها ولا يقدر قدرها ولا يؤدي شكرها اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور الواضح والسلطان القاهر والامين الناصح والحكيم الراجح رسول رب العالمين وقائد المؤمنين وخاتم النبيين بالصدق وصدق المرسلين وجهاد في الله حتى اتاه اليقين .

ثم ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب دعى ، حفظه الله ونصره نصراً عزيزاً وابرم له امراً رشيداً بعثني اليكم وابنه يأمركم بالانصر اليه فانظروا اليه واطيعوا الله والله لو علمت ان على وجه الارض بشراً اعلم بكتاب الله وسنة نبيه منه ما استتفرتكم اليه ولا بايعته على الموت يا معشر اهل الكوفة الله الله في الجهاد فوالله ان صارت الامور الى غير علي دعى ، اتصيرن الى البلاء العظيم والله يعلم اني قد نصحت لكم وامرتكم بما اخذت بيقيني وما اريد اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب استغفر الله لي ولكم .

ثم نزل فصبر هنيئاً ثم عاد الى المنبر لحمد الله واثني عليه ثم قال

أيها الناس هذا ابن عم رسول نبيكم قد بعثني اليكم استنصركم
إلا ان طلحة والزبير قد سارا نحو البصرة وأخرجنا عائشة معها للفتنة
الا وان الله قد ابتلاكم بحق امكم وحق ابيكم وحق ربكم أولى
وأعظم عليكم من حق امكم وابيكم ولكن الله قد ابتلاكم لينظر
كيف تعملون فاتقوا الله واسمعوا واطيعوا وانفقوا في سبيل الله وانفروا
الى خليفتمك وصهر نبيكم فان اصحاب رسول الله (ص) قد بايعوه
بالمدينة وهي دار الهجرة ودار السلام أسأل الله ان يوفقكم .

ثم نزل فصعد الحسن بن علي عليهما السلام على المنبر فحمد الله واثنى
عليه وذكر جده صلى عليه وذكر فضل ابيه وسابقتة وقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه أولى بالامر من غيره ثم قال
معاشر الناس ان طلحة والزبير بايعا علياً طائعين غير مكرهين ثم نفرا
ونكثا بيعتهما له فطوبى لمن خف في مجاهدة من جاهده فان الجهاد معه
كالجهاد مع النبي (ص) .

ثم نزل وكان أمير المؤمنين (ع) كتب مع عباس كتابا الى
أبي موسى الاشعري وغلظ فيه فقال ابن عباس قلت في نفسي اقدم
علي رجل وهو أمير بمثل هذا الكتاب ان لا ينظر في كتابي ونظرت ان
اثنى كتاب أمير المؤمنين وكتبت من عندي كتابا عنه لا بي موسى :

اما بعد فقد عرفت مودتك لإيانا أهل البيت واقطاعك الينا وانما
نرغب اليك لما نعرف من حسن رأيك فينا فاذا اتاك كتابي فبايع لنا
الناس والسلام .

فدفعه اليه فلما قرأه ابو موسى قال لي أنا الامير أو أنت ؟ قلت
انت الامير فدعا الناس الى بيعته علي فلما بايع قت وصعدت المنبر فرام
انزالي منه فقلت انت تنزلني عن المنبر ؟ وأخذت بقائم سيفي فقلت اثبت
مكانك والله اثن نزلت اليك هذبتك به فلم يبرح فبايعت الناس لعلي .

دخلت ابا موسى في الحال واستعملت مكانه قرضة بن عبد الله الانصاري ولم ابرح من الكوفة حتى سیرت اهل دع ، في البر والبحر من اهلها سبعة آلاف رجل ولحقته بذی قار قال وقد سار معه من جبال طی وغیرها الفا رجل ولما صار اهل الكوفة الى ذی قار ولقوا علیاً دع ، بها رحبوا به وقالوا الحمد لله الذی خصنا بمودتك واکرمنا بنصرتك فجزاهم خیراً .

خطبة علي بذی قار :

ثم قام وخطبهم ، حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة إنكم من اكرم المسلمين واعدلهم سنة وافضلهم في الإسلام سبها وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً ، حزبكم بيونات العرب وفرسانهم ومواليهم ، اتم أشد العرب ودأ للنبي ؛ وإنما اخترتكم ثقة بعد الله لما بذلتم لي انفسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي ، وخلافهما طاعتي واقبالهما بعائشة لخالفتي ومبارزتي وإخراجها لها من بيتها ، حتى أقدماهما البصرة . وقد بلغني ان اهل البصرة فرقتان : فرقة الخير والفضل والدين قد اعتزلوا وكرهوا ما فعل طلحة والزبير ! ثم سكنت عليه السلام ، فأجاب به أهل الكوفة : نحن أنصارك واعوانك على عدوك ، ولودعوتنا الى اضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجونا ففرد عليهم خيراً (١) .

خطبة أخرى بذی قار :

ولما أراد دع ، المسير من ذی قار تكلم ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله عز وجل بعث محمداً للناس كافة ورحمة للعالمين ، فصدع بما أمر به (١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠) روى خطبته دع ، بغير هذا اللفظ .

ربلغ رسالات ربه ، فلما ألم به الصدع ورتق به الفتق وأمن به السبيل
 وحقق به الدماء وألف به بين ذوى الأحقاد والعداوة الواغرة في
 الصدور ، والضغائن الكامنة في القلوب ، قبضه الله عز وجل اليه حميداً
 وقد ادى الرسالة ونصح للامة ، فلما مضى صلى الله عليه وآله اسيله
 دفعنا عن حقنا من دفعنا وولوا من ولوا سوانا ثم ولاها عثمان بن عفان
 فقال منكم وثلم منه حتى اذا كان من أمره ما كان أتيتمونى فقلتم بايعنا
 فقلت لكم لا أفعل ؛ فقلتم بلى لا بد من ذلك ، فقبضتم يدى فبسطتموها
 وتداككتم على تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى اقد
 خفت انكم قاتلى ، أو بعضكم قاتل بعض ؛ فبايعتمونى وانا غير مسرور
 بذلك ولا جذل ، وقد علم الله سبحانه لى كنت كارهاً للحكومة بين
 امة محمد ، واقد سمعته يقول ا ما من وال بلى شيئاً من أمر امةى إلا أنى الله
 يوم القيامة مغلوله يداه الى عنقه على رؤوس الخلائق ، ثم ينشر كتابه
 فان كان عادلاً نجا وان كان جائراً هوى . ثم اجتمع على ملوك وباعنى
 طلحة والزبير وانا اعرف الغدر فى وجهيهما والنكث فى عينيهما ثم أستأذنانى
 فى العمرة فأعلتھما ان ليس العمرة يريدان فسارا الى مكة واستخفا
 عائشة وخدعاها وشخص معها ابناء الطلقاء قدموا البصرة وهتكوا بها
 المسلمين وفعلوا المنكر ، وياعجباً لا ستقامتهما لأبى بكر وعمر وبغيهما على
 وهما يعلمان لى است دون احدهما ولو شئت ان أقول لقلت ، واقد كان
 معاوية كتب اليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عنى وخرجا يوهمان
 الطعام انهما يطلبان بدم عثمان والله ما انكرا على منكرأ ولا جعلنا بينى
 وبينهما نصفاً وان دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب فيها يا خيبة الداعى الى
 ما ادعا وبماذا اجيب ، والله انهما لانى ضلالة صماء وجهالة عمياء وان
 الشيطان قد دبر لها حربه واستجلب منها خيله ورجاله ليعيد الجور الى
 اوطانه ويرد الباطل الى نصابه . ثم رفع يديه وقال : اللهم ان طلحة والزبير

قطماني وظلماني ونكثا بيعتي فاحلل ما عقدنا وانكث ما أبرما ولا تغفر
لها أبدا وأرهما المساءة فيما عملا واملأ .

فقام الاشر رضي الله عنه فقال : خفض عليك يا أمير المؤمنين فوالله
ما أمر طلحة والزبير علينا بمحيل اقد دخلا في هذا الامر اختياراً ثم
فارقانا على غير جور عملناه ولا حدث في الإسلام احدتناه ؛ ثم اقبلا
يشيران الفتنة علينا تائهن جاثرين ليس معهما حجة ترى ولا أثر يعرف
لقد لبسا العار وتوجها لمحو الديار ، فان زعما ان عثمان قتل مظلوما فليستقد
آل عثمان منهما فاشهد انهما قتلاه واشهد الله يا أمير المؤمنين ان لم يدخلا
فيما خرجا منه ولم يرجعا إلى طاعتك وما كانا عليه انلحقهما با بن عفان .

أبو التيهان :

وقام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله وقال يا أمير المؤمنين صبحهم الله
بما يكرهون فان اقبلوا قبلنا منهم وان ادبروا انجاهدنهم فلعمري ما قوم
قتلوا النفس التي حرم الله قتلها واخذوا الأموال واحافوا اهل الايمان
باهل ان يكف عنهم ، فأقبل أمير المؤمنين «ع» ، على عدى بن حاتم فقال
له يا عدى انت شاهد لنا وحاضر معنا وما نحن فيه .

عدي بن حاتم :

فقال عدى شهدتك او غبت عنك فأنا عندما أحبيت هذه خيوانا
معدة ورماحنا محددة وسيوفنا حمرة فان رأيت أن تتقدم تقدمنا وان
رأيت أن نتجهم أحجمنا نحن طوع لا مكر فامر بما شئت فسارع
إلى امثال امرك .

أبو زينب الأزدي :

وقام أبو زينب الأزدي فقال والله ان كنا على الحق إنك لأهدانا سبيلاً وأعظمتنا في الخير نصيباً وان كنا على الضلالة والعياذ بالله أن نكون عليه ، لانك اعظمتنا وزراً وأنقلتنا ظهراً وقد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم وقطعتنا منهم الولاية وأظهرنا منهم البراءة وظاهرناهم بالعداوة ونريد بذلك ما يعلمه الله عز وجل وانا ننشدك الله الذي عليك ما لم تكن تعلم السنا على الحق وعدونا على الضلال فقال دع ، اشهد ان خرجت لدينك ناصراً صحيح النية قد قطعت منهم الولاية واطهرت منهم البراءة كما قلت انك لفي رضوان الله فابشر يا أبا زينب فانك والله على الحق فلا تشك فانك انما تقاتل الاحزاب فأنشأ أبو زينب يقول :

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي فان خير الناس اتباع على هذا أو أن طاب سل المشرف وقودنا الحنيل وهز السمهرى ولما استقر أمر أهل الكوفة على النهوض لأمير المؤمنين دع ، وخف بعضهم لذلك بادر ابن عباس ومن معه من الرسل فيمن اتبعهم من أهل الكوفة إلى ذي قار للاتحاق بأمير المؤمنين وأخباره بما عليه القوم من الجد والاجتهاد في طاعته وانهم لاحقون به غير متأخرين عنه وإنما تقدمهم ايستعد للسفر والحرب وقد كان يستخلف قرضة بن كعب على الكوفة على ما قدمناه ويحث الناس على اللحاق به .

فورد على أمير المؤمنين كتاباً قد كتب اليه من البصرة ما صنعه القوم بعامله عثمان بن حنيف رحمه الله وما استطوه من الدماء ونهب الاموال وقتل من قتلوه من شيعته وأنصاره وما أثاروه من الفتنة فيها فوجده ابن عباس وقد أحزنه ذلك وغمه وأزعجه وأقلقته فأخبره بطاعة أهل الكوفة ووعدهم بالنصرة فسر عند ذلك وأقام ينتظر أهل

الكوفة والمدد الذي ينتصر بهم على عدوه .

ابن حنيف مع الناكثين :

فصل : وكان من حديث القوم فيما صنعوه بعثان بن حنيف رضى الله عنه ومن ذكرناه معه على ما جاءت به الاخبار واتفق عليه نقلة السير والآثار .

روى الواقدي وأبو مخنف عن أصحابها والمدائني وابن دآب عن مشايخهما بالاسانيد التي اختصرنا القول باسقاطها واعتمدنا فيها على ثبوتها في مصنفات القوم وكتبهم فقالوا ان عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أعدوا السير مع من اتبعهم من بني أمية وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حفر أبي موسى (١) فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ وخليفة أمير المؤمنين وكان عنده حكيم بن جبلة فقال له حكيم ما الذي بلغك فقال خبرت ان القوم قد نزلوا حفر أبي موسى فقال له حكيم ائذن لي أن أسير اليهم فاني رجل في طاعة أمير المؤمنين د ع ، فقال له عثمان توقف عن ذلك حتى ارسلهم فقال له حكيم إنا لله هلكت والله يا عثمان فأعرض عنه وارسل إلى عمران بن حصين وأبي الاسود الثؤلي فذكر لها قدوم القوم البصرة وحلولهم حفر أبي موسى وسألها المشير اليهم وخطابهم على ما قصدوا به وكفهم عن الفتنة فخرجوا حتى دخلا على عائشة فقالا لها يا ام المؤمنين ما حملك على السير ؟ فقالت غضبت لهما من سوط عثمان وعصاه ولا اغضب ان يقتل فقالا لها وما انت من سوط عثمان وعصاه وانما انت

(١) سماه ابن جرير في التاريخ (ج ٥ - ص ١٧٣) الحفير ولم يصفه الى أبي موسى وفي معجم البلدان (ج ٣ - ص ٣٠٤) الحفير بالتصغير ماء أباهلة بينه وبين البصرة أربعة اميال .

حييس رسول الله (ص) وإنا نذكرك الله ان يهراق الدماء في سبيلك فقالت وهل من احد يقاتلني ! فقال لها ابو الاسود الدؤلي نعم والله قتالا أهونه شديد ، ثم خرجا من عندها فدخلتا على الزبير فقالا له يا أبا عبد الله نشدك الله ان يهراق الدماء في سبيلك فقال لها ارجعا من حيث جئتما ان لا تفسدا علينا فأيسا منه وخرجا حتى دخلا على طلحة فقالا له نشدك الله ان يهراق الدماء في سبيلك فقال لها طلحة أيجب علي بن ابي طالب دع ، انه اذا غلب على امر المدينة ان الامر له ، وانه لا امر إلا امره والله ليعلمن فانصرفا من حيث جئتما فانصرفا من عنده إلى عثمان ابن حنيف فأخبراه الخبر .

وروى ابن ابي سبرة عن عيسى بن عيسى عن الشعبي ان أبا الاسود الدؤلي وعمران لما دخلا على عائشة قالاهما ما الذي أقدمك هذا البلد ؟ وانت حبيسة رسول الله (ص) وقد امرك ان تقرى في بيتك فقالت غضبت لكم من السوط والعصا ، ولا اغضب عثمان من السيف فقالا لها نشدك الله ان يهراق الدماء في سبيلك وان تحملي الناس بعضهم على بعض فقالت لها انما جئت لاصلح بين الناس وقالت لعمران بن الحصين ها انت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة فقال لا ابلغه عنك إلا خيراً فقال لها أبو الاسود أنا ابلغه عنك فهاتي ، قالت له يا طليق ابن ابي عامر بلغني إنك تريد لقائي لتقاتلني ، فقال لها ابو الاسود الدؤلي نعم والله لنقاتلنك فقالت وانت ايضاً يبلغني عنك ما يبلغني قم فانصرف عني فخرجا من عندها إلى طلحة فقالا له يا أبا محمد ألم تجمع الناس إلى حرب ابن عم رسول الله ؟ الذي فضله الله كذا وكذا وجعلنا يعددان مناقب امير المؤمنين دع ، وفضائله وحقوقه فوق طلحة بعلي وسبه ونال منه وقال انه ليس احد مثله اما والله ليعلمن غير ذلك ، فخرجا من عنده وهما يقولان غضب هذا المدن ، ثم دخلا على الزبير فكلماه مثل كلامهما لصاحبه فوق ايضاً في

عليّ د ع ، وسبه ، وقال لقوم كان بمحضرم صبحوم قبل ان يمسموكم
نفرجا من عنده حتى صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر ، فأذن
عثمان للناس بالحرب (١) .

فرح حفصة :

فصل : ولما بلغ عائشة نزول امير المؤمنين د ع ، بنى قار كتبت
إلى حفصة بنت عمر :

اما بعد فلما نزلنا البصرة ونزل علي بنى قار والله داق عنقه كدق
البيضة على الصفا انه بمنزلة الاشقر ، ان تقدم نحر وان تأخر عقر فلما
وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تيم وعدى
واعطت جواربها دقوفاً وامرتهن ان يضربن بالدقوف ويقلن ما الخبر
ما الخبر علي كالأشقر بنى قار ان تقدم نحر وان تأخر عقر ، فبلغ ام
سلة (رض) اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين
والسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة فبكك وقالت اعطوني ثيابي
حتى اخرج اليهن وأوقع بهم .

ام كلثوم مع حفصة :

فقال ام كلثوم بنت امير المؤمنين د ع ، أنا أنوب عنك فأننى
اعرف منك فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحب جواربها
متخفرات وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النضارة فلما رأت إلى
ما هن فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها ثم قالت
لحفصة ان تظاهرت انت واختك على امير المؤمنين د ع ، فقد تظاهرتما
على اخيه رسول الله (ص) من قبل فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل

(١) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٢) .

واقه من وراء حربكما (١) وأظهرت حفصة خجلا وقالت انهن فعلن
هذا بجهل وفرقهن في الحال .

خطبة عائشة بالمربد :

ولما بلغ عائشة رأى ابن حنيف في القتال ركبت الجبل وأحاط بها
القوم وسارت حتى وقفت (بالمربد) واجتمع اليها الناس حتى امتلأ
المربد بهم فقالت وهي على الجبل صه صه فسكت الناس واصفوا اليها
لحمدت الله تعالى وقالت :

اما بعد فان عثمان بن عفان قد كان غير وبدل فلم يزل يغسله بالتوبة
حتى صار كالذهب المصني فعدوا عليه وقتلوه في داره وقتل ناس معه
في داره ظلماً وعدواناً ثم آثروا علياً فبايعوه من غير ملائمة من الناس
ولا شورى ولا اختيار فابتز والله امرهم وكان المبايعون له يقولون
خذها اليك واحذرنا أبا محسن إنا غضبنا لكم على عثمان من السوط
فكيف لا نغضب لعثمان من الغضب ان الامر لا يصح حتى يرد الامر
إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه احد سفك دم عثمان .

فقالت بعض الناس صدقت وقال بعض الناس كذبت واضطربوا
بالنعال وتركتهم وسارت حتى انت (الدباغين) وقد تميز الناس بعضهم
مع طلحة والزبير وعائشة وبعضهم متمسك ببيعة أمير المؤمنين والرضا
به فسارت من موضعها ومن معها واتبعها على رأيها طلحة والزبير

(١) اشارة الى ما جاء في سورة التحريم من قوله تعالى : (واذا
أسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به) الآية . ففي تفسير
الخانن (ج ٧ - ص ٩٧) وروح المعاني للالوسي (ج ٢٨ ص ١٥٢)
عن ابن عباس ان حفصة أسرت حديثاً لرسول الله (ص) الى عائشة
وكاتتا متصافيتين وهما اللتان تظاهرتا عليه ونزل القرآن فيهما .

ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير حتى أتوا دار الامارة فسألوا
عثمان بن حنيف الخروج عنها فأبى عليهم ذلك واجتمع اليه انصاره
وزمرة من اهل البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى زالت الشمس واصيب
يومئذ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من اصحاب عثمان
ابن حنيف وشيعة امير المؤمنين سوى من اصيب من ساير الناس وبلغ
الحرب بينهم التراحف إلى (مقبرة بنى مازن) ثم خرجوا على مسناة
البصرة حتى انتهوا إلى (الزاوية) وهي ساحة دار (الوزق) (١)
فاقتتلوا قتالاً شديداً كثر فيه القتل والجرحى من الفريقين ثم انهم
تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به
فتصالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد وبيت المال
واطلحة والزبير وعائشة ماشاؤون البصرة ولا يحاجوا حتى يقدم امير
المؤمنين دح ، فان احبوا عند ذلك الدخول في طاعته وان احبوا ان
يقاتلوا ، وكتبوا بذلك كتاباً بينهم وأوثقوا فيه اليهود وأكدوها
وأشهدوا الناس على ذلك (٢) ووضع السلاح وآمن عثمان بن حنيف
على نفسه وتفرق الناس عنه .

وطلب طلحة والزبير وأصحابها عثمان حتى أتوا دار الامارة وعثمان
ابن حنيف غافل عنهم وعلى باب الدار السابجة يحرسون بيوت الأموال

(١) في معجم البلدان (ج ٤ - ص ٣٦٦) انها بالزاء المعجمة بعدها
الف ثم باء موحدة وبعدها واو ثم القاف مدينة المسامعة قرب البصرة
وهم بنو مسمع بن شهاب بن بلع بن عمرو الخ . وفيها كانت وقعة الجمل
(٢) نصر عليه في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٧) وابن الاثير
(ج ٣ - ص ٨٤) وذكرنا ان اسامة بن زيد قال اشهد انها بايعا
مكرهين فثار عليه تمام بن العباس وسهل بن حنيف مع جماعة فاتصر
له محمد بن مسلمة وصهيب بن سنان فأخرجوه إلى منزلهم .

وكانوا قوماً من الزط ووضعوهم فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً ، يتولى منهم ذلك الزير خاصة ، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً وعمدوا إلى لحيته وكان شيخاً كثر اللحية فتنفخوا حتى لم يبق منها شيء . ولا شجرة واحدة وقال طلحة عذبوا الفاسق واتنفخوا شعر حاجبيه واشفار عينيه وأوثقوه بالحديد .

قلبا أصبحوا اجتمع الناس اليهم وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة فرام طلحة ان يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزير وأراد أن يصلي بهم فنهه طلحة فإزالا يتدافعان حتى كادت الشمس ان تطلع فنأدى اهل البصرة الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها (١) .

فقال عائشة : مروا أن يصلي بالناس غيرهما فقال لهم يعلى بن منبه يصلي عبد الله بن الزير يوماً ومحمد بن طلحة يوماً حتى يتفق الناس على أمير يرضونه فتقدم ابن الزير وصلى بهم ذلك اليوم .

وبلغ حكيم بن جبلة العبدى ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السابجة الصالحين خزان بيت مال المسلمين فنأدى في قومه ياقوم انفروا إلى هؤلاء الضالين الضالين الذين سفكوا الدم الحرام وفعلوا بالعبد الصالح واستحلوا ما حرم الله عز وجل فأجابه سبعة رجل من عبد قيس وأنوا المسجد واجتمع الناس إلى حكيم بن جبلة فقال للقوم أما ترون ما صنعوا بأخي عثمان بن حنيف ما صنعوا ؟ لست بأخيه ان لم أنصره ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم ان طلحة والزير لم يريدوا بما عملا القربة منك وما أرادوا إلا الدنيا اللهم اقتلها بمن قتلها ولا تعطها ما أملا ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتبعه أصحابه واقبل طلحة والزير

(١) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨١) والتفت اليها النابه الى الغاية المقصودة لها وإلا فما هذا النزاع ان كانا يطلبان الحقيقة وما عشت اراك الدهر عجبا .

ومن معها وهم في كثرة من الناس قد انضم اليهم الجهور واقتلوا قتالا شديداً حتى كثرت بينهم الجرحى والقتلى وبرز إلى حكيم بن جبلة رجل من القوم فضربه بالسيف فقطع رجله قتالها حكيم بيده ورماه بها فصرعه (١) .

ثم صار إلى حكيم أخوه المعروف بالاشرف فقال من اصابك ؟ فأشار إلى الذي ضربه فأدركه الاشرف (٢) فقبضه بالسيف حتى قتله وتكاثر الناس عليه وعلى أخيه حتى قتلوهما وتفرق الناس .

ورجع طلحة والوزير ونزلا دار الامارة وغلبا على بيت المال فتقدمت عائشة وحملت مالا منه ابتغى على انصارها فدخل عليها طلحة والوزير في طائفة معها واحتملا منه شيئاً كثيراً فلما خرجا نصبا على ابوابه الاقفال ووكلا به من قبلها قوماً فأمرت عائشة بحتمة فبرز لذلك طلحة ليختمه ففهم الوزير وأراد ان يختمه الوزير دونه فتدافعا فبلغ عائشة ذلك فقالت يختمها عني ابن اخي عبد الله بن الوزير فحتم يومئذ بثلاثة ختوم .

ثم قال طلحة والوزير ما تأمرين في عثمان ؟ فانه لما به فقالت اقتلوه قتله الله وكانت عندها امرأة من اهل البصرة فقالت لها يا اماء ابن ينهب بك تأمرين بقتل عثمان بن حنيف واخوه سهل على المدينة وله مكاة من الاوس والخزرج ما قد علت والله اثن فعلت ذلك ليكون له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش فأب إلى عائشة رأيها وقالت

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٠) وابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٥) لما ضربه برجله وصرعه حبا اليه وقتله ثم انكأ عليه وقال : ياخذ لن تراعى ان معي ذراعى احمى بها كراعى .

(٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٣٣) قتل مع حكيم بن جبلة ابنه الاشرف واخوه الرعل بن جبلة .

لا تقتلوه ولكن احبسوه وضيقوا عليه حتى أرى رأيي فحبس اياماً ثم بدا لهم في حبسه وخافوا من اخيه ان يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم فتركوا حبسه .

حجى ابن حنيف الى علي :

غرج ابن حنيف حتى جاء إلى أمير المؤمنين وهو بنى قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين وقد نكل به القوم بكى وقال يا عثمان بعثك شيخاً ملتجئاً فرددت امرأاً لي اللهم انك تعلم انهم اجترأوا عليك واستحلوا حرمانك اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي وعجل لهم النعمة بما صنعوا بخليفتي ولما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير الى بيت المال فتأملاً إلى ما فيه من الذهب والفضة قالوا هذه الغنائم التي وعدنا الله بها واخبرنا انه يعجلها لنا .

علي في بيت المال :

قال ابو الاسود الدؤلي وقد سمعت هذا منهما ورأيت علياً بعد ذلك وقد دخل بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال يا صفراء بيضاء غري غيري ، المال يعسوب الطلبة وانا يعسوب المؤمنين فلا والله ما التفت الى ما فيه ولا فكر فيما رآه منه وما وجدته عنده إلا كالتراب هو انا فتعجبت من القوم ومنه عليه السلام فقلت اولئك ممن يريد الدنيا وهذا ممن يريد الآخرة وقويت بصيرتي فيه ، ولما استقر الامر عند القوم بعد خروج عثمان بن حنيف وعلم طلحة والزبير وعائشة ان أمير المؤمنين بنى قار ينتظر الجوع وانه لا يصبر على ما فعلوه بصاحبه والمسلمين امرت عائشة الزبير ان يستنفر الناس اليه لخطبهم الزبير وامرهم بالجد والاجتهاد وقال لهم ان عدوكم قد اظلمكم واقه اثن ظفر بكم لا ترك بكم

عيناً تطرف فانهضوا اليه حتى نكب عليه قبل ان تلحقه انصاره وقال
 لهم امضوا نخذوا أعطيتكم فلما رجع إلى منزله قال له ابنه عبد الله امرت
 الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل ان يأتي علي بن ابي طالب
 فتضعف بئس الرأي الذي رأيت فقال له الزبير اسكت ويحك ما كان
 غير الذي قلت فقال طلحة صدق عبد الله وما ينبغي ان يسلم هذا المال
 حتى يقرب منا علي فتضعه في موضعه فيمن يدفعه عنا فغضب الزبير
 وقال والله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته فلامته عائشة على ذلك
 ووافق رأيها برأى الرجلين فقال الزبير والله لتدعوني أو ألحق بمعاوية
 فقد بايع في الشام الناس فأمسكوا عنه .

الزبير شاك متردد :

وروى داود بن ابي هند عن ابن عمرة مولى الزبير ان الزبير قال
 يؤمئذ لو كان لي الف فارس إلى خمسمائة فارس ينهضون معي الساعة
 لا سير بهم إلى علي فاما ان آتي به يائساً أو أصحبه صباحاً لعلّي أقتله قبل
 ان يأتيه مدده فلم يخف معه احد فاعتاظ لذلك وقال هذه والله الفتنة التي
 كنا نتحدث بها فقال له مولا ابو عمرة رحمك الله يا أبا عبد الله تسميها
 فتنة ثم ترى القتال فيها فقال له ويحك انا نبصره ولكن لا نصبر ثم قال
 بعد ذلك بيوم او يومين والله ما كان امر قط إلا علبت اين اضع قدمي
 فيه إلا هذا الامر فاني لم أدر أنا فيه مقبل ام مدبر فقال له ابنه عبد
 الله والله ما بك هذا وانا انتعمي فما يحملك على هذا القول إلا انك
 أحسست برايات ابن ابي طالب قد أظلت وعلبت ان الموت الناقع تحتها
 فقال له اعزب ويحك فانك لا علم لك بالامور .

وروى الحرث بن الفضل عن أبي عبد الله الاغر ان الزبير بن
 العوام قال لابنه يؤمئذ ويحك لا تدعنا على حال انت والله قطعت بيننا

وقررت الفتنة بما بليت به من هذا المسير وما كنت متولياً من ولي هذا الامر واقام به والله لا يقوم احد من الناس مقام عمر بن الخطاب فيهم فن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب وان سرنا بسيرة عثمان قتلنا فما اصنع بهذا المسير وضرب الناس بعضهم ببعض فقال له عبد الله ابنه اقتدع علياً يستولى على الامر؟ وأنت تعلم انه كان احسن اهل الشورى عند عمر بن الخطاب واقدم أشار عمر وهو مطعون يقول لاصحابه اهل الشورى ويليكم اطعموا ابن ابي طالب فيها لا يفتق في الاسلام قتلاً عظيماً ومنوه حتى يجمعوا على رجل سواه .

ولما صار عثمان بن حنيف إلى ذي قار واقام بها مع أمير المؤمنين وهو مريض بعالج حتى ورد على أمير المؤمنين ع ، اهل الكوفة .

فصل : وروى الواقدي عن شيبان بن عبد الرحمن عن عامر بن كليب عن ابيه قال لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلاً حتى قدم طلحة والزبير البصرة ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيراً حتى أقبل علي بن ابي طالب بندي قار فقال شيخان من الحنابلة اذهب بنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو اليه فلما اتينا (ذا قار) قدمنا على أذكي العرب فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت اقول هو اعلم به مني واطوع فيهم فقال من سيد بني راسب فقلت فلان قال فن سيد بني قدامة قلت فلان لرجل آخر فقال انت مبلغها كتابين مني ؟ قلت نعم قال أفلا تبأيعاني ؟ فبأيعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون بايع بايع فقال عليه السلام دعوا الرجل فقلت انما بعثني قومي رائداً وسأنهى اليهم ما رأيت فان بايعوا بايعت وان اعتزلوا اعتزلت فقال لي أرايت لو ان قومك بشوك رائداً فرأيت روضة وغديرأ فقلت يا قومي النجعة النجعة فأبوا ما كنت بمستنجع بنفسك فأخذت باصبع من اصابعه فقلت ابايع على ان اطيعك ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لك علينا

فقال نعم وطول صوته فضربت على يده ثم التفت إلى محمد بن حاطب وكان من ناحية القوم فقال إذا انطلقت إلى قومك فابلقهم كتبني وقولي فتحول إليه محمد حتى جلس بين يديه فقال ان قومي إذا اتيتهم يقولون ما يقول صاحبك في عثمان فنب عثمان الذين حوله فرأيت علياً قد كره ذلك حتى رشع جبينه وقال ايها القوم كفوا ما لياكم يسأل ولا عنكم سائل قال فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على علي أهل الكوفة فجعلوا يقولون نرى اخواننا من اهل البصرة يقاتلوننا وجعلوا يضحكون ويمجدون ويقولون والله لو التقينا لتعاطينا الحق كأنهم يرون انهم لا يقتلون وخرجت بكتاب علي دع ، فأنيست أحد الرجلين فقبل الكتاب وأجابه ودلت على الآخر وكان متوارياً فلو انهم قالوا له كليب ما اذن لي فدخلت عليه ودفعت الكتاب اليه وقلت هذا كتاب علي واخبرته الخبر وقلت اني اخبرت علياً لانك سيد قومك فأني أن يقبل الكتاب ولم يجبه إلى ما سأله وقال لاجبة لي اليوم في السؤدد فوالله اني ابا لبصرة ما رجعت إلى علي حتى نزل العسكر ورأيت الفر الذين مع علي عليه السلام وطلع القوم .

اخبار علي بعدد من يأتيه من الكوفة :

وروى نصر بن عمرو بن سعد عن الاحلج عن زيد بن علي قال لما أبطل على علي دع ، خبر اهل البصرة وكانوا في فلاة قال عبد الله بن عباس فأخبرت علياً بذلك فقال لي اسكت يا ابن عباس فوالله ليأتينا في هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف وستائة رجل وليغلن أهل البصرة وليقتلن طلحة والزبير فوالله انني استشرف الاخبار واستقبلها حتي اذا اتى راكب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدة التي سمعتها من

علي. د ع ، لم تنقص برجل واحد (١) .

وروى اسماعيل بن عبد الملك بن يحيى بن شبل عن أبي جعفر محمد ابن علي. د ع ، قال لما سار علي من ذي قار قاصداً البصرة حتى نزل الحريية في اثني عشر الف وعلى الميمنة عمار بن ياسر في الف رجل وعلى الميسرة مالك الاشتر في الف رجل ومعه في نفسه عشرة آلاف رجل وخرج اليه من البصرة الفا رجل خرجت اليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها وجاءته عبد القيس بأجمعها سوى رجل واحد تخلف عنها وجاءته بنو بكر يرأسهم شقيق بن ثور السدوسي ورأس عبد القيس عمر ابن جرموس العبدى وأتاه المهلب بن أبي صفرة فيمن تبعه من الازد

موقف الاحنف :

وبعث اليه الاحنف بن قيس يقول له اني مقيم على طاعتك في قومي فان شئت حبست عنك اربعة آلاف سيف من بني سعد فبعث اليه امير المؤمنين د ع ، بل احبس وكف لجمع الاحنف قومه فقال يا بني سعد كفوا عن هذه الفتنة واقعدوا في بيوتكم فان ظهر اهل البصرة فهم اخوانكم لم يهيجوكم وان ظهر علي د ع ، سلمتم فكفوا وتركوا التتال (٢) واقبل هلال بن وكيع الحنظلي الى الاحنف بن قيس حين بلغه ذلك فقال ما يقول سيدنا في هذا الامر ؟ فقال الاحنف انما اكون سيدكم غداً اذا قتلتم انا وبقيت فقال هلال (٣) بل انت سيدنا اليوم

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٩) قال ابو الطفيل اخبرنا علي عليه السلام بمن يأتيه من اهل الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا .

(٢) المصدر .

(٣) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢٠١) انه هلال بن وكيع -

وشيخنا فقال الاخنف أنا شيخكم المعصي وأنت الشاب المطاع أقعد في بيتك ولا تخرج مع طلحة والزبير فأبى أن يرضى ثم دعا تميمًا كلهم فبايعوه إلا نفر منهم فبلغ طلحة والزبير ما فعله الاخنف فبعثا اليه يستميلانه ويرومان أن يدخل في طاعتها فقالا اختاروا مني إحدى ثلاث خصال أما أن أقيم في بيتي وأكف نفسي ولا أكون معكم ولا عليكم وأما أن الحق بعلي بن أبي طالب وأما أن أأتى إلى الامواز فأقيم بها فقالا ننظر في ذلك ثم استشارا من حضرهما فقالوا لها أما على فعدوك ولا حظ في أن يكون معه الاخنف وأما الامواز أن أتاها يلحق به كلن لا يريد القتال معكم منهم ولكن يكون قريباً منك فإن تحرك وطأناه على صاخه فأمرناه بالاقعود فأبى (وادى السباع) وأقام به (١) .

ولما قدم رسول الاخنف على علي (ع) بما بذله من كف قومه عنه قال رجل يا أمير المؤمنين من هذا ؟ قال ادعى العرب وخيرهم اقومه فقال كذلك هو وأبى لا مثل بينه وبين المغيرة بن شعبة لزم الطوائف فأقام بها ينتظر على من تستقيم الامة فقال الرجل اني لاحسب ان الاخنف لا سرع إلى ما تحب من المغيرة فقال علي (ع) اجل ما يبالي المغيرة اى لواء رفع لواء ضلالة او هدى ،

وروى الواقدي قال حدثني معمر بن راشد عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال اقبل ابو بكره يريد أن يدخل مع طلحة والزبير في امرهما فلما رأى عائشة تدبرهما رجع عنها فقيل له مالك لم تدخل معهما فقال رأيت امرأة تلى امرهم وقد سمعت رسول الله يقول وقد ذكر ملكة سبأ فقال لا أفلح قوم تدبرهم امرأة فكرهت الدخول معهم .

— ابن مالك بن عمرو .

(١) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٩٧ و ص ٢٠١) .

وروى عبد الله بن عطا عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال أعزّل
أبي أن يدخل مع عائشة قال أنى سمعت رسول الله يقول لا يفلح قوم
تلى أمرهم امرأة (١) .

كتاب عائشة إلى المدينة واليامة :

فصل : وروى الواقدي عن رجاله قال لما أفرج القوم عن عثمان
ابن حنيف (ره) لما خلفوه من أخيه سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى
أهل المدينة :

بسم الله الرحمن الرحيم من أم المؤمنين عائشة زوجة النبي (ص)
وأبنة الصديق إلى أهل المدينة أما بعد فإن الله أظهر الحق ونصر طالبيه
وقد قال الله تعالى : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو
زاهق) الآية . ولكم الويل بما تصفون فاتقوا الله عباد الله وأسمعوا
وأطيعوا وأعتصموا بحبل الله جميعاً وعررة الحق ولا تجعلوا على أنفسكم
سبيلاً فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمروا عليهم الزبير بن
العوام فهو أمير الجنود والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له فإن
اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملاء منهم وتشاورفانا ندخل
في دالح ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأطيعوا واعينوا
على ما سمعتم عليه من أمر الله .

وكتب عبيد بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الاول سنة

ست وثلاثين (٢) .

(١) الفيض القدسي شرح الجامع الصغير (ج ١ - ص ٣٠٣) عن
الحاكم والبخاري في المغازي والفتن والترمذي في الفتن والنسائي في
القضاء قال وفيه دلالة على انها لا تصلح لشي من امور الزعامة .

(٢) عند ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٦) انه كتب في جمادى .

وكتبت إلى أهل النمامة وأهل تلك النواحي :

اما بعد فاني اذكركم الله الذي انعم عليكم وألزمكم بالاسلام فان الله تعالى يقول : (ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها أن ذلك على الله يسير) فاعتصموا بحبل الله وكونوا مع كتابه فان امكم ناصحة لكم فيما تدعون اليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة له حرمة وابتز المسلمين أمرهم وقد اظهر الله عليه وان ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار وانا أقبلنا اليها ندعو المسلمين إلى كتاب الله وان يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضى لهم واجمع لا مرهم وكان ذلك لله على المسلمين فيه الطاعة فاما أن ندرك به حاجتنا او نبليغ عذراً .

فلما دنونا بالبصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجوع وأمرهم أن يتلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر وقالوا فينا المنكر فأكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم وقالوا لعثمان بن حنيف ويحك اما تابعنا زوج النبي وام المؤمنين واصحاب رسول الله وأئمة المسلمين قتمادى في غيه وأقام على أمره فلما رأى المسلمون انه قد عصاهم ورد عليهم أمرهم غضبوا الله عز وجل ولا م المؤمنين ولم نشعر به حتى أطلبنا في ثلاثة آلاف من جهة العرب وسفائهم وضعهم دون المسجد بالسلاح فالتسنا أن يبايعوا على الحق ولا يحولوا بيننا وبين المسجد فرد علينا ذلك كله .

حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون وفتحوه عنوة وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس وإنا نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا مناغرة فلما رأى المسلمون أنهم لم يبرحوا تحرزوا لأنفسهم ولم يخرج ومن معه حتى هجموا علينا وأباحوا سدة يتي ومعهم صناديد لهم

ليسفكوا دمي فوجدوا نفراً على باب بيتي فردوهم عني وكان حولي نفر
من القرشيين والازديين فدفعوهم عني وقتل منهم من قتل وانهزموا فلم
تعرض لبقيتهم وخلينا ابن حنيف مناً منا عليه وقد توجه إلى صاحبه
وعرفناكم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من النية في نصرة
دين الله والغضب لخليفته المظلوم .

وهروى الواقدي عن عبد بن السلام بن حفص قال حدثني المنهال
أبن سلم البصري قال لما بدى لطلحة والزبير في حبس عثمان بن حنيف
واشفقا من أخيه سهل بن حنيف على مخلفيهم في المدينة أطلقوه فتوجه
إلى أمير المؤمنين د ع ، وهو بذى قار .

خطبة طلحة :

فلما عرفا خروجه اليه قام طلحة في الناس خطيباً فسمى اليهم عثمان
ابن عفان وذكر قاتليه وأكثر النعم لهم والشم وعزا قتله إلى علي بن أبي
طالب د ع ، وأنصاره وذكر أن علياً أكره الناس على البيعة له فقال فيما
قال : يا معشر المسلمين أن الله قد منحكم بام المؤمنين وقد عرفتم حقها
ومكاتها من رسول الله (ص) ومكان أبيها من الاسلام فهذه هي تشهد
لنا إنما نكذبكم فيما خبرناكم به ولا غرناكم فيما دعوناكم اليه من
قتال ابن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق ولسنا نطلب خلافة
ولا ملكاً وإنما نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق وقد
رجونا أن يكون عندكم عوناً لنا على طاعة الله وصلاح الامة فانا احق
من عناء أمر المسلمين ومصلحتهم .

وأن علياً لو عمل الجدة في نصرة أمكم لاعتزل هذا الامر حتى تختار
الامة لانفسها من ترضاء .

فقال أهل البصرة مرحباً وأهلاً وسهلاً بام المؤمنين والحمد لله الذي

أكرمنا بها وانتم عندنا رضى وثقة وأنفسنا مبذولة لكم ونحن نموت على طاعتكم ورضاكم .

ثم انصرفوا وساروا الى عائشة فسلوا عليها وقالوا قد علمنا أن أمتنا لم تخرج إلينا إلا لثقتنا بنا وأنها تريد الإصلاح وحقن الدماء وأطفاء الفتن والالفة بين المسلمين وانا نتظر أمرها في ذلك فان أبى عليها احد فيه قاتلناه حتى يفيء الى الحق .

وبلغ كلام طلحة مع أهل البصرة الى عبد بن حكيم التيمي فصار اليه وقال له يا طلحة هذه كتبك وصلت إلينا بعيب عثمان بن عفان وخبرك عندنا بالتأليب عليه حتى قتل ويعتك علينا في جماعة الناس ونكثك بيعته من غير حدث كان منه فيما بلغني عنك وفيما جئت بعد الذي عرفناه من رأيك في عثمان فقال له طلحة اما عبيد لعثمان وتأليبي عليه فقد كان فلم نجد لنا من الخلاص منه سبيلا إلا التوبة فيما إقترفناه من الجرم له والاخذ بدمه فاما بيعتي له فاني اكرهت على ذلك وخشيت منه أن يؤلب على أن أمتنع من بيعته ويغري بي فيمن أغراه بعثمان حتى قتله فقال له عبد الله بن حكيم هذه معاذير يعلم الله باطن الامر فيها وهو المستعان على ما نخاف من عاقبة أمرها .

خطبة أخرى له :

وروى عبد الله بن عبيدة قال لما كان من كلام عبد الله بن حكيم ما كان قام طلحة لحمد الله واثني عليه وقال أن رسول الله (ص) توفي وهو عنا راض وكنا مع أبي بكر حتى توفاه الله فأتى وهو عنا راض ثم كان عمر بن الخطاب فسمعناه وأطعناه حتى قبض وهو عنا راض فأمرنا بالتشاور في أمر الخلافة من بعده واختار ستة نفر ورضيهم للامر فاستقام أمرنا على رجل من الستة ولينا واجتمع رأينا عليه وهو

عثمان وكان أهلاً لذلك فبايعناه وسمعنا له وأطعناه فأحدث بعد ذلك
لأحدائنا لم تكن على عهد أبي بكر وعمر فكرهما الناس منه ولم يكن
لنا بد مما صنعناه .

وأخذ هذا الرجل الأمر دوتنا من غير مشورتنا وتغلب عليه ونحن
فيه وهو شرع سواء فأتى بنا إليه ونحن أكره الناس إليه واللح على
اعتناقنا فبايعناه كرهاً والذي نطلب منه أيها الناس الآن أن يدفع إلى
ورثة عثمان قاتليه فإنه قتل مظلوماً وينخلع هذا الأمر ويعزله ليتشاور
المسلمون فيمن يكون إماماً كسنة عمر بن الخطاب فإذا استقام رأينا
ورأى أهل الإسلام على رجل بايعناه .

فلما فرغ من كلامه قام عظيم من عظماء عبد القيس لحمد الله وأثنى
عليه ثم قال :

أيها الناس أنه قد كان وال هذا الأمر وقوامه المهاجرون والانصار
بالمدينة ولم يكن لأحد من أهل الأمصار أن ينقضوا ما أبرموا ولا
يرموا ما نقضوا فكانوا إذا رأوا رأياً كتبوا به إلى الأمصار فسمعوا
لهم وأطاعوا وأن عائشة وطلحة والزبير كانوا أشد الناس على عثمان
حتى قتل وبايع الناس علياً وبايعه في جملتهم طلحة والزبير فجاءنا نبأهما
بيعتهما له فبايعناه فوالله لا نخلع خليفتنا ولا ننقض بيعتنا .

فصاح عليه طلحة والزبير وأمرنا بقرض لحيته فتنفوها حتى لم
يبق منها شيء .

وقام رجل من بني جشم فقال :

أيها الناس أنا فلان ابن فلان فاعرفوني وإنما أنتسب لهم ليعلموا
أن له عشيرة تمنعه فلا يعجل عليه من لا يوافقه كلامه قال أيها الناس
أن هؤلاء القوم ان كانوا جاؤكم يطلبون بدم عثمان فوالله ما نحن قتلنا
عثمان وان كانوا جاؤكم خائفين فوافقه ما جاؤا إلا من حيث يأمن الطير

فلا تغفروا بهم واسمعوا قولي وأطيعوا أمري وردوا هؤلاء القوم إلى
مكانهم الذي منه أقبلوا وأقيموا على بيعتكم لإمامكم وأطيعوا لاميركم .
فصاح عليه الناس من جوانب المسجد وقذفوه بالحصى .

ثم قام رجل آخر من متقدمي عبد القيس فقال :

أيها الناس انصتوا حتى أنكلم فقال له عبد الله بن الزبير ويلك
ما لك وللكلام فقال ما لي وله أنا والله للكلام به وفيه ثم حمد الله وأثنى
عليه وذكر النبي صلى عليه وقال : يا معاشر المهاجرين كنتم أول الناس
إسلاماً بعث الله محمداً نبيه بينكم فدعاكم فأسلمتم وأسلمنا لاسلامكم فكتم
فيه القادة ونحن لكم تبع ثم توفي رسول الله فبايعتم رجلاً منكم لم
تستأذنونا في ذلك فسلمنا لكم ثم أن ذلك الرجل توفي واستخلف عمر
ابن الخطاب فوالله ما استشارنا في ذلك فإرضيتم به رضينا وسلمنا ثم
أن عمر جعلها شورى في ستة نفر فاخترتم منهم واحداً فسلمنا لكم
واتبعناكم ثم أن الرجل أحدث أحداثاً أنكرتموها فحصرتموه وخلعتموه
وقتلتموه وما استشرتمونا في ذلك ثم بايعتم علي بن أبي طالب وما
استشرتمونا في بيعته فرضينا وسلمنا وكنا لكم تبعاً فوالله ما ندرى بماذا
نقضتم عليه ؟ هل استأثر بآل ؟ أو حكم بغير ما أنزل الله ؟ أو أحدث
منكراً ؟ فحدثونا به تكن معكم فوالله ما نراكم إلا قد ضللتكم بخلافكم
له فقال له ابن الزبير ما أنت وذاك وأراد أهل البصرة أن يثبوا عليه
فمنعهم عشيرته .

خطبة عائشة :

فصل : وروى محمد بن عمر الواقدي عن موسى بن طلحة قال لقد
شهدت عائشة يوم الجمل وقد سألها الناس عن عثمان فأرأيت أفصح منها
لساناً ولا أربط منها جناحاً فاستجلبت الناس بيديها ثم حمدت الله

وأنت عليه وقالت :

أيها الناس إنا تقمنا على عثمان لخصال ثلاثة : إمارة بالغنى وضربه بالسوط ورفع موضعه الإمامة حتى إذا عتبنا منهم مصوه مص الماء بالصابون ثم عدوا عليه فاستحلت منه حرمان ثلاث حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الخلافة والله لعثمان كان أقيم الرب وأوصلهم للرحم وأعظمهم للفرج أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وروى اسرافيل بن يونس عن أبي اسحق الهمداني قال جاء جليد ابن زهير الجشمي وعبد الله بن عامر النيمى فدخلا على عائشة فسلما عليها فقالت من هذان الرجلان ؟ فقيل لها هذان زهير بن جليد صاحب خراسان وهذا عبد الله بن عامر النيمى فقالت هما معنا ام علينا ؟ فقالا لا معك ولا عليك حتى يتبين انما الأمر فقالت كفى بالاعتزال نصرة .

وروى عمر بن صباح قال اجتمع نفر من وجوه البصرة إلى طلحة والزبير فقالوا لها فان ولاية عثمان غير كما فدعوا ولاته يطالبون بدمه والله ما نراك انصفتما رسول الله (ص) في حبيسته عرضتها للرياح والشموس والقتال وقد أمرها الله ان تفر في بيتها وتركتها نساء كما في الاكنان والبيوت هلا جثتما بنسائكما معكما فقال لهم طلحة اغربوا عنا بقبحكم الله (١) .

وجاء عمرو بن حصين إلى عائشة فقال لها قد كان لك يا عائشة في اخوانك عبرة وفي امثالك من امهات المؤمنين اسوة اما سمعت الله تعالى يقول : وقرن في بيوتكن . فلو اتبعت امر الله كان خيراً لك فقالت

(١) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٧٦) ان جارية بن قدامة السعدي قال للزبير وطلحة جثتما بام المؤمنين فهل جثتما بنسائكما ؟ قال لا فقال فا انا منك في شيء واعتزل القتال ثم قال من ابيات ذكرها صتم حلائلكم وقدتم امكم هذا لعمرك قلة الانصاف

له يا عمر قد كان ما كان فهل عندك عوناً لنا وإلا فاحبس عنا لسانك
قال اعتزل علينا قالت رضيت بذلك منك .

النصيحة لأصحاب الجمل :

فصل : ولما سار أمير المؤمنين « ع » ، من ذى قار قدم صعصعة بن
صوحان بكتاب على « ع » ، إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم حرمة
الاسلام ويخوفهم فيما صنعوه وقبيح ما ارتكبوه من قتل من قتلوا من
المسلمين وما صنعوا بصاحب رسول الله (ص) عثمان بن حنيف رحمه
الله وقتلهم المسلمين صبراً ووعظهم ودعاهم إلى الطاعة قال صعصعة
رحمه الله فقد تمت عليهم فبدأت بطلحة واعطيته الكتاب واديت الرسالة
فقال الآن حين عضت ابن ابى طالب الحرب ترفق لنا ثم جئت إلى
الزبير فوجدته ألين من طلحة ثم جئت إلى عائشة فوجدتها اسرع
الناس إلى الشر فقالت نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لا فعلن
وافعلن فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلقيه قبل ان يدخل
البصرة فقال ما وراءك يا صعصعة ؟ قلت يا امير المؤمنين رايت قوماً
ما يريدون إلا قتالك فقال الله المستعان .

ثم دعا عبد الله بن عباس فقال انطلق اليهم فناشدهم وذكرهم العهد
الذى لى فى رقابهم قال ابن عباس جئتهم فبدأت بطلحة فذكرته العهد
فقال لى يا ابن عباس والله اقد بايعت علينا واللع على رقبتى فقلت له أنا
رأيتك بايعت طائفاً ولم يقل لك على بيعتك له ان احببت ابايعك
فقلت لا بل نحن نبايعك ؟

فقال طلحة إنما قال لى ذلك وقد بايعه قوم فلم استطع خلافهم والله
يا ابن عباس ان القوم الذين معه يغرونه وقد لقيناه فسيسلونه اما عملت
يا ابن عباس انى جئت اليه والزبير ولنا من الصحبة ما لنا مع رسول الله

والقدم في الاسلام وقد احاط به الناس قياماً على رأسه بالسيف فقال
لنا يهزل ان احببنا بايعت لكما فلو قلنا نعم اقتراه يفعل ؟ وقد بايع الناس
له فليخلع نفسه ويبايعنا لا والله ما كان يفعل وحتى ان يغري بنا من
لا يرى انا حرمة فبايعناه كارهين وقد جئنا نطلب بدم عثمان قتل لابن
عمر ان كان يريد حق الدماء واصلاح امر الامة فليمكننا من قتل
عثمان فهم معه ويخلع نفسه ويرد الامر ليكون شورى بين المسلمين
فيولوا من شاؤا فانما على د ع ، رجل كأحدنا وان ابى اعطيناه السيف
فاله عندنا غير هذا .

قال ابن عباس يا ابا محمد لست تنصف ألم تعلم انك حصرت عثمان حتى
مكك عشرة ايام يشرب ماء بثره وتمنعه من شرب الماء حتى كلبك على
في ان تمخى الماء له وانت . تأبى ذلك ولما رأى اهل مصر فعلك وانت
صاحب رسول الله (ص) دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه ثم بايع الناس
رجلاه من السابقة والفضل والقراية برسول الله (ص) والبلاء العظيم
ما لا يدفع وجئت انت وصاحبك طائعين غير مكهرين حتى بايعنا ثم
نكشنا فعجب والله اقرارك لأبي بكر وعمر وعثمان بالبيعة ووثوبك على
ابن ابى طالب فوالله ما على د ع ، دون احد منكم واما قولك بمكننى
من قتل عثمان فما يخفى عليك من قتل عثمان واما قولك ان أبى على د ع ،
فالسيف فوالله انك تعلم ان علياً لا يتخوف .
فقال طلحة إيهما الآن دعنا من جدالك .

قال فخرجت إلى علي . وقد دخل البيوت بالبصرة فقال ما ورائك
فأخبرته الخبر فقال اللهم اقتح بيننا بالحق وانت خير الفاتحين ثم قال
ارجع إلى عائشة واذكر لها خروجها من بيت رسول الله (ص)
وخوفها من الخلاف على الله عز وجل ونبذها عهد النبي (ص) وقل لها
ان هذه الامور لا تصلحها النساء وإنك لم تؤمرى بذلك فلم ترضى

بالخروج عن امر الله في تبرجك وييتك الذي امرك النبي بالمقام فيه حتى
سرت إلى البصرة فقتلت المسلمين وعمدت إلى عمالي فأخرجتهم وفتحت
بيت المال وامرت بالتككيل بالمسلمين وأبحت دماء الصالحين فارعى
وراقبي الله عز وجل فقد تعلمين انك كنت اشد الناس على عثمان
فاعداما بدا .

قال ابن عباس فلما جئتها وأديت الرسالة اليها وقرأت كتاب علي
عليه السلام عليها .

قالت يا ابن عباس ابن عمك يرى انه قد تملك البلاد لا والله ما بيده
منها شيء إلا ويبدنا اكثر منه .

فقلت يا امام ابن امير المؤمنين دعه له فضل وسابقة في الاسلام
وعظم عناه .

قالت ألا تذكر طلحة وعناه يوم احد قال فقلت لها والله ما نعلم
احداً اعظم عناه من علي دعه .

قالت انت تقول هذا ومع علي اشياء كثيرة قلت الله الله في دماء
المسلمين قالت واى دم يكون المسلمين إلا ان يكون علي يقتل نفسه
ومن معه قال ابن عباس فتبسمت فقالت بما تضحك يا ابن عباس ؟ .

فقلت والله معه قوم على بصيرة من امرهم يبذلون مهجهم دونه قالت
حسبنا الله ونعم الوكيل .

قال وقد كان امير المؤمنين اوصاني ان اتقى الزبير وان قدرت ان
اكله وابنه ليس يحاضر فجئت مرة او مرتين كل ذلك اجده عنده ثم
جئت مرة اخرى فلم اجده عنده فدخلت عليه وامر الزبير مولاه
شرحساً ان يجلس على الباب ويحبس عنا الناس فجعلت اكله فقال
عصيتم ان خولقتم والله لتعلمين عاقبة ابن عمك فعلت ان الرجل مغضب
لجعلت الاينه فيلين مرة ويشتد اخرى .

فلما سمع شرحساً ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير وكان عند طلحة فدعاه فأقبل سريماً حتى دخل علينا .

فقال يا ابن عباس دع بنيات الطريق بيننا وبينكم عهد خليفة ودم خليفة وانفراد واحد واجتماع ثلاثة وام مبرورة ومشاورة العامة .

فأمسكت ساعة لا اكلمه ثم قلت لو اردت ان اقول لقلت فقال ابن الزبير ولم تؤخر ذلك ؟ وقد لحم الامر وبلغ السيل الزبي قال ابن عباس فقلت ما قولك عهد خليفة فان عمر جعل الشورى إلى ستة نفر فجعل النفر امرهم إلى رجل منهم يختار لهم منهم ويخرج نفسه منها فعرض الامر على علي خلف عثمان وأبي علي ان يحلف فبويح عثمان فهذا عهد خليفة واما دم خليفة فدمه عند ابيك لا يخرج ابوك من خصلتين اما قتل واما خذل واما الانفراد واجتماع ثلاثة فان الناس لما قتلوا عثمان فزهوا إلى علي فبايعوه طوعاً وتركوا اباك وصاحبه ولم يرضوا بواحد منها واما قولك ان معكم امأ مبرورة فان هذه الام اتما اخرجتها من بيها وقد امرها الله تعالى ان تقر فيه فأبيت ان تدعها وقد علمت انت وابوك ان النبي (ص) حذرهما من الخروج وقال لها يا حميرا إياك ان تنبحك كلاب الحوآب (١) وكان منها ما قد رأيت وأما دعواك مشاورة العامة فكيف بشاور فيمن قد اجتمع عليه وانت تعلم ان اباك وطلحة بايما طائعين غير كارهين فقال ابن الزبير الباطل والله ما تقول يا ابن عباس وقد سئل عبد الرحمن بن عوف عن اصحاب الشورى فكان صاحبكم اخيهم عنده وما ادخله عمر في الشورى إلا وهو يقرفه ولكنه خاف فتقه في الاسلام واما قتل خليفة فصاحبك كتب إلى الآفاق حتى قدموا عليه ثم قتلوه وهو في داره بلسانه ويده وانا معه في الدار اقاتل دونه حتى جرحت بضعة عشر جرحاً واما قولك ان علياً بايعه الناس

(١) ابن حجر في تظهير الجنان بهامس الصواعق المحرقة ص ١٠٨

طابعين فوالله ما بابعوه إلا كارهين والسيف على رقابهم غصبهم امره فقال الزبير دع عنك ما ترى يا ابن عباس جئتنا لتوفينا فقال له ابن عباس اتم طلبتم هذا والله ما عددناك قط إلا منا بنو هاشم لأنهم اخوالك ومحبتك لهم حتى ادرك ابنك هذا فقطع ارحامهم فقال الزبير دع عنك هذا

علي ينظم الجيش :

ولما عاد رسل أمير المؤمنين من طلحة والزبير وعائشة باصرارهم على خلافه وإقامتهم على نكث بيعته والمباينة له والعمل على حربه واستحلال دماء شيعته وانهم لا يتعظون بوعظ ولا يتقون عن الفساد بوعيد كتب الكتاب ورتب المساكر واستعمل على مقدمته عبد الله بن عباس رحمه الله وعلى ساقته هند المرادي ثم الجلي وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب سيد اهل الكوفة اسمه اسم امرأة واستعمل على كافة الخيل عمار بن ياسر وعلى جميع الرحالة محمد بن أبي بكر و فرق الرايات من بعده فجعل على خيل مذحج خاصة هند الجلي وعلى رجالها شريح ابن هاني الحارثي وعلى خيل همدان سعيد بن قيس وعلى رجالها زياد ابن كعب بن مرة وعلى خيل كندة حجر بن عدى وعلى خيل مجيلة ورجالها رفاعه بن شداد وعلى خيل قضاة ورجالها عدى بن حاتم وعلى خيل خزاعة وأقناء الين عبد الله بن زيد وعلى رجالها عمرو بن الحق الحزاهي وعلى خيل الأزدي جندب بن زهير وعلى رجالها أبا زينب الذي شهد على الوايعد بن عقبة بشرب الخمر وكان سبب صرفه وأقام الحمد عليه وعلى خيل بكر بن وائل عبد الله بن هاشم السدوسي وعلى رجالها حسان بن مخلد وعلى خيل عبد القيس من اهل الكوفة زيد بن صوحان العبدي وعلى رجالها الحرث بن مرة العبدي وعلى خيل بكر بن وائل من اهل البصرة سفيان بن ثور السدوسي

وعلى رجالتها الحصين بن المنذر وهو الذى قال فيه امير المؤمنين «ع ،
يوم صفين :

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حصين تقدا
وعلى المهازم خاصة جوهر بن جابر الخضر وعلى الدهلين خالد بن
المعمر السدوسى وعلى خيل عبيد القيس من اهل البصرة المنذر بن
الجارود العبدى وعلى خيل اسد قيصة بن جابر الاسدى وعلى رجالتها
العكبر بن وائل الاسدى وهو الذى قتل محمد بن طلحة فى ذلك اليوم
وعلى خيول اهل الكوفة من بنى تميم عمير بن عطارى وعلى رجالتها
معقل بن قيس وهو الذى سب بنى ناجية وعلى خيل قيس غيلان من
اهل الكوفة عبد الله بن الطفيل البكالى وعلى رجالتها قرة بن نوفل
الاشجعى صاحب النخيلة وعلى خيل قريش وكنانة هاشم بن عتبة
ابن ابي وقاص المرقال وعلى رجالتها هاشم بن هاشم وعلى من صار
اليه من تميم البصرة جارية بن قدامة السعدى وعلى رجالتها اعين بن
عنينة فأحاط العسكر يومئذ من الفرسان المعروفين والرجال المشهورين
على ستة عشر الف رجل .

ولما بلغ طلحة والزبير ان امير المؤمنين عليه السلام كتب الكتاب
ورتب العساكر وتيقنوا منه الجدد وايقنوا منه القصد والحرب عمدا
على الاستعداد لها وكان اهل البصرة قد اختلفوا عليها وقعد الاخنف
فى بنى سعد وكانا يظنان انه معهم فأخلف ظنهم وتأخر عنها الازد
لقعود كعب بن شور القاضى (١) عنهما وكان سيد الازد واهل اليمن
بالبصرة فأنفذا اليه رسوليها يسألانه النصر لهما والقتال معهما فأبى عليهما
وقال انا اعتول الفريقين فقالا لئن قعد عنا كعب خذلنا الازد بأسرها
ولا غنى لنا عنه فصارا اليه وأستاذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبهما فصارا

(١) فى تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٢١٣) ذكره بالسين المهملة .

إلى عائشة فغفراها خبره وسألاها ان تسير اليه فأبت وراسلته تدعوه
إلى الحضور عندها فاستغفها من ذلك .

فقال طلحة والزبير يا ام ان قعد عنا كعب قعدت عنا الأزد كلها
وهي حي البصرة فاركبني اليه فانك ان فعلت لم يخالفك وانتاد لرأيك
فركبت بنلا وأحاط بها نفر من اهل البصرة وصارت إلى كعب بن
شور فاستأذنت عليه فأذن لها ورحب بها فقالت يا بني ارسلت اليك لتنصر
الله عز وجل فما الذي اخرك عني ؟ فقال يا اماء لا حاجة لي في خوض
هذه الفتنة فقالت يا بني اخرج معي وخذ بخطام جلي فاني ارجو أن
يقربك بي إلى الجنة واستعبرت باكية فرق لها كعب بن شور واجابها
وعلق المصحف في عنقه وخرج معها فلما خرج والمصحف في عنقه
قال غلام من بني وهب وقد كان عرف امتناعه وتأنيه عن خوض هذه
الفتنة يقول :

أيا كعب رأيك ذاك الجزيل	امثل من رأيك الخاطل
أناك الزبير يدير الامور	وطلحة بالنقل الشاكل
ليست درجاك بما زخرفا	وامك تهوى إلى نازل
وقد كانت الام معصومة	فأضحت فرائس الاكل
تخط بها الأرض مرحولها	ترد الجواب على السائل
فالفيتها بين حي السباع	وعرضتها للشحي الثاكل
بحرب على وأصحا به	فقد ازم الدهر بالكاكل
فأبديت للقوم ما في الضمير	وقلت لهم قولة الخاذل
فأخطأها منك ما املاء	وقد اخلفا امل الآمل
وما لك في مصر من نسبة	وما لك في الحى من وائل
فلا تيجزعن على هالك	من القوم حلف ومن ناعل
ولما نهض كعب بن شور مع عائشة في الأزد اجتمع رأي طلحة	

والزبير على تكتب الكتائب واستقر الامر معها على ابن الزبير أمير
المسكر خاصة ومديره وطلحة في القلب واللواء مع عبد الله بن حزام
ابن خويلد وكعب بن شور مع الأزد وعلى خيل الميمنة مروان بن
الحكم وعلى رجالة الميمنة عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وعلى خيل الميسرة
وهم بنو تميم وسائر قبائل قضاة وهوازن هلال بن وكيع الدارمي
وعلى رجالة الميسرة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وقد ضم اليه الحباب
يزيد وعلى خيل قيس غيلان مجاشع بن مسعود وعلى رجالتهم جابر بن
التمان الباهلي وعلى خيل الرباب عمرو بن ثيري وعلى رجالتهم خرشة
ابن عمرو العتيبي وعلى من انحاز اليهم من ثقيف عبد الله بن عامر بن
كريب وعلى ابناء اهل المدينة عبد الله بن خلف الخزاعي وعلى رجالة
مذحج الربيع بن زياد الحارثي وعلى رجالة قضاة عبد الله بن جابر
الراسبي وعلى من انحاز اليهم من ربيعة مالك بن مسمع (١) ولما تقرر
امر الكتائب في الفريقين فخرج كل فريق بقومه وقام خطبائهم
بالتحريض على القتال .

خطبة ابن الزبير :

فقام عبد الله بن الزبير في معسكرهم فحمد الله وأثنى عليه وقال :
أيها الناس ان هذا الرعث والوعث قتل عثمان بالمدينة ثم جاءكم
ينشر اموركم بالبصرة وقد غصب الناس انفسهم ألا تنصرون خليفتم
(١) هو مالك بن مسمع بن سيار بن حنظل من آل بكر بن
وائل وفد أبوه مسمع على النبي (ص) وأسلم ثم ارتد وقتل بالبحرين
قصاصاً عن كلب قتله لقوم من عبد القيس كما في الحيوان للجاحظ
(ج ١ - ص ١٣٠) وفي معارف ابن قتيبة ص ١٨٤ إذا غضب مالك
غضب معه مائة الف سيف وفي الطبري (ج ٧ - ص ١٦٨) كان -

المظلوم ألا تمنعون حريمكم المباح ألا تتقون الله في عطيتكم من انفسكم
أترضون ان يتوردكم اهل الكوفة في بلادكم اغضبوا فقد غوضبتكم
وقاتلوا فقد قوتلم ان علياً لا يرى ان معه في هذا الامر احد سواء والله
ان ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم .
وأكثر من نحو هذا القول وشبهه .

خطبة الحسن :

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وقال لولده الحسن د ع ، قم يا بني
فاخطب فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال :
أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنى على عثمان
الذنوب وقد ضيق عليه البلاد حتى قتل وان طلحة راكز رايته على
بيت ماله وهو حي واما قوله ان علياً ابتز الناس امرهم فان اعظم حجة
لأبيه زعم انه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه فقد أقر بالبيعة وادعى الوليعة
فليأتني على ما ادعاه ببرهان وأنى له ذلك وأما تعجبه من تورده أهل
الكوفة على أهل البصرة فاعجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل
ولعمري والله ليعلمن أهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم نحاكمهم
إلى الله تعالى فيقضي الله الحق وهو خير الفاصلين .

فلما فرغ الحسن د ع ، من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود
— عثمانى العقيدة خرج إلى معاوية بعد قتل عثمان وفي ابن الاثير (ج ٤
ص ١١٢) كان معه يوم صفين وفي الأغاني (ج ٩ - ص ٣٥) لما
لجأ إليه مروان بعد وقعة الجمل وطلبه أمير المؤمنين د ع ، لم يدفعه إليه
إلا بعد أن أخذ منه رهينة دفعها إلى أبي حفصة غثيق مروان وقال له
ان حدث بصاحبك حدث فعليك بالرهينة .

واشدد شعراً بمدح الحسن (١) .

خطبة طلحة :

قال فلما بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن «ع» ومدح المادح له قام طلحة خطيباً في أصحابه وقال :

يا أهل البصرة قد ساق الله إليكم خير ما ساقه إلى قوم قط : امكم وحرمة نبيكم وحواري رسول الله وابن عمته ومن وقاه يده ، ان علياً غصب الناس انفسهم بالحجاز وتها للشام يريد سفك دماء المسلمين والتغلب على بلادهم فلما بلغه مسيرنا اليكم وقصدنا قصدكم وقد اجتمع معه منافقوا مضر وأنصار ربيعة ورجالة اليمن فاذا رأيتم القوم فاقصدوا قصدكم ولا ترعوا عنهم وتقولوا ابن عم رسول الله وهذه معكم زوجة الرسول وأحب الناس اليه وابنة الصديق الذي كان أحب الخلق إلى رسول الله (ص) .

فقام إلى طلحة رجل يقال له خيران بن عبد الله من أهل الحجاز كان قدم البصرة وهو غلام فقال :

يا طلحة والله ما تركت جنباً صحيحاً عليه بشتكم ربيعة ومضر وانتم وان كان القول كما تقول فانا لمثلهم وهم منا ونحن منهم وما يفرق بيننا وبينهم غيرك وغير صاحبك ولقد سبقت اليانا من على «ع» ، ربيعة ما ينبغي لنا ان ننقضها وانا لنعلم حالكم اليوم وحالكم أمس .
فهم القوم به فتمهم بنو أسد فخرج منهم ولحق بمنزل ابن صهبان مستخفياً لإشفافاً على دمه منهم .

وقام الأسود بن عوف لما سمع طلحة يشتم الأحياء من ربيعة ومضر واليمن فقال يا هذا ان الله لا يفرق بيننا وبين مضر وان اهل الكوفة من

(١) ذكر الشعر ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ١ ص ٤٩)

كن شهد الاخ الى الاخ وانما خالفنا القوم في هو ان فاعفنا بما ترى .
ثم خرج فلحق بعمان ولم يشهد الجبل ولا صفين .

خطبة أمير المؤمنين :

وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام لفظ القوم واجتماعهم على حربته .
فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :
أيها الناس ان طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي فدعواهم إلى معصية الله تعالى وخلافي فمن أطاعها منهم قتلوه ومن عصاها قتلوه وقد كان من قتلها حكيم بن جبلة ما بلغكم وقتلهم السبايكة وفعلها عثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم وقد كشفوا الآن القناع واذنوا بالحرب وقام طلحة بالشم والقدح في أديانكم وقد أرعد وصاحبه وأبرقا وهذان أمران معهما الفشل ولسنا نريد منكم ان تلقوهم ليظنوا ما في نفوسكم عليهم ولا ترون ما في انفسكم لنا ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر وقد خرجوا من هدى إلى ضلال ودعوناكم إلى الرضا ودعونا إلى السخط لئلا ولكم ردم إلى الحق والقتال وحل لهم بقصاصهم القتل وقد والله مشوا اليكم ضارراً وأذاقوكم أمس من الجمر فاذا لقيتم القوم غداً فاعذروني الدعاء وأحسنوا في التقيمة واستمعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين .

فقام اليه حكيم بن مناف حتى وقف بين يديه وقال :

وما كل من يدعى إلى الحق يسمع	أبا حسن أيقضت من كان نائماً
وما كل من أعطيته الحق يقنع	وما كل من يعطى الرضا يقبل الرضا
محاسنها والله يعطي ويمنع	وأنت امرء أعطيت من كل وجهة
وما فيك للبرء المخالف مطمع	وما منك بالامر المؤلم غلظة
هداك واجروا في الضلال فضيعوا	وان رجالا بايعوك وخالفوا

لاهل لتجريد الصوارم فيهم
 فاني لارجو ان تدور عليهم
 وطلحة فيها والوزير قرينه
 فان بمضيا فالجرب أضيق حلقة
 وما بايعوه كارهين لبيعة
 ولا بطيا عنها فراقا ولا بدا
 على نقضها بمن له شد عقدها
 خروج بام المؤمنين وغدرهم
 وذكرهم قتل ابن عفان خدعة
 فعود على نبعة هاشمية
 وسمر العوالي والقنا تزعزع
 رحي الموت حتى يسكنوا ويصرعوا
 وليس لما لا يدفع الله مدفع
 وان يرجعا عن تلك فالسلم اوسع
 وما بسطت منهم الى الكره اصبع
 لهم احد بعد الذين تجمعوا
 فقصرهما منه أصابع أربع
 وعيب على من كان في القلب اشجع
 وهم قتلوه والمخادع يخدع
 وعودهما فيا هما فيه (خروج)

الحرب :

ثم ان امير المؤمنين عليه السلام أنظرهم وأنذرهم ثلاثة أيام ليكفوا
 ويرعوا فلما علم اصرارهم على الخلاف قام في أصحابه وقال :
 عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم فانهم نكثوا
 بيعتي وقتلوا شيعتي ونكلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد ان
 ألوه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة وهو شيخ من وجوه الانصار
 والفضلاء ولم يرعوا له حرمة وقتلوا السابحة رجلا صالحين وقتلوا
 حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً لغضبه الله تعالى ثم تبعوا شيعتي بعد ان
 ضربوهم وأخذوهم في كل عايبة ونحت كل راية يضربون أعناقهم
 صبراً ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون فانهدوا اليهم عباد الله وكونوا
 اسوداً عليهم فانهم شرار ومساعدوهم على الباطل شرار فالقوم صابرين
 محتسبين موطنين انفسكم انكم منازلون ومقاتلون قد وطنتم انفسكم
 على الضرب والظعن ومنازلة الاقران فأى امرى احسن من نفسه

رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلاً أو
هنأً فليذب عنه أى عن أخيه الذى فضله الله عليه كما يذب عن نفسه
قلو شاء الله لجعله مثله .

فقام اليه شداد بن شمر العبدى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإنه لما كثر الخطأون وتمرد الجاحدون فزعنا إلى آل نبينا
الذين بهم ابتدأنا بالكرامة وهدانا من الضلالة الزموم رحمكم الله
ودعوا من اخذ يميناً وشمالاً فإن أولئك فى غمرتهم يعمهون وفى
ضلالهم يترددون .

قال ثم إن امير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداة
الخنيس لعشر مضين من جمادى الاولى وعلى ميمته الاشر وعلى ميسرته
عمار بن ياسر وأعطى الراية محمد بن الحنفية ابنه (١) وسار حتى وقف
موقفاً ثم نادى فى الناس لا تعجلوا حتى اعذر إلى القوم ودعا عبد الله
ابن العباس فأعطاه المصحف وقال امض بهذا المصحف إلى طلحة
والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه وقل لطلحة والزبير ألم تبايعاني
مختارين فما الذى دعا كما إلى نكث بيعتي وهذا كتاب الله بيني وبينكما

(١) كان لمحمد يوم البصرة عشرون سنة لأن ولادته سنة (١٦)
الهجرة نعرف ذلك من قول المسعودى فى التنبيه والاشراف ص ٢٨٣
وسبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواص ص ١٦٩ وابن كثير فى
البداية (ج ٩ - ص ٣٨) أنه توفى سنة احدى وثمانين عن خمس
وستين سنة .

ولا بدع فى ابن (حيدرة) اذا كانت له مواقف محمودة فى الجبل
وصفين والنهروان وكانت الراية معه فأبلى بلاء حسناً سجله له التاريخ
وشكره الاسلام بعد ما يحدث النبى (ص) عن اغرز الصفات الحميدة فى
الطالبين وهى الشجاعة فيقول (ص) : (لو ولد الناس ابو طالب —

قال عبد الله بن العباس فبدأت بالزبير وكان عندي أبقاهما علينا وكلته في الرجوع وقلت له ان امير المؤمنين دع ، يقول لك ألم تبايعني طائفاً فبم تستحل قتالي ؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فان شئت تحاكنا اليه قال ارجع إلى صاحبك فانا بايعنا كارهين ومالي حاجة في محاكته فانصرف عنه إلى طلحة والناس يشتدون والمصحف في يدي فوجدته قد لبس الدرع وهو محتجب بمجائل سيفه ودابته واقفة فقلت له ان أمير المؤمنين يقول لك ما حملك على الخروج وبما استحلكت قرض بيعتي والعهد عليك قال خرجت اطلب بدم عثمان أظن ابن عمك انه قد حوى على الكوفة وقد والله كتبت إلى المدينة يؤخذ لي بمكة فقلت له اتق الله يا طلحة فانه ليس لك ان تطلب بدم عثمان وولده أولى بدمه منك هذا ابان بن عثمان ما ينهض في طلب دم ابيه قال طلحة نحن اقوى على ذلك منه قتله ابن عمك وابتز امرنا فقلت له اذكرك الله في المسلمين وفي دمائهم وهذا المصحف بيننا وبينكم والله ما انصفتم رسول الله إذ حبستم نساءكم في بيوتكم وأخرجتم حبيسة رسول الله فأعرض عني ونادى بأصحابه ناجزوا القوم فانكم لا تقومون لحجاج ابن ابي طالب فقلت

— كلهم لكانوا شجعاناً) كما نص عليه الوطواط في غرر الخصائص ص ١٧ في باب حفظ الجوار وخطبته التي ارتجلها يوم صفين في مدح ابيه دع ، وهو واقف بين الصفين تشهد له بالفصاحة والبلاغة على أتم معانيها فهو جليل القدر عظيم المنزلة وعدم حضوره في مشهد الطف اما لان الحسين أذن له بالبقاء ليكون عيناً له كما في مقتل محمد بن ابي طالب الحائري او للرض كما يراه العلامة الحلي واعترافه بامامة السجاد يدل على حسن رأيه ومعذوريته في التأخر على كل حال وان لم نعرف السبب على التفصيل ولعل الحسين دع ، لاحظ مهمة دقيقة وهي كيف الاذي عن آل ابي طالب وحرهم من الامويين بوجود ابن الحنفية .

يا أبا محمد أبا سيف تخوف ابن أبي طالب أما والله ليعاجلنك السيف فقال ذلك بيننا وبينكم .

قال فانصرفت عنهما إلى عائشة وهي في هودج وقد دلف بالدروع على جملها (عسكر) وكعب بن شور القاضي أخذ بخطامه وحولها الازد وضبة فلما رأته قالت ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟ والله لا سمعت منك شيئاً أرجع إلى صاحبك وقل له ما بيننا وبينك إلا السيف وصاح من حولها أرجع يا ابن عباس لثلا يسفك دمك .

فرجعت إلى امير المؤمنين «ع» فأخبرته الخبر وقلت ما تنتظروا الله لا يعطيك القوم إلا السيف فاحمل عليهم قبل ان يحملوا عليك .

فقال «ع» نستظهر بالله عليهم قال ابن عباس فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع على نشابهم كأنه جراد منتشر فقلت ما ترى يا امير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم فقال حتى اعذر اليهم ثانية ثم قال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم اليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة فلم يقم احد إلا غلام عليه قباء ايض حدث السن من عبد القيس يقال له مسلم كافي اراه فقال انا اعرضه يا امير المؤمنين عليهم وقد احتسبت نفسي عند الله فأعرض عنه لإشفاقاً ونادى ثانية : من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم انه مقتول وله الجنة فقال مسلم بعينه وقال انا اعرضه ونادى ثالثة ولم يقم غير الفتى فدفع المصحف اليه وقال امض اليهم واعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه فأقبل الفلام حتى وقف بازاء الصفوف ونشر المصحف وقال هذا كتاب الله وامير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه .

فالت عائشة اشجروه بالرماح فقبحه الله فتبادروا اليه بالرماح فطعنوه من كل جانب وكانت امه حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجمرته من موضعه ولحقها جماعة من عسكر امير المؤمنين «ع»

اعانوها على حمله حتى طرحته بين يدي امير المؤمنين وهي تبكي وتقول (١)
يارب ان (مسلماً) دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فغضبوا من دمه فقام وامهم قائمة ترام
نأمرهم بالقتل لا تنههم

فلما رأى امير المؤمنين ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من
سفك الدم لحرام رفع يديه إلى السماء وقال اللهم اليك شخصت الابصار
وبسطت الايدي وافضت القلوب وتقربت اليك بالاعمال ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية
فأعطاه الراية وهي راية رسول الله (ص) وقال يا بني هذه راية لا ترد
قط ولا ترد أبداً قال محمد فأخذتها والريح تهب عليها فلما تمكنت من
حملها صارت الريح على طلحة والزبير واصحاب الجمل فأردت ان امشي
بها فقال امير المؤمنين قف يا بني حتى آمرك .

ثم نادى ايها الناس لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا
تكشفوا عورة ولا تهيجوا امرأة ولا تمثلوا بقتيل فيينا هو يوصي قومه
إذ اظلنا نبل القوم فقتل رجل من اصحاب امير المؤمنين فلما رآه
قتيلاً قال اللهم اشهد ثم رمى ابن عبد الله بن بديل فقتل فحمله ابوه
عبد الله ومعه عبد الله بن العباس حتى وضعناه بين يدي امير المؤمنين
فقال عبد الله بن بديل حتى متى يا امير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا
رجلا رجلاً قد والله اعذرت ان كنت تريد الاعتذار ثم قال محمد بن
الحنفية فقال امير المؤمنين رايتك يا بني قدمها وبعث في الميمنة والميسرة
ودعا بدرع رسول الله فلبسه وحزم بطنه بمصابة اسفل من سرته
ودعا بيغلته الشبها وهي بغلة رسول الله (ص) فاستوى على ظهرها
(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢٠٥) وفي روايته للربيع
والخامس خلاف ما هنا .

ووقف امام صفوف اصحابه فوقفت بين يديه باللواء وهو للحرب
مستعد فجاء قيس بن عباد وانشأ يقول :

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريل لنا مسددا
ما ضر من كانت الانصار عيبته ان لا يكون له من غيرها أحدا
قوم إذا حاربوا طالت اكفهم بالمشرفة حتى يفتحوا البلدا
وصف أصحاب عائشة صفوفهم وجاؤا بالجل وعليه الهودج وفيه
عائشة وخطامه في يد كعب بن شور وقد تقلد بالمصحف والازد وبنو
ضبة قد احاطوا بالجل وعبد الله بن الزبير بين يدي عائشة ومروان بن
الحكم عن يمينها والزبير يدير العسكر وطلحة على الفرسان ومحمد بن
طلحة على الرجال فقال محمد بن الحنفية قال لي ابي حين رأى القوم قد
زحفوا نحونا قدم اللواء قدمته وزحف المهاجرون والانصار فلما رأى
القوم قد زحفت باللواء بارزاً عن اصحابي رشقوني رشقة رجل واحد
فوقفت مكاني وايقنت منهم وقتل ينقض رشقهم في مرة او مرتين ثم
انقدم فلم اشعر إلا وأمير المؤمنين «ع» قد ضرب بين كتفي بيده ثم
اخذ اللواء مني بيده ونادى (يا منصور أمت) فوالله ما سمعت القوم حتى
رأيتهم قد زلزلت أقدامهم وارتعدت فرائصهم والتقى بعضهم ببعض
وتزايلا ترى عائشة موضع كل فريق منهم وتقدم عمار ومالك الاشر
مصلتين سيفهما نحو القوم ونادى امير المؤمنين يا محمد بن ابي بكر ان
صرعت عائشة فوارها وتول امرها فتضعض القوم حين سمعوا ذلك
واضطربوا وامير المؤمنين واقف في موضعه ثم تراجعوا بعد تضعضهم
ورجعت اليهم نفوسهم ونادوا البراز فتقدم رجل من بني عدي امام الجمل
وبيده السيف وهو يقول :

اضربكم ولا ارى عليا عمته ابيض مشرفيا اريح منه قومنا عديا
فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين «ع» ، يقال له امية

العبدى وهو يقول :

هذا على الهدى سبيله والرشد فيه والتقى دليله

من يقبع الحق يكن خليله

ثم اختلفت بينهما ضربتان فأخطاه العدوى وضربه العبدى فقتله
فقام مقامه رجل يقال له ابو الحرياء عاصم بن مرة من اصحاب الجمل
وهو يقول :

انا ابو الحرياء واسمى عاصم وامنا ام لها محارم
فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين وهو يقول :

اليك انى تابع عليا وتارك امكم مليا
اذ عصت الكتاب والنيا وارتكبت من امرها فريا
وضربه فقتله فقام مقامه رجل من اصحاب الجمل يقال له الهيثم بن
كليب الأزدي وهو يقول :

نحن نوالى امنا الرضية وتنصر الصحابة المرضية
فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين وهو يقول :

دليلكم عجل بنى امية وامكم خاسرة شقية هاوية فى قتنة عمية
وضربه ففلق هامته وخر صريعاً إلى الارض وبرز من بعده عمرو
ابن يثربى (١) وكان من شياطين اصحاب الجمل فنادى هل من مبارز
فبرز اليه علباء بن الهيثم فاختلفت بينهما ضربتان فقتل علباء رحمه الله فقام
مقامه هند بن المرادى فبادره بالسيف فانقاه وضربه عبد الله بن الزبير
وشغله بنفسه وثناه هند بن يثربى فقتلاه جميعاً فبرز مقامه زيد بن
صوحان العبدى فتضاربا وجاء فارس من اصحاب الجمل ووقف بجانب

(١) فى تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٣١٧) هو اخو عميرة القاضى
وفى ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٨) ان عميرة لم يقتل وبقى حتى تولى
قضاء البصرة لمعاوية .

عمرو يحميه فطعنه زيد في خاصرته طعنة أثخنه بها وبدر اليه عمرو
فضربه فقتل منها وبدأ عمرو يفتخر ويقول :

انا لمن ينكرني ابن يثرب قاتل علباء وهند الجلي
وابن لصوحان على دين علي

فبرز اليه مالك الاشتر فضربه على وجهه ضربة وقع بها على الارض
وحماه اصحابه فنهض وقد تراجعت نفسه وهو يقول لا بد من الموت
فدلوني على علي بن أبي طالب فلئن بصرت به لأملأن سيفي من هامته
فبرز اليه عمار بن ياسر (١) وهو يقول :

لا تبرح العرصة يا بن يثرب حتى اقاتلك على دين علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي

وضربه ضربة هلك منها وخر صريعاً فأكب قومه عليه فاحتملوه
إلى معسكرهم .

ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام جرأة القوم على القتال وصبرهم
على الهلاك نادى اصحاب ميمته ان يميلوا على ميسرة القوم ونادى
اصحاب ميسرته ان يميلوا على ميمتهم ووقف عليه السلام في القلب فما
كان بأسرع من ان تضعض القوم واخذت السيوف من هاماتهم
مأخذها فانكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة واصيب من اصحاب
امير المؤمنين نفر كثير واحاطت الازد بالجل يقدمهم كعب بن شور

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٧) كان عمار بن ياسر
ضعيفاً قصيفاً حش الساقين فاسترجع الناس حين رأوه بارزاً فضربه ابن
يثرب فنشب في جحفته ثم ضربه عمار فصرعه ورموه اصحاب علي
بالحجارة حتى أثخنوه وفيه ص ٢١٠ وابن الأثير (ج ٣ - ص ٩٨)
كان لعمار يومئذ تسعون سنة فضرب ابن يثرب على رجله فقطعها وجيء
به إلى علي وع ، أسيراً فأمر به فقتل .

وخطام الجبل بيده واجتمع اليهم من كان افقتل بالهزيمة ونادت عائشة يا بني الكرة الكرة اصبروا فاني ضامنة لكم الجنة فحفوا بها من كل جانب واستقدموا حتى دنوا من عسكر امير المؤمنين ولفت عائشة نفسها بردة كانت معها وقلبت يمينها على منكبها الايسر والايسر إلى الايمن كما كان رسول الله (ص) يفعل عند الاستسقاء ثم قالت ناولوني كفاً من تراب فتناولوها فحثت به وجوه اصحاب امير المؤمنين وقالت شامت الوجوه كما فعل رسول الله (ص) بأهل بدر قال وجر كعب بن شور بالخطام وقال اللهم ان اردت ان تحقن الدماء وتطني هذه الفتنة فاقتل علياً ولما فعلت عائشة من السب المبرح وحصب اصحاب امير المؤمنين قال عليه السلام وما رميت اذ رميت ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك انشاء الله وأنشدت ام ذريح العبدية من شيعه امير المؤمنين عليه السلام

عاش ان جئت لتهزمينا وتنشري البر لتغلبينا
وتتقذي بالحصابات فينا تصادفي ضرباً وتكربينا
بالمشرفيات إذا غزينا نسفك من دمائكم ماشينا

فقال محمد بن الحنفية رحمه الله قال لي امير المؤمنين «ع» يا بني تقدم باللواء وصف اصحابه فجعل الحسن في الميمنة والحسين في الميسرة وكان في ميمنة اهل الجبل هلال بن وكيع وفي ميسرتهم صبرة بن عثمان وتزاحف الفريقان بعضهم إلى بعض قال فوالله لقد رأيت أول قتيل من القوم كعب بن شور بعد ان قطعت يمينه التي كان فيها الخطام فأخذه بشماله وقتل بعد ذلك وقتل معه اخوه وابناه ثم اخذ بخطام الجبل بعده رجل وهو يقول شعراً :

يا امنا عاش لا تراعي كل بنيك بطل شجاع
فا برح حتى قطعت يده وطعن فهلك فقام مقامه آخر منهم فقطعت
يمينه وضرب على رأسه فهلك فما زال كل من اخذ بخطام الجبل رجل

قطعت يده وجذ ساقه حتى ملك منهم ثمانمائة رجل وقيل ذلك اليوم قتل سبعون رجلا من قریش وكان آخر من اخذ بزمام الجمل رجل من بني ضبة لجمل يقول (١) :

نحن بني ضبة اصحاب الجمل تنمي ابن عفان بأطراف الاسل
ردوا الينا شيخنا ثم نجل

فبرز اليه الاشر وهو يقول :

كيف نرد نعلنا وقد نجل

وضربه على هامته فقلقها فخر صريعا فلاذ بالجمل عبد الله بن الزبير وتناول خطامه بيده فقالت عائشة من هذا الذي اخذ بخطام جلي ؟ قال انا عبد الله ابن اختك فقالت وانكل اسماء ثم برز الاشر اليه فغلي الخطام من يده واقبل نحوه فقام مقامه في الخطام عبد اسود واصطرع عبد الله والاشر فسقطا إلى الأرض فجعل ابن الزبير يقول وقد اخذ الاشر بعنقه ينادى اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي .

قال الاشر فا سرني إلا قوله مالكا ولو قال الاشر لقتلوني فوالله لقد تعجبت من حق عبد الله إذ ينادي بقتله وقتلي وما كان ينفعه المشوم ان قتلت وقتل هو معي ولم تلد امرأة من النخع غيري فأفرجت عنه فانهمز وبه ضربة مشخنة في جانب وجهه .

فلما تفرق الناس عن الجمل اشفق امير المؤمنين عليه السلام ان يعود اليه فتعود الحرب فقال عرقبوا الجمل فتبادر اليه اصحاب علي وع ، فعرقبوه ووقع جنبه وصاحت عائشة صيحة أسمعت من في العسكرين وقد جاءت الروايات من مبارزة القوم وارتجأزم بما يطول شرحه وانما اقتصرنا على بعضه للايجاز والاختصار فيما كان من امر الجمل وقطع

(١) في ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٨) والطبري (ج ٥ ص ٢١٠)

الايات لوسيم بن عمرو بن ضرار الضبي .

أيدي الآخذين بخطامه وجد أقدامهم .

ما رواه مسلم بن عماره وقال بشر العامري أقبلت من نحو المدينة
أريد الكوفة في زمن عثمان فلقيت علجاً قد جعل على وجهه حمارة وورقة
فيها قرآن فأعظمت ذلك واخذت العليج وشتمته فقال لي ما تريد مني ؟
قلت ما هذا الذي صنعت ؟ ويلك تحمل على وجهه حمارك وورقة من القرآن
فقال ويحك ان هذا ومثله مطروح على الكناسات والحشوش عندنا
كتب صاحبك تمرق وتلقى في الحشوش قال فلقيت حذيفة فأخبرته قال
قد فعلوا ذلك كأني بهم وقد ساروا بها والذي بعث محمداً بالحق نبياً
والأزد وضبة قد حضروهما جذ الله أقدامهم قال فأنتيت الورقة في البصرة
فقطرت إلى تميم وضبة حول الجبل ونظرت إلى الأزد وقد قطعت
أقدامهم من العراقيب واسفل قال ولما قتل كعب بن شور تقدم غلام
من الحذان يقال له وائل بن عمر وهو يبيكي ويقول :

يارب فارحم سيد القبائل كعب بن شور غرة القبائل
وخير حاف منهم وناعل وخير مقتول وخير قاتل
ابشر بخير يا كعب كامل بنصرك الحق وترك الباطل
فخرج إليه رجل يقال له عبد الرحمن بن هاشم وهو يقول :

لأرحم الله بن شور اذ مضى ولا تولاه بعفو ورضى
فقد قضى بالجور فيما قد قضى ودان بالكفر ولم يعص الهوى
واتبع الضلال من أهل العمى فصار بالفتنة مع من قد هوى
ثم ضرب وائل بن عمر فقتله وبرز رجل من بني قشير يقال له حثمة
ابن الأسود وهو يقول :

نحن أصحاب الجبل المكرم ومانعوا هودجه المعظم
وناصريا وزوج النبي الأكرم ذلك دين الله فينا الأقدم
فخرج إليه رجل من شيعة أمير المؤمنين يقال له عبيد الله بن سالم

وهو يقول :

نحن مطيعون جميعاً لعل
ان الغوى تابع امر الغوى . قد خالفت زوج النبي للنبي .
وخرجت من بيتها مع من هوى .

ثم ضرب يده بالسيف فقطعها ووقع لجنبه فرام اصحابه تخلصه
وازدحوا عليه فوطؤه .

وروى الواقدي قال حدثني عبد الله بن الفضيل عن ابيه عن محمد
ابن الحنفية قال لما نزلنا البصرة وعسكرنا بها وصففنا صفوفنا دفع ابي
علي « د » الى باللواء وقال لا تحدثن شيئاً حتى يحدث فيكم ثم نام فقلنا
نبل القوم فأفرغته ففزع وهو يمسح عينيه من النوم واصحاب الجمل
يصيحون يا لثارات عثمان فبرز « د » وليس عليه إلا قميص واحد ثم
قال تقدم باللواء فتقدمت وقلت يا ابيه في مثل هذا اليوم بقميص واحد
قال (احرز امرء اجله) والله قاتلت مع النبي (ص) وانا حاسر اكثر
مما قاتلت وانا دارع ثم دنا كل من طلحة والزبير فكلمهما ورجع وهو
يقول : يا ابي القوم إلا القتال فقاتلوه فقد بغوا ودعا بدرعه البتراء ولم
يلبسها بعد النبي إلا يومئذ فكان بين كتفيه منها متوهياً قال وجاء امير
المؤمنين وفي يده شسع فغل فقال له ابن عباس ما تريد بهذا الشسع يا امير
المؤمنين ؟ فقال عليه السلام اربط بها ما قد توهى من هذا الدرع من
خلقي فقال له ابن عباس أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا ؟ فقال « د »
لم ؟ قال اخاف عليك قال (ع) لا تخف ان اوتى من ورأى والله يا ابن
عباس ما وليت في زحف قط ثم قال له البس يا ابن عباس فلبس درعاً
سعدياً ثم تقدم إلى الميمنة وقال احملوا ثم إلى الميسرة وقال احملوا وجعل
يدفع في ظهري ويقول تقدم يا بني فجعلت اتقدم وكانت اياها حتى
انهزموا من كل وجه .

وروى الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ من مشايخ أهل البصرة قال لما صف علي بن أبي طالب صفوفه أطال الوقوف والناس ينتظرون أمره فاشتد عليهم ذلك فصاحوا حتى متى فصفق بأحدى يديه على الأخرى ثم قال عباد الله لا تعجلوا فاني كنت أرى رسول الله (ص) يستحب ان يحمل اذا هبت الرياح قال فامهل حتى زالت الشمس وصلى ركعتين ثم قال ادعوا ابني محمداً فدعى له محمد بن الحنفية فجاء وهو يومئذ ابن تسع عشرة سنة فوقف بين يديه ودعى بالراية فنصبت لحمد الله وأثنى عليه وقال : اما هذه الراية لم ترد قط ولا ترد أبداً وأنا واضعها اليوم في أهلها ودفعها إلى ولده محمداً وقال تقدم يا بني فلما رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه فتضعضوا فها هو إلا أن الناس التفتوا ونظروا إلى غرة أمير المؤمنين ووجدوا مس السلاح حتى انهمزوا .

وروى الواقدي قال حدثني عبد الله بن عمر عن علي بن أبي طالب قال لما سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل وقد ارتفعت فقال لابنه محمد ما يقولون؟ قال يقولون يا لثارات عثمان قال فشد عليهم وأصحابه يشنون في وجهه يقولون ارتفعت الشمس وهو يقول الصبر أبلغ حجة .

خطبة علي عليه السلام يوم الجمل :

ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عربية فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي ف صلى عليه وقال :

اما بعد فان الموت طالب حيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه فاقدموا ولا تتكلموا وهذه الاصوات التي تسمعونها من عدوكم فشل واختلاف انا كنا نؤمر في الحرب بالصمت فعضوا على الناجذ واصبروا لوقع السيوف فوالذي نفسي بيده لآلف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة علي فراشي فقاتلهم صابرين محتسبين فان الكتاب معكم والسنة معكم ومن

كنا معه فهو القوي اصدقوهم بالضرب فأى امره احسن من نفسه
شجاعة وإقداماً وصبراً عند اللقاء فلا يطرئه ولا يرى ان له فضلاً على
من هو دونه وان رأى من أخيه فشلاً وضعفاً فليذب عنه كما ينب عن
نفسه فان الله لو شاء لجعله مثله .

ثم دعا بدرعه فلبسه حتى إذا وقع موقعه من بطنه فأمر ابنه محمد
يحميها بعيامته ثم انتضى سيفه فهزه حتى رضى به وغمده وتقلده والناس
على صفوفهم وأصحاب الجبل قد دنوا فأمر أمير المؤمنين عليه السلام
بتسوية الصفوف حتى إذا اعتدلت دفع الراية إلى محمد بن الحنفية وقال
تقدم بالراية واعلم ان الراية امام أصحابك فكن متقدماً يلحقك من
خلفك فان كان لمن يتقدم من اصحابك جولة رجع اليك .

وجعل عليه السلام الناس أثلاثاً مضر في القلب واليمن في الميمنة
وعليهم مالك الاشر وفي الميسرة عمار بن ياسر .

وصف أصحاب الجبل صفوفهم لجعلوا على خنظلة هلال بن وكيع
وعلى بنى عمرو وبنى تميم عمير بن عبد الله بن مرقد وعلى بنى سعد زيد
ابن جبلة بن مردان وعلى بنى ضبة والرباب عمرو بن يثرب وراية الازد
مع عمرو بن الاشرف العتكي .

قال محمد بن علي د ع ، فالتقينا وقد عجل أصحاب الجبل وزحفوا
علينا فصاح أبي امضض فضيت بين يديه أخطوا بالراية خطواً سرعان
ان يلحقوا أصحابنا فلاذ أصحاب الجبل ونشب القتال واختلقت
السيوف وأبي خلفي يقول تقدم فقلت ما أجد متقدماً إلا على الاسنة
فغضب د ع ، وقال أقول لك تقدم تقول على الاسنة ثق بالله يا بنى .
وتقدم بين يدي على الاسنة .

وتناول الراية منى وتقدم يهرول بها فأخذتني حدة فلحقته وقلت
اعطني الراية فقال لي خذها وقد عرفت ما وصف لي .

ثم تقدم بين يدي وجرد سيفه وجعل يضرب به ورأيته قد ضرب رجلاً فأبان زنده وقال الزم رايتك يا بني فان هذا ستكفاه فرمقت لضرب أبي ولحظته وإذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دماً وإذا هو يسرع اصداره فيسبق الدم وأحسنا بالجل وصار القتل حوله واضطربنا أشد اضطراب رآه راء حتى ظننت انه القتل وصاح أبي يا ابن أبي بكر اقطع البطان فقطعه وتلقوا الهودج فكأن والله الحرب جرة عليها صب الماء .

وروى الواقدي قال ابن جريح كان محمد بن الحنفية يحمل راية أمير المؤمنين أبيه يوم الجمل ورأى منه بعض النكوص فأخذ الراية منه قال محمد فأدر كته وعالجته على ان يردها فأبى علي طويلاً ثم ردها وقال خذها احسن حملها وتوسط اصحابك ولا تخفض عاليها واجعلها مستشرفة يراها اصحابك ففعلت ما قال لي فقال عمار يا أبا القاسم ما احسن ما حملت الراية اليوم فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بعد ماذا ؟ فقال عمار ما العلم إلا بالتعلم .

وروى ابراهيم بن نافع عن سعيد بن أبي هند قال اخبرنا اصحابنا عن حضر القتال يوم البصرة ان علياً قاتل يومئذ اشد القتال وسمعوه وهو يقول تبارك الله الذي اذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع ونظر يومئذ إلى سفيان بن حويطب بن عبد العزى وهو يسترجع من الخوف وما التحم من الشر فقال له أمير المؤمنين ع ، انخر إلى أصحابي ولا تقتل فانحاز اليهم إلى أن حمل أصحاب الجمل على أمير المؤمنين ع ، حلة فاذا هو قد صار في حيزهم لحمل عليه رجل من همدان وعلي يصيح كف عنه والحمداني لا يفهم حتى قطعه إرباً إرباً فقال عليه السلام يا ويحه ان لفته السيوف وقد كان مقتله بغيضاً .

وروى أبو الزيات عن هشام بن عروة عن أبيه عبد الله بن الزبير

قال لم يأخذ بزمام جل عائشة يوم الجمل إلا قتل وكان كلما جاء انسان يأخذ مخطام جملها قالت من أنت ؟ حتى اتيتها وكنت آخر من اخذه حين لم أجد أحداً يأخذه فقالت من أنت ؟ فقلت ابن اختك فقالت وائل اسماء فأقبل الأشر إلى قصارعنا فجعلت اقول اقتلوني ومالكاً معي وجعل يقول اقتلوني وعبد الله ولو قال ابن الزبير لقتلت ولو قلت الأشر لقتلنا جميعاً فائقلني الجراح حتى سقطت وانا مجروح مطروح في القتلى

فأتاني الأسود بن أبي البخري فوجدني صريعاً فأخذني بالعرض على فرسه وسار بي لجعل إذا أبصر انساناً من أصحاب علي القاني وإذا لم ير أحداً حملني حتى مر به رجل يعرفني فحمل عليه فأخطاه وأصاب رجل فرسه ثم حملني فانطلق بي حتى انزلني على رجل من بني ضبة له امرأتان تميمية وبكرية من شيعة عثمان ففسلت جراحتي وحشتها كافوراً فوالله ما فاح منها شيء .

وجعلت عائشة تسأل عني فلا تخبر عني بشيء حتى إذا برأت جراحتي قلت لصاحب منزلي انطلق إلى عائشة وأخبرها بي وإياك ان يراك محمد ابن أبي بكر وقلت له انه قصير ووصفته له فانطلق فأخبرها وقال لها انه قد امرني ان لا يراني محمد بن أبي بكر قالت كلا فانطلق إلى محمد بن أبي بكر وادعه إلى وذلك بعد هزيمتنا ووضع الحرب اوزارها فانطلقت إليه فدعوته وجاءها فقالت له يا أخى ما تراك فاعلاني أمر أمرك به ؟ قال ما هو ؟ قالت انطلق إلى عبد الله بن الزبير فجيء به لجاء محمد إلى موضعي فدخل على عبد الله فلما رآه خافه وقال مالك فعل الله بك وفعل قال له محمد لا تعجل ثم أخبره الخبر .

قال ابن الزبير فخرجت معه فتأخر لي عن الفرس فركبت بين يديه وجعل يكف ثيابه لا بصيني وانا اواخر ثيابي عنه لا تصيبه ولم يزل

يسير بي حتى اتينا عائشة فسمعت سب عثمان علانية فبكيت وقلت لا اقيم
 ببلد يسب فيه عثمان علانية فامتنعت منهم واخذت راحلة منهم فاذا رجل
 يحيد مني وانا احيد منه فاذا هو عبد الرحمن بن الحرث وأبصرت رجلا
 مغلولاً لفرسه فقلت هذا والله فرس الزبير فأردت قتله فقال عبد الرحمن
 لا تعجل عليه فانه لن يفلتنا فاذا هو غلام الزبير قد اقبل فقلت له أين
 الزبير؟ فقال لا أدري فعلت ان الزبير قد قتل .

وروى محمد بن عبد الله بن عبيد الله عن عمر بن دينار عن صفوان
 قال لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صايح من اصحاب امير المؤمنين
 علي بن ابي طالب يا معاشر شباب قريش اراكم قد لحتم وغلبتم على
 امركم هذا وأنا انشدكم الله ان تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا انفسكم اتقوا
 الاشر النخعي وجندب بن زهير العامري فان الاشر يشمر درعه حتى
 تتبعوا اثره وان جندبا يخرم درعه حتى يشمر عنه وفي رايته علامة
 حمراء فلما اتى الناس اقبل الاشر وجندب قبال الجمل يرفلان في السلاح
 حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ومعبد بن زهير بن خلف بن
 امية وعمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال أتركك لعائشة .

وروى محمد بن عبد الله بن عبيد بن وهب قال قطعت يوم الجمل
 يد عبد الرحمن وفيها الخاتم فأخذه بشر فطرحه باليامة فأخذه اهل
 اليامة واقتلوا حجره وكان يا قوتاً فابتاعه رجل منهم بخمسمائة دينار
 فقدم به مكة فباعه بربح عظيم .

وروى محمد بن موسى عن محمد بن ابراهيم عن ابيه قال سمعت معاذ
 ابن عبد الله التيمي وكان قد حضر الجمل يقول لما التقينا واصطففنا
 نادى منادى علي بن ابي طالب يا معاشر قريش اتقوا الله على انفسكم
 فاني اعلم انكم قد خرجتم وظننتم ان الامر لا يبلغ الى هذا قاله الله في
 انفسكم فان السيف ليس له بقيا فان احببتم فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء .

القوم وان احببتم فالى انكم آمنون بأمان الله قال فاستحيينا اشد الحياء
وابصرنا ما نحن فيه ولكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة حتى قتل
من قتل منا فوالله لقد رأيت اصحاب على وقد وصلوا الى الجبل
وصاح منهم صايح اعقروه فعقروه ونادى على دح ، من طرح السلاح
فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن فوالله ما رأيت اكرم عفواً منه .

وروى سليمان بن عبد الله بن عويمر الاسدي قال قال ابن الزبير
انى لواقف في عيين رجل من قريش اذ صاح صايح يا معاشر قريش
احذركم الرجلين جنذب العامري والاشتر النخعي قال وسمعت عماراً
يقول لاصحابنا ما تريدون وما تطلبون ؟ فناديناه نطلب بدم عثمان فان
خليتم بيننا وبين قتلته رجعنا عنكم فقال عمار لو سألتونا ان ترجعوا عنا
بئس الفخار فانه الام الغم لحلا وشرها لحماً ما اعطينا كوه ثم التحم
القتال وناديناهم مكنونا من قتلة عثمان ونرجع عنكم فنادانا عمار قد فعلنا
هذه عائشة وطلحة والزبير قتلوه عطشاً فأبدوا بهم فاذا فرغتم منهم
تعالوا الينا نبذل لكم الحق فأمسك والله اصحاب الجبل كلهم .

وروى عبد الله بن رباح مولى الانصاري عن عبد الله بن زياد
مولى عثمان قال خرج عمار بن ياسر يوم الجبل الينا فقال يا هؤلاء على اى
شيء تقاتلوننا ؟ فقلنا على ان صلياً قتل مؤمناً فقال عمار نحن نقاتلكم على
انه قتل كافراً قال وسمعت عماراً يقول والله لو لم نؤمنوا حتى نبلغ
سعفات حجر لعلنا انا على الحق وانكم على الباطل وسمعت والله يقول
ما نزل في تأويل هذه الآية إلا اليوم : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يهيمهم ويصحوه) .

قال ولما جال الناس تلك الجعالة قتل بينهم خلق كثير وسمع اصوات
السيوف في الرؤوس كأنها عماريق قال الراوى والله مررت بعد الواقعة
بالبصرة فدنوت من دير النصراني فسمعت الفتيات على الحجارة تشبهتها

بالاصوات التي كانت من السيوف على الرؤوس يومئذ وفي تلك الجولة قتل طريف بن عدى بن حاتم وقتل عين عدى .

وروى محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار قال قال امير المؤمنين لابنه محمد خذ الراية وامض وعلى دع ، خلفه فناداه يا ابا القاسم فقال ليك يا ابة فقال يا بني لا يستغزئك ما ترى قد حملت الراية وانا اصغرمك فا استغزنى عدوى وذلك انى لم ابارز احداً إلا حدثتني نفسى بقتله لحدث نفسك بعين الله تعالى بظهورك عليهم ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين فان ذلك أشد الخذلان قال قلت يا ابة أرجو أن أكون كما تحب ان شاء الله قال فالزم رايتك فان اختلفت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك فان لم تبين من أصحابك فاعلم انهم سيرونك قال والله انى لنى وسط أصحابى فصاروا كلهم خلنى وما بينى وبين القوم احد يردم عنى وأنا أريد أن أتقدم فى وجوه القوم فاشعرت إلا بأبى خلنى قد جرد سيفه وهو يقول لا تقدم حتى اكون امامك فتقدم بين يدي يهرول ومعه طائفة من اصحابه فضرب الذين فى وجهه حتى نهضوهم ولحققتهم بالراية فوقفوا وقفة واختلط الناس وكدت السيوف ساعة فنظرت إلى ابى يفرج الناس يمينا وشمالا ويسوقهم امامه فأردت ان اجول فكرهت خلافه ووصيته لى لا تفارق الراية حتى انتهى إلى الجبل وحوله اربعة آلاف مقاتل من بنى ضبة والازد وتميم وغيرهم وصاح اقطعوا البطان فأسرع محمد بن أبى بكر فقطعه واطلع الهودج فقالت عائشة من انت ؟ قال ابغض اهلك اليك قالت ابن الخثعمية ؟ قال نعم ولم تكن دون امهاتك قالت لعمري بل هى شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذى سلبك قال قد كان ذلك ما تكرهين قالت يا أخى لو كرهته ما قلت ما قلت قال كنت تحبين الظفر وانى قتلت قالت قد كنت احب ذلك لكنه ما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرايتى منك فاكفف ولا تعقب

الامور وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة فان أباك لم يكن لومة ولا عدلة قال وجاء علي د ع ، ففرع الهودج برمه وقال يا شقيراء بهذا وصاك رسول الله (ص) ؟ قالت يا ابن ابى طالب قد ملكك فاسجح . وجاءها عمار فقال لها يا اماء كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف ؟ فصمتت ولم تجبه .

وجاءها مالك الاشتر رحمه الله وقال لها الحمد لله الذى نصر وليه وكبت عدوه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كيف رأيت صنع الله بك يا عائشة ؟ فقالت من أنت ثكلتك امك ؟ فقال أنا ابنك الاشتر قالت كذبت لست بامك قال بلى وان كرهت فقالت انت الذى اردت ان تشكل اخي اسماء بابنها ، فقال المَعذرة إلى الله واليك والله لولا اننى كنت طاوياً ثلاثاً لأرحتك منه وأنشأ يقول بعد الصلاة على الرسول .

أعائش لولا اننى كنت طاوياً ثلاثاً لالفت ابن اختك هالكا
غدات ينادى والراح تنوشه بأضعف صوت (اقتلونى وما لك)
فركبت وقالت غفرتم وغلبتم وكان امر الله قدراً مقدورا .

ونادى امير المؤمنين عليه السلام محمد بن ابى بكر فقال سلها هل وصل اليها شيء من الرماح والسهم فسلها قالت نعم وصل إلى سهم خدش رأسى وسلت من غيره الله بينى وبينكم فقال محمد والله ليحكمك عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين امير المؤمنين د ع ، حتى تخرجين عليه وتولين الناس على قتاله وتنبذى كتاب الله وراء ظهرك فقالت دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسنى وكان الهودج كالقنفذ من النبل فرجعت إلى امير المؤمنين عليه السلام وأخبرته بما جرى بينى وبينها وما قلت وما قالت .

فقال عليه السلام هى امرأة والنساء ضعاف العقول فتول امرها

واحملها إلى دار عبد الله بن خلف حتى تنظر في امرها فحملتها إلى الموضع
وان لسانها لا يفتر من السب لي ولعلي والترحم على اصحاب الجبل .

وروى الواقدي قال حدثنا هشام بن سعد عن عباس بن عبد الله
ابن معبد عن معاذ بن عبد الله التميمي قال لما قدمنا البصرة مع عائشة
وأقننا ما اقننا ندعوا الناس إلى نصرتنا والقيام معنا فالقابل لما ندعوا
اليه والآبى له ونحن على ما نحن عليه نقول إلا نقاتل علي بن أبي
طالب ابدأ إلى ان قيل قد نزل علي دع ، فادري حتى نشبت الحرب
نشبها الصبيان واوقدها العبيد واذا الجبل رحل والناس يهوون إلى
القتال وإذا عسكر علي قد تحرك فبادر اصحابنا فرموا وجلبوا
وصيحوا واكثروا فسمعت عائشة تقول هذا اول الفشل وعلي دع ،
وعسكره لا يثنون ثم صف علي اصحابه وولي الرايات موضعها واعطى
ابنه محمدا الراية العظمى راية بيضاء تملأ الرمح ثم وقف علي دع ، في
القلب وحمل سرعان الميمنة والميسرة وخمل سرعان القلب فاسمع عليا
ينادي محمدا تقدم بالراية وتوسط القلب فينكر من تقدمك وان جالوا
او دفعوا يلحقك من خلفك ثم سمعته يقول اصحابك امامك تقدم تقدم
وتقدم علي والراية بين كتفيه وجرد سيفه وضرب رجلا فابان زنده
ثم انتهى إلى الجبل وقد اجتمع الناس حوله واختلطوا واحدقوا به من
كل جانب واستجن الناس تحت بطان الجبل فافظروا لله الى علي يصيح
بمحمد بن ابي بكر اقطع البطان وارى عليا قد قتل من اخذ بمخاطم
الجبل عشرة بيده وكلما قتل رجلا مسح سيفه في ثيابه ثم جلوزت حتى
صرنا في ايديهم كلانا اغنام نساق فانصرفنا حيثنؤ وتلاومنا وندمنا .

وروى الواقدي قال حدثني محمد بن عبد الله بن حبيب بن عكرمة
ابن خالد قال قال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كنت انا والاسود
ابن ابي البختري وعبد الله بن الزبير قد تواعدنا وتعاهدنا بالبصرة لأن

لقينا القوم لنوتن او لنقتلن عليا واصحاب علي لم يكونوا عدلوا صفوفهم ثم نظرنا اليهم وقد عدلوا صفوفهم ميمنة وميسرة قال عبد الرحمن كنت واقفاً عند عبد الله بن الزبير والاسود بن البختري فقلت ما وراءكما؟ قالانحن على ما كنا عليه الى ان مالت ميسرته على ميمتنا فهزمهم ومالت ميمنته على ميسرتنا ففعلوا مثل ذلك ورأيت عليا وراء ابنه محمد وقد تقدم يحمل عليا اسوداً عظيماً وعلي شاهر سيفه فلقي رجلاً من ضبه فقتله ثم ضرب آخر فقتله ثم خلص إلينا ووقف عند رجلين فلاذ كل بصاحبه وجعل الاسود يقول هل من مهرب وتقدم ابن الزبير فأخذ الجبل فكان آخر من اخذه فأنظر الى علي وقد انتهى الى الجبل والسيف يرعف دما وهو واضعه على عاتقه وهو بصيح لمحمد بن ابى بكر اقطع البطان فكانت الهزيمة فلم نر مثل لزوم السواد الاكبر فلما انهزمنا خرجنا خائفين من مسالح علي وع، فآزلنا نخاف الطلب حتى سرنا مراحل .

وروى عن ابن الزبير قال خرجت عائشة يوم البصرة وهي على جملها (عسكر) قد اتخذت عليه خدراً ودقته بالدروع خشية ان يخلص اليها النبل وسار اليهم علي بن ابى طالب حتى التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً واخذ بخطام الجبل يومئذ سبعون رجلاً من قريش كلهم قتل وخرج مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير ورأيتهما جريحين فلما قتلت تلك العصابة من قريش اخذ رجال كثير من بني ضبة بخطام الجبل فقتلوا عن آخرهم ولم يأخذ بخطامه احد إلا قتل حتى غرق الجبل بدماء القتلى وتقدم محمد بن ابى بكر فقطع بطان الجبل واحتمل الخدر ومعه اصحاب له وفيه عائشة حتى انزلوها بعض دور البصرة وولى الزبير منهزماً فأدركه ابن جرموز فقتله .

ولما رأى مروان توجه الامر على اصحاب الجبل نظر إلى طلحة

وهو يريد الحرب فقال والله لا يفوتني ثاري من عثمان فرماه بسهم فقطع
أكحله فسقط بدمه وحمل من موضعه وهو يقول : إنما لله هذا والله
سهم لم يأتني من بعد ما أراه إلا من معسكرنا لله ما رأيت مصرع شيخ
اضيع من مصرعي ثم لم يلبث أن هلك (١) .

وروى الواقدي أيضاً عن موسى بن عبد الله عن الحسين بن
عطية عن ابيه قال شهدت الجبل مع علي . دع ، فلقد رأيت جمل عائشة
وعليه هودجها وعليه دروع الحديد ثم لقد رأيت فيه من النبل والنشاب
أمرأ عظيماً ثم عقر فاسمعت كصوته شيء . قط ونادى أصحاب علي
عليكم الجبل فاعقروه فشدت عليه رجال فعقروه فوق لحينه .

وروى يزيد عن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال نظرت
المودج يوم الجبل كأنه قنفذ من النشاب والنبل .

وروى ابن أبي ميرة عن علقمة بن أبي علقمة عن ابيه قال جعلنا
المودج من خشب فيه مفاتيح الحديد وفوق دروع من حديد وفوقها
طيلالسة من خز أخضر وفوق ذلك ادم أحمر وجعلنا لعائشة منه منظر
العين فما أغنى ذلك عنها من القوم .

وروى الواقدي عن رجاله العثمانية عن عائشة ذكر الحال وهزيمة
التموم في الحرب وشرح الصورة ورأيها فكان ما كان من ذلك فقال
حدثنا محمد بن حميد عن حميدة بنت ابن رفاعة عن امها كبشة بنت كعب
قالت كان أبي لقي علي عثمان حرباً عظيماً وبكاه ولم يمنعه من الخروج
إلا أن بصره ذهب ولم يبايع علياً ولم يقر به بفضاً له ومقتاً .

وخرج علي . دع ، من المدينة فلما قدمت عائشة منصرفة من البصرة
جاءها أبي فنزل على الباب ثم دخل وبينها وبينه حجاب فذكرت له بعض

(١) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٦) وفي الطبري (ج ٥ ص ٢١٥)
مات في خربة من دور البصرة لبني سعد ودفن فيها .

امر ولم تشرحه له فلما امسينا بعثنا إلى عائشة نستأذن عليها فأذنت لنا قالت كبشة فدخلت في نسوة من الانصار فحدثتنا بخروجها وانها لم تظن الامر يبلغ إلى ما بلغ ثم قالت لقد عمل لي على هودج حجلي ثم البس الحديد ودخلت فيه وقت في وسط الناس أدعو إلى الصلح وإلى الكتاب والسنة فليس أحد يسمع من كلامي حرفاً ويجعل من لقينا القتال فرموا النبل وصرعهم القوم حتى قتل من اصحاب علي رجل ورجلان ثم تقارب الناس ولحم الشر و صار القوم ليس لهم همة إلا جلي ولقد دخلت على سهام فجرحته فأخرجت ذراعها وارثنا جرحاً على عضدها فبكت وأبكتنا .

قالت وجعل كلما اخذ بخطام جلي رجل قتل حتى أخذه ابن اختي عبد الله فصحت به وناشدته بالرحم انه يتجافاني فقال يا ام هو الموت يقتل الرجل وهو عظيم الغنى عن أصحابه على نيته خير ان يدرك وقد فارقه نيته فصحت وانكل اسماء فقال يا ام الزمي الصمت وقد لحم ما ترين فأمسكت وكان من معناتين احداث من قريش لا علم لهم بالقتال ولم يشهدوا الحرب فكانوا جزراً للقوم فاني لعلي ما نحن فيه وقد كان الناس كلهم حول جلي فسكتوا ساعة فقلت خيراً أم شراً إذا سكونكم حرس القتال وإذا ابن أبي طالب أنظر اليه يباشر القتال بنفسه واسمعه يصيح الجبل الجبل فقلت أرادوا والله قتلي فإذا هو علي بن أبي طالب ومعه محمد بن أبي بكر أخي ومعاذ بن عبد الله التيمي وعمار ابن ياسر وقطعوا البطان واحتملوا الهودج فهوى على أيدي الرجال يرفلون به وهرب من كان معنا فلم أحس لهم خبراً .

ونادى منادى علي بن أبي طالب لا يتبع مدبراً ولا يجهز على جريح ومن طرح السلاح فهو آمن فرجعت إلى الناس أرواحهم فمشوا على الناس واستحيوا من السعي فادخلت منزل عبد الله

الحزاعي (١) وانه منزل رجل قد قتل وأهله مستعبرون عليه ودخل معي كل من خاف علياً ممن نصب له واحتمل ابن اختي عبد الله جريحاً فوالله اني لعلى ما أنا عليه وأنا أسأل ما فعل ابو محمد طلحة إذ قال قاتل قتل قتل ما فعل أبو سليمان فقيل قد قتل فلقد رأيتني تلك الساعة جددت عيناى فانقطعت من الحزن وأكثر من الاسترجاع والندامة وذكر من قتل فبكيت لقتلهم فنحن على ما نحن عليه وأنا أسأل عن عبد الله فقيل قتل فازددت غماً وهماً حتى كاد ينصدع قلبي فوالله لقد بقيت ثلاثة أيام بلياليهن ما دخل في فمي طعام ولا شراب واني عند قوم ما يقصروا في ضيافتي وان الحز في منازلهم لكثير لكني أذهب اعالج الشيع من الطعام فما اقدر فتعوذ بالله من الفتنة ولقد كنت ألبت على عثمان حتى نيل منه ما نيل فلما قتل ندمت وعليت ان المسلمين لا يستخلفون مثله أبداً كان والله أجملهم حلياً وأجملهم عبادة وأبذلهم عند النائية وأوصلهم للرحم قالت كبشة بنت كعب فرجعت إلى أبي فقال ما حدثكم به عائشة فأخبرته بما قالت فقال يرحم الله عائشة ويرحم الله أمير المؤمنين عثمان هي كانت أشد الناس عليه ولقد نزعت وتابت وأرادت ان تأخذ بشاره فجاء خلاف ما أرادت فرحمهم الله جميعاً .

ثم قال رحم الله عمر بن الخطاب كان والله يرى هذا كله قال يوماً ان كان يصير اختلاف فأنما يكون بينكم وان كان بينكم دخل عليكم ما تكرهون .

وروى الواقدي قال حدثنا محمد بن نبحار عن عائشة بنت سعد قالت اشتكى أبي فدخل عليه مروان بن الحكم يعوده فذكر عائشة فقال مروان يا أبا اسحق لقد حضرت اموراً فاعتزلت عنها يوم الدار وحضرتها

(١) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٢١٩) زوجته صفية بنت الحارث ابن طلحة بن أبي طلحة وهي ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف .

فقاتلت أُمّايَ حتى وقعت جريحاً ثم حضرت الجبل واني لأنظر إلى خروج عاتشة وهودجها وعليه درع الحديد وقد انهزم الناس وما اخذ مخطام الجبل أحد إلا مات فقال له أبي وهو يبكي وعمار وسطها فقال مروان اى والله فبكى أبي قال ثم خرجت يومئذ فحملت جريحاً فلم أر يوماً كان أسرع انكشافاً من يوم الجبل فقال له أبي ما أحب ان حضرت الدار آمراً ولا ناهياً ولا أحب ان حضرت الجبل آمراً ولا ناهياً ثم خرج مروان وجعل ابى يبكي ويقول ليت شعرى ما لى عمار وأصحابه وأمثاله من أصحابنا الله حملهم وغرسهم فى جنته .

وروى ابن ابى سبرة علقمة عن امه قال سمعت عاتشة تقول : لقد رأيتنى يوم الجبل وان على هودجى الدروع الحديدية والنبل يخلص إلى منها وأنا فى الهودج فهون ذلك على ما صنعنا بعثمان ألبننا عليه حتى قتلناه وجرينا عليه الغواة فنعوذ بالله من الفرقة بين المسلمين .

وروى منصور بن أبى الأسود عن مسلم الأعور عن حبة العرنى قال والله انى لأنظرن إلى الرجل الذى ضرب الجبل ضربة على عجزه فسقط لجنبه فكاننى أسمع عجيح الجبل ما سمعت قط عجيجاً أشد منه قال لما عقر الجبل وانقطع بطان الهودج فزال عن ظهر الجبل وانقض اهل البصرة منهنزمين وجعل عمار بن ياسر ومحمد بن أبى بكر يقطعان الحقب والانساع واحتملاه - أى الهودج - ووضعاه على الأرض فأقبل على بن أبى طالب حتى وقف عليها وهى فى هودجها فقرع الهودج بالرمح وقال يا حميراء أرسول الله امرك بهذا المسير ونادى عمار بن ياسر يومئذ لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً مولياً ورأيت يومئذ سعيد وابان ابنا عثمان فجىء بهما إلى على بن أبى طالب عليه السلام فلما وقفا بين يديه قال بعض من حضر اقتلها يا أمير المؤمنين فقال بنس ما قلتم آمنت الناس كلهم واقتل هذين ثم أقبل عليهما وقال لهما ارجعا عن غيكما وانزعا

وانطلقا حيث شئتما وان أحببتما فأقيما عندى حتى أصل أرحامكما فقالا
يا أمير المؤمنين نحن نباع فبايعا وانصرفا .

قتل طلحة بن عبد الله :

وروى اسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد
عن أبيه عليه السلام قال حدثني أبي علي زين العابدين عليه السلام قال
قال لي مروان بن الحكم لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت
والله لأدركن ناري ولأفوزن منه الآن فرميت طلحة فأصبت نساء
فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت
شجرة فبقى تحتها ينزف منه الدم حتى مات .

وروى ابن سليمان عن ابن خيشمة قال قال عبد الملك بن مروان
يوماً وقد ذكر عثمان وقتل طلحة ولولا أن أبي قتله لم يزل في قلبي جرحه
إلى اليوم وقال عبد الملك سمعت أبي يقول نظرت إلى طلحة يوم الجمل
وعليه درع ومغفر لم أر منه إلا أعينيه فقلت كيف لي به فنظرت إلى
قتق في درعه فرميته فأصبت نساء فقطعته فأنظر إلى مولى له يحمله
على ظهره مولياً فلم يلبث أن مات .

وروى عبد الحميد بن عمران عن ابن كعب القرظي عن رواح بن
الحرث عن عمير قالت لقيت طلحة بن عبد الله فقلت يا أبا محمد ما أخرجك
إلى ههنا ؟ أفلم تباع علياً بالمدينة طايماً غير مكره ؟ قال دعني والله
ما بایعته إلا بالسيف على عنقي فلما التقي الناس يوم الجمل جاءه سهم غرب (١)

(١) ذكر ابن جرير في التاريخ (ج ٥ - ٢١٥) انه اصابه سهم
غرب وفي كتاب (مبادئ اللغة) تأليف محمد بن عبد الله الخطيب
الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ ص ١٠٨ يقال اصابه سهم غرب إذا لم
يعرف الراعى .

قطع نساء فنزف الدم حتى مات .

وروى ابو سهل عن الحسن قال لما رمى طلحة ركب بغلا وقال لغلامه التمس لي مكاناً أدخل فيه فقال الغلام ما أدري اين ادخلك فقال طلحة ما رأيت كاليوم اضيع من دم شيخ مثلي . وقال الحسن وكان امر الله قدراً مقدوراً .

وفي رواية علي بن زيد بن جذعان قال لما بلغ طلحة ان الزبير قد اندفع ذهب في طلبه وقد التقى وهم لا يعلمون برجوع الزبير فر مروان ابن الحكم فرآه فقال لا اطلب ثارى بدم عثمان بعد اليوم والله وقاتل عثمان بين اعجاز الابل وصدورها ثم رماه بسهم فقتله .

وفي رواية سفیان بن عنبسة عن ابى موسى عن الحسن بن ابى الحسن قال خرج طلحة بن عبد الله من رساتيق أقطعه إياها عثمان إذ كان يقبضها ينيخ بها الف راكب ثم يروحون فلم يعرف له ذلك حتى سعى في دمه فلما كان يوم البصرة خرج للقتال وقد لبس درعا استجن به من السهام إذا ناه سهم فأصابه وكان امر الله قدراً مقدوراً ورأيته يقول حين اصابه السهم ما رأيت كاليوم مصرع شيخ اضيع من مصرعى قال الحسن وقد كان قبل ذلك جاهد جهاداً مع رسول الله وواته بيده فضيع امر نفسه ولقد رأيت قبره مأوى الشقاء فيضع عنده قريبه ثم يقضى عنده حاجته فما رأيت اعجب من هؤلاء القوم .

واما الزبير فانه اتى حياً من احياء العرب فقال اجيرونى وقد كان قبل ذلك يجير ولا يجار عليه ثم قال الحسن وما الذى اخافك والله ما اخافك إلا ابنك قال فاتبعه ابن جرموز في تلؤل من انا ليل العرب والله ما رأيت مثله قط ضاع دمه وهذا قبره (بوادى السباع) (١) مخراة

(١) ذكر ابن كثير في البداية (ج ١١ - ص ٣١٩) ان اهل البصرة في المحرم كشفوا عن قبر فرأوا رجلا طري عليه ثيابه وسيفه -

للتعالب فخرجا ولم يدركا ما طلبا ولم يرجعا إلى ما تركا فعز على هذه الشقوة التي كتبت عليها .

وروى قيس بن ابى حازم قال روى طلحة بسهم في ركبته فجعل يعدو والدم يغور فاذا أمسكوا رأس الجرح انتفخت ركبته فصاح دعوه فانه سهم ارسله الله فلم يزل الدم ينزف حتى مات فدفنوه على شاطئ الفرات فرأى بعض الناس في النوم طلحة يقول اريحوني من هذا الماء فاني في اذى شديد ورأى الرجل تلك الرؤيا ثلاث مرات فنبشوه فاذا قبره قد اخضر كأنه السلق فاستخرجوه فأخذ ما يلي الارض من لحيته ووجهه قد أكلته الارض فاشتروا له داراً من دور آل بكر بعشرة آلاف درهم فدفنوه فيها .

فهذه الاخبار جملة مختصرة صحيحة في مقتل طلحة بن عبد الله طريقها من العامة من اوضح طريق وسندها اصح اسانيد وليس بين الامة فيها اختلاف وكل يدل على ان طلحة قتل وهو مصر على الحرب غير نادم ولا مرعوى عن ذلك وفاقاً لمذهب الحشوية وخلافاً لمذهب — فظنوه الزبير بن العوام فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجداً ووقف عليه أوقاف كثيرة وجعل عنده خدام وقوام ونرش وتوير ، انتهى .

أقول واذا اوقفنا تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٢١٩) ان ابن جرموز طعن الزبير من خلفه واخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وجاء بالسيف إلى علي د ع ، وخلي عن غلامه فدفنه بوادى السباع اه .
نعرف من هذا الرجل الطرى الذى عليه ثيابه وسيفه لم يكن هو الزبير قطعاً وانى لا أراه إلا شهيداً على الحق والشهيد يدفن بثيابه لا يغسل ولا يكفن ويتضح من ذلك ان القبر المنسوب للزبير منشأه ذلك الظن وهو لا يغنى عن الحق شيئاً .

المعزلة وشاهداً ببطان ما ادعوه من توبته .

قتل الزبير بن العوام :

روى المفضل بن فضالة عن سويد بن الهادي عن محمد بن ابراهيم قال هرب الزبير على فرس له يدعى (ذا الجمار) حتى وقع بسفوان فر بعبد الله بن سعيد المجاشعي وابن مطرح السعدي فقالا له يا حواري رسول الله انت في ذمتنا لا يصل اليك احد فأقبل معها فهو ليسير مع الرجلين إذا أتى الاحنف بن قيس رجل فقال اريد ان اسر اليك سرأ اذن مني فدنا منه فقال يا ابا الحسن هذا الزبير قد هرب واني رأيته بين رجلين من بني مجاشع ومنقر اظنه يريد التوجه إلى المدينة فرفع الاحنف صوته وقال ما اصنع ان كان الزبير قد اتى الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضاً ثم هو يريد ان يرجع إلى أهله إلى المدينة سالماً فسمعه ابن جرموز فنهض ومعه رجل يقال له فضالة ابن محابس وعلما ان الاحنف انما رفع صوته يذكر الزبير لكرهته ان يسلم وايثاره ان يقتل فاتبعاه جميعاً فلما رأهما من كان مع الزبير قالوا له هذا ابن جرموز وانا نخافه عليك فقال لهم الزبير انا أكفيكم ابن جرموز واتم اكفوني ابن محابس فحمل عمير على الزبير وعطف عليه وقال يا فضالة اعني فان الرجل قاتلي فأعانه وحمل ابن جرموز فقتله واحتز رأسه وأتى به الاحنف بن قيس ثم إلى أمير المؤمنين «ع» فلما رآه العسكر انكروه وقالوا له من أنت ؟ قال انا رسول الاحنف بن قيس فمن قاتل يقول مرحبا بك وبمن جئت من عنده ومن قاتل يقول لا مرحبا بك ولا بمن جئت من عنده حتى انتهى إلى فسطاط أمير المؤمنين «ع» فخرج اليه رجل ضخم طوال عليه درع يتجسس فاذا هو الاشر فقال من أنت ؟ قال انا رسول الاحنف فقال مكانك حتى استأذن لك فاستأذن له فدخل وامير المؤمنين

متكى. وبين يديه ترس عليه اقراص من طعام الشعير فسلم عليه
وهناه بالفتح عن الاحنف وقال انا رسوله وقد قتلت الزبير وهذا رأسه
وسيفه فألقاهما بين يديه فقال عليه السلام كيف قتلته وما كان من امره
فحدثنا كيف صنعك به ثم قال ناولني سيفه فناولوه فاستله وقال سيف اعرفه
أما والله لقد قاتل بين يدي رسول الله (ص) غير مرة ولكنه الحين
ومصارع السوء .

وفي رواية منصور بن أبي الاسود عن عطاء بن السائب عن أبي
البحرئى قال لما بعث الاحنف بن قيس الى امير المؤمنين (ع) برأس
الزبير وسيفه وجاءه الرسول يهنئه بالفتح تلا : (الذين يتربصون بكم
فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم (١)) .

وفي رواية اخرى عن زيد بن فراس عن غزال بن مالك قال لما
قتل الزبير وجىء برأسه الى امير المؤمنين عليه السلام قال أما والله
لو لا ما كان من امر حاطب بن أبي بلتعة ما اجترأ طلحة والزبير على قتالى
وان الزبير كان أقرب إلى من طلحة وما زال منا اهل البيت حتى بلغ
ابنه فقطع بيننا .

وفي رواية عبد الله بن جبير عن ابن أبي عون قال سمعت مروان
ابن الحكم يقول لما كان يوم الجمل قلت والله لأدركن نار عثمان فرميت
طلحة بسهم فقطعت نساه وكان كلبا شد الموضع غلب الدم عليه وألمه
فقال لغلامه دعه فهو سهم ارسله الله إلى ثم قال له ويحك اطلب لي
موضعاً احترز به فلم يجد له مكاناً فاحتمله عبد الله بن معمر فأدخله
بيت أعرابية ثم ذهب فصبّر هنيئة ورجع فوجده قد مات وهرب الزبير
فاراد المدينة حتى أتى وادى السباع فرفغ الاحنف صوته وقال ما اصنع
بالزبير قد لف بين عارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضاً وهو يريد

(١) سورة النساء : ١٤٠ .

الحاق بأهله فسمع ذلك ابن جرموز فخرج في طلبه وتبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه فلما رأهما الزبير حذرهما فقالا يا حواري رسول الله انت في ذمتنا لا يصل اليك أحد وسأيره ابن جرموز فينا هو يسير ويستأخر والزبير يفارقه ثم قال يا أبا عبد الله انزع درعك واجعلها على فرسك فانها تثقلك وتعيبك فزعها الزبير وجعل عمرو بن مجاشع ينكص ويستأخر والزبير يناديه فيلحقه وهو يجري بفروسه ثم انحاز اليه حتى اطمأن اليه ولم ينكر تأخره عنه لحمل عليه وطعنه بين كتفيه فأخرج السنان من بين ثدييه ونزل فاحتر رأسه وجاء به إلى الأحنف فألقاه إلى أمير المؤمنين (ع) فلما رأى رأس الزبير وسيفه قال ناولني السيف فناوله فهزه وقال سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله (ص) ولكن الحين ومصارع السوء ثم تفرس في وجه الزبير وقال لقد كان لك برسول الله (ص) صحبة ومنه قرابة ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد.

الوصي يكلم القتلى :

فصل : لما انجلت الحرب بالبصرة وقتل طلحة والزبير وحملت عائشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين (ع) وتبعه أصحابه وعمار بن ياسر رحمه الله يمشي مع ركابه حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم فربعبده الله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهرة فقال الناس هذا والله رأس الناس فقال عليه السلام ليس برأس الناس ولكنه شريف منيع النفس ثم مر بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال هذا يعسوب القوم ورأسهم كما ترونه ثم جعل يستعرض القتلى رجلاً رجلاً فلما رأى أشراف قریش صرعى في جملة القتلى قال جدعت انبي اما والله ان كان مصرعكم لبغيضاً إلي ولقد تقدمت اليكم وحذرتكم عض السيوف

وكنتم أحدانا لاعلم لكم بما ترون ولكن الحين ومصارع السوء نفوذ بالله من سوء المصراع ثم سار حتى وقف على كعب بن شور وهو مجدل بين القتلى وفي عنقه المصحف فقال نحو المصحف وضموه في مواضع الطهارة ثم قال اجلسوا لي كعباً فاجلس ورأيت ينخفض إلى الأرض فقال يا كعب بن شور قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ثم قال اضجعوا كعباً فتجاوزوه فبرأى طلحة صريعاً فقال اجلسوا طلحة فاجلس وقال يا طلحة بن عبد الله قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ثم قال اضجعوه فوقف رجل من القراء أمامه وقال يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه الهام قد صديت لا تسمع لك كلاماً ولا ترد جواباً فقال عليه السلام انها ليسمعان كلامي كما سمع اصحاب القلب كلام رسول الله (ص) ولو أذن لهم في الجواب لرأيت عجباً ومر بعبد الله بن المقداد بن عمر (١) وهو في الصرعى فقال رحم الله أباك انما كان رأيي فينا احسن من رأيك فقال عمار الحمد لله الذي اوقعه وجعل خده الاسفل انا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي عن عند من الحق من ولد ووالد فقال عليه السلام رحمك الله يا عمار وجزاك عن الحق خيراً ومر بعبد الله بن ربيعة بن رواح وهو في القتلى فقال هذا البائس ما كان اخرجته نصر عثمان والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في ابيه بحسن ومر بمعبد بن زهير بن امية فقال لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بندي يخبره ولقد اخبرني من ادركه انه يلوذ خوفاً من السيف حتى قتل البائس ضياعاً ومر بمسلم بن

(١) امه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب شقيق ابي طالب والد علي (ع)، وعبد الله والد النبي (ص) ومن غرائب الاسرار الالهية ان ابن المقداد يخرج على امير المؤمنين (ع)، ومحمد بن ابي بكر يكون مع امير المؤمنين (ع)، .

قرضة فقال البر اخرج هذا ولقد سألتني ان اكلم عثمان في شيء يدعيه عليه بمكة فلم أزل به حتى اعطاه وقال لي لو لانت ما اعطيته ان هذا ما علمت بنس العشيرة ثم جاء لحينه ينصر عثمان ثم مر بعبد الله بن عمر ابن زهير قال هذا ايضا ممن وضع في قتلانا يطلب بزرعه دم عثمان ولقد كتب إلى كتباً أذى عثمان فيها فأعطاه شيئاً فرضى عنه ومر بعبد الله ابن حكيم بن حزام فقال هذا خالف أباه في الخروج على وان أباه حيث لم ينصرنا بايع وجلس في بيته ما الوم أحداً اذا كف عنا وعن غيرنا ولكن المعلوم الذي يقاتلنا ومر بعبد الله بن المغيرة بن الاخنس فقال اما هذا فقتل ابوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج غضباً لمقتل أبيه وهو غلام لاعلم له بمواقب الامور ومر بعبد الله بن الاخنس بن شريق فقال اما هذا فاني أنظر اليه وقد أخذ القوم السيوف وانه لهارب يعدو من السيف فنهيت عنه فلم يسمع نهي حتى قتل وكان هذا من مقت علي وانه من قتيان قريش الاغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا واستنزلوا فلما وقعوا المحجوا فقتلوا .

الشهيد يحاج بدمه :

ثم امر عليه السلام مناديه فنادى : من أحب ان يوارى قتيله فليواره وقال عليه السلام واروا قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها فانهم يحشرون على الشهادة واني لشاهد لهم بالوفاء .

كتب علي إلى المدينة والكوفة :

ثم رجع إلى خيمته واستدعى عبد الله بن رافع وقال اكتب إلى اهل المدينة :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي بن ابي طالب . سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو فان الله بمنه وفضله وحسن بلائه

عندى وعندكم حكم عدل وقد قال سبحانه في كتابه وقوله الحق :
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم
سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

وانى يخبركم عنا وعن سرنا اليه من جوع اهل البصرة ومن سار
اليهم من قریش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكشهما على ما قد علمتم من
بيعتى وهما طايعان غير مكرهين فخرجت من عندكم بمن خرجت بمن
سارع الى بيعتى وإلى الحق حتى نزلت (ذا قار) فففر معى من نفر من
اهل الكوفة وقدم طلحة والزبير البصرة وصنعا بعاملى عثمان بن حنيف
ما صنعا فقدمت اليهم الرسل واعذرت كل الأعذار ثم نزلت ظهر البصرة
فأعذرت بالدعاء وقدمت الحجة وأقلت العثرة والزلة واستعبتبها ومن
معها بمن نكث بيعتى ونقض عهدى فأبوا إلا قتالى وقتال من معى
والتمادى فى النى فلم أجد يداً فى مناصفتهم بالجهاد فقتل الله من قتل
منهم ناكثاً وولى من ولى منهم واغمدت السيوف عنهم واخذت بالمغو
فيهم وأجريت الحق والسنة فى حكمهم واخترت لهم عاملاً واستعملته
عليهم وهو عبد الله بن عباس وإنى سائر إلى الكوفة انشاء الله تعالى .
وكتب عبد الله بن ابى رافع فى جمادى الاولى سنة ست وثلاثين
من الهجرة وكتب امير المؤمنين عليه السلام إلى ام هانى بنت ابى
طالب (١) :

سلام عليك احمد اليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فانا التقينا مع
البغاة والظالة فى البصرة فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوته
(١) يتم هذا إذا صح ما فى قريب التهذيب لابن حجر ص ٦٢٠
لكنهؤ من انها ماتت فى ايام معاوية واما على ما فى مناقب ابن
شهر اشوب (ج ١ - ص ١١٠) ايران من انها ماتت ايام النبى (ص)
فلا يتم .

واعطاهم سنة الظالمين فقتل كل من طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عتاب
وجمع لا يحصى وقتل منا بنو مخدوع وابنا صوحان وعلياً وهنداً وثمامة
فيمن يعد من المسلمين رحمهم الله والسلام .

وكتب إلى أهل الكوفة :

بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة .
سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله
حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وإذا أراد الله بقوم
سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) واني أخبركم عنا وعن
سرنا اليه من جموع أهل البصرة ومن سار اليه من قريش وغيرهم مع
طلحة والزبير بعد نكشهما صفقة ايمانها فنهضت من المدينة حين انتهى
إلى خبرهم وما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار
فبعثت اليكم ابني الحسن وعماراً وقيساً فاستنفروكم لحق الله وحق
رسوله وحقنا فأجابني اخوانكم سراعاً حتى قدموا علي بهم وبالمسارعة
إلى طاعة الله حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وأقت الحجة
وأقلت العثرة والزلة من أهل الردة من قريش وغيرهم واستعبتهم عن
نكشهم بيعي وعهد الله لي عليهم فأبوا إلا قتالي وقاتل من معي والتمادي
في البغي فناهضتهم بالجهاد وقتل من قتل منهم وولى إلى مصرهم من ولى
فسألوني ما دعوتهم اليه من كف القتال فقبلت منهم وغمدت السيوف
عنهم وأخذت بالعفو فيهم واجريت الحق والسنة بينهم واستعملت عبد
الله بن عباس على البصرة وانا سائر إلى الكوفة ان شاء الله تعالى وقد
بعثت اليكم زجر بن قيس الجعفي لتسألونه يخبركم عنا وعنهم وردهم
الحق علينا وردهم الله وهم كارهون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وكتب عبد الله بن أبي رافع في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين .

خطبة علي « ع » :

ولما كتب امير المؤمنين عليه السلام بالفتح قام في الناس خطيباً
لحمد الله واثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال :
اما بعد فان الله غفور رحيم عزيز ذو انتقام جعل عفوه ومغفرته
لاهل طاعته وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف امره وابتدع في
دينه ما ليس منه وبرحمته نال الصالحون وقد امكنني الله منكم يا اهل
البصرة واسلكم بأعمالكم فاياكم ان تعودوا إلى مثلها فانكم اول من
شرع القتال والشقاق وترك الحق والانصاف .

زهد علي « ع » :

ثم نزل عليه السلام واستدعى جماعة من اصحابه فشوا معه حتى
دخلوا بيت المال وارسل الى القراء فدعاهم ودعا الخزان وامرهم بفتح
الابواب التي داخلها المال فلما رأى كثرة ما فيها فقال هذا جناي ثم قسم
المال بين اصحابه فأصاب كل منهم ستة آلاف درهم وكان اصحابه
اثنى عشر الف واخذ كأحدهم فيينا هي بحالها إذ أتاه آت فقال يا امير
المؤمنين ان اسمي سقط من كتابك وقد رأيت من البلاء ما رأيت فدفع
سهمه إلى ذلك الرجل .

وروى الثوري عن داوود بن أبي هند عن أبي حرز الاسود قال
لقد رأيت بالبصرة طلحة والزبير قد ارسلا الى اناس من اهل
البصرة انا فيهم فدخلنا بيت المال معهما فلما رأيا ما فيه من اموال قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله ثم تليا هذه الآية : (وعدكم الله مغنم كثيرة
تأخذونها فمجل لكم هذا) إلى آخر الآية وقالوا نحن احق بهذا المال
من كل احد ولما كان من القوم ما كان دعانا علي بن أبي طالب « ع » ،

فدخلنا معه بيت المال فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال غري غري. وقسمه بين أصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسة درهم عزها لنفسه فجاءه رجل فقال ان اسمي سقط من كتابك فقال عليه السلام ردوها ردوها عليه ثم قال الحمد الذي لم يصل إلي من هذا المال شيئاً ووفره على المسلمين .

خطبته بعد القسمة :

روى الواقدي ان امير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً حمد الله واثني عليه وقال :

ايها الناس اني احمد الله على نعمة قتل طلحة والزبير وهربت عائشة وايم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً وهانت باطلا لكان لها في بيتها مأوى وما فرض الله عليها الجهاد وان اول خطأها في نفسها وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقدأ وما زادهم الشيطان إلا طغيانا ولقد جأؤوا مبطلين وادبروا ظلمين ان اخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله واننا لعلی الحق وانهم لعلی الباطل ويجمعنا الله وایامهم يوم الفصل واستغفر الله لی ولکم .

كتاب الى اهل الكوفة :

وفي رواية عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت عن عامر الاسدي قال ان عليا كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلبه الارجبي الى اهل الكوفة من عبد الله علي بن ابي طالب إلى قرضة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو اما بعد فانا لقينا القوم الناكثين لبيمتنا المفرقين لجماعتنا الباغين علينا من امتنا

فأججناهم الى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزبير وقد تقدمت اليهما بالنذر واشهدت عليهما صلحاء الامة ومكتهما في البيعة فإطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين ولا ذاهل البغي بمأثرة فقتل حولهما جم لا يحصى عددهم إلا الله ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على اهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها ونييها من الحرب واغترار من اغتر بها وما صنعت من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين لاينة ولا معذرة ولا حجة لها فلما هزمهم الله امرت ان لا يقتل مدبراً ولا يجهز على جريح ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا باذن اهلها وقد آمنت الناس واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصابرين وجزاهم من اهل مصر عن اهل بيت نبينهم احسن ما يحزى العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتهم فأجبتهم فنعم الاخوان والاعوان على الحق اتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب عبد الله بن ابى رافع في رجب سنة ست وثلانين .

سيرته في أهل البصرة :

دوى مطر بن خليفة عن منذر الثورى قال لما انهزم الناس يوم الجبل امر امير المؤمنين عليه السلام مناديا ينادى ان لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً وقسم ما حواه العسكر من السلاح والكرام . وروى سفيان بن سعد قال قال عمار لأمير المؤمنين دع ، ما ترى في سبي الذرية قال ما أرى عليهم من سبيل انما قاتلنا من قاتلنا ولما قسم ما حواه العسكر قال له بعض القراء من اصحابه اقسم من ذراريتهم لنا واموالهم وإلا فما الذى أحل دماءهم ولم يحل اموالهم فقال عليه السلام

هذه الذرية لا سبيل عليها وهم في دار هجرة وانما قتلنا من حاربنا وبني
 علينا وأما أموالهم فهي ميراث لمستحقها من أرحامهم فقال عمار رحمه
 الله لا تتبع مدبرهم ولا تجهز على جريحهم فقال «ع» لا لأنني آمنتهم .
 وروى سعد بن جشم عن خارجة عن مصعب عن أبيه قال شهدنا
 مع أمير المؤمنين «ع» الجمل فلما ظفرنا بهم خرجنا في طلب الطعام
 فجعلنا نمر بالذهب والفضة فلا تتعرض له وإذا وجدنا الطعام أصبنا منه
 قال وقسم على «ع» ما وجدته في العسكر من طيب بين نساءنا وقال
 «ع» مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدن منهم ولتقسم
 أموالهم في أهليهم فهي ميراث لهم على فريضة من الله قال وكان إذا
 أتى بأسير منهم فإن كان قاتل قتلته وإن لم تقم عليه بيعة بالقتل أطلقه ولما
 قسم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تباع فقام إليه رجل قال
 يا أمير المؤمنين هذه الفرس لي كانت وإنما أعرتها لفلان ولم أعلم أنه
 يخرج عليها فسأله البيعة على ذلك فأقام البيعة أنها عارية فردها وقسم
 ما سوى ذلك .

ذمه أهل البصرة :

وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبد الله بن عاصم
 عن محمد بن بشير الهمداني عن الحرث بن سريع قال لما ظهر أمير المؤمنين
 «ع» على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمد الله
 وأثنى عليه وصلى على رسول الله وقال :

أيها الناس إن الله عز وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لاهل
 طاعته وقضى أن تقمته وعقابه على أهل معصيته يا أهل البصرة يا أهل
 المؤتفكة ؟ ويا جند المرأة ؟ وأتباع البهيمة رغاً فرجفت ، وعقر فانهزمت
 أحلامكم دقاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وأتم فسقة مراق

أرضكم قريبه من الماء ؛ بعيدة من السماء ، خفت عقولكم ، وسفهت أحلامكم ، شهرتم سيوفكم علينا ، وسفكتم دماءكم ، وخالفتم إمامكم ، فأنتم أكلة الآكل ، وفريسة الظافر ، والنار لكم مدخر ، والعار لكم مفخر ، يا أهل البصرة : نكثتم بيعتي ، وظهرتم على ذوى عداوتي ، فاطنكم يا أهل البصرة الآن ؟ .

فقام اليه رجل منهم فقال لظن خيراً يا أمير المؤمنين ونرى انك ظفرت وقدرت فان عاقبت فقد أجرمنا وان عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين .

فقال دع ، قد عفوت عنكم فاياكم والفتنة فانكم أول من نكث البيعة وشق عصا الامة فارجعوا عن الحوبة واخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة ولما فرغ دع ، من الخطبة وكلامه لأهل البصرة ركب بغلته واجتمع اليه جماعة من شرطة الخيس وطوايف .

أسباب بغض عائشة :

عن عمر بن أبان قال لما ظهر أمير المؤمنين على أهل البصرة جاءه رجال منهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما السبب الذى دعا عائشة إلى المظاهرة عليك حتى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت ؟ وهى امرأة من النساء لم يكتب عليها القتال ولا فرض عليها الجهاد ولا ارضى لها فى الخروج من بيتها ولا التبرج بين الرجال وليست بما نولته فى شيء على حال فقال دع ، سأذكر أشياء حققتها على ليس فى واحد منها ذنب اليها ولكنها تجرمت بها على .

أحدها : تفضيل رسول الله لى على أبيها وتقديمه لإبائى فى مواطن الخير عليه فكانت تضطغن ذلك وبصعب عليها وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه وثانيها : لما آخى بين أصحابه آخى بين أبيها وبين عمر بن

الخطاب واختصني بأخوته فغلظ ذلك عليها وحدتني لسعدى منه .
 وثالثها : أوصى صلوات الله عليه بسد أبواب كانت في المسجد
 لجميع أصحابه إلا بابي فلما سد باب أبيهما وصاحبه وترك بابي مفتوحاً في
 المسجد تكلم في ذلك بعض أهله فقال صلوات الله عليه ما أنا سددت
 أبوابكم وفتحت باب علي بل الله عز وجل سد أبوابكم وفتح بابي
 فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه وتكلم في أهله بشيء سمعته منه
 ابنته فاضطغنته علي .

وكان رسول الله أعطى أباها الراية يوم خيبر وأمره أن لا يرجع
 حتى يفتح أو يقتل فلم يلبث لذلك وانهزم فأعطاهما في الغد عمر بن
 الخطاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه فانهزم ولم يلبث فساء رسول الله
 ذلك وقال لهم ظاهراً معلناً : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله
 ورسوله ويحبه الله ورسوله كراة غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله علي
 يده فأعطاني الراية فصبرت حتى فتح الله علي يدي فغم ذلك أباها وأحزنه
 فاضطغنته علي ومالي اليه ذنب في ذلك لحقت لحقد أبيها .

وبعث رسول الله (ص) أباها ليؤدي سورة براءة وأمره أن ينبذ
 العهد للشركين فضى حتى انحرف فأوحى الله إلى نبيه أن يردده ويأخذ
 الآيات فيسلبها إلى فعرف أباها بأذن الله عز وجل وكان فيما أوحى الله
 عز وجل اليه لا يؤدي عنك إلا رجل منك وكنت من رسول الله وكان
 مني فاضطغن لذلك علي أيضاً واتبعته عائشة في رأيه .

وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشنثها شنان الضرائر
 وكانت تعرف مكانها من رسول الله (ص) فيثقل ذلك عليها وتعدي
 حقها إلى ابنتها فاطمة فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة وهذا معروف
 في الضرائر .

ولقد دخلت علي رسول الله ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب علي

أزواجه وكانت عائشة بقرب رسول الله فلما رآني رحب وقال ادن مني يا علي ولم يزل يدنيني حتى أجلسني بينه وبينها فغلظ ذلك عليها فأقبلت إلي وقالت بسوء رأي النساء وتسرعن إلى الخطاب ما وجدت لأستك يا علي موضعاً غير موضع نخذي فزبرها النبي (ص) وقال لها ألعلي تقولين هذا انه والله أول من آمن بي وصدقني وأول الخلق ورداً علي الحوض وهو أحق الناس عهداً إلي لا يفضيه أحد إلا أكبه الله على منخره في النار فازدادت بذلك غيضاً علي .

ولما رميت بما رميت اشتد ذلك على النبي فاستشارني في أمرها فقلت له يا رسول الله سل جاريتها بريرة واستبره الحال منها فان وجدت عليها شيئاً نخل سيلها فالنساء كثيرة فأمرني ان اتولى مسألة بريرة واستبره الحال منها ففعلت ذلك فحققت علي والله ما اردت بها سوء لكنني نصحت لله ولرسوله وامثال ما ذكرت فان شئتم فاسألوها ما الذي نقيمت علي حتى خرجت مع الناكثين لبيعتي وسفك دماء شيعتي والتظاهر بين المسلمين بعداوتي إلا البغي والشقاق والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين والله المستعان .

فقال القوم القول والله ما قلت يا امير المؤمنين ولقد كشفت الغمة ولقد نشهد إنك اولى بالله ورسوله ممن عاداك فقال الحجاج بن عزمة الانصارى في ايات يتصل بما ذكرناه ويغني ما اثبتناه من هذه الجملة منها عن ايرادها .

قال الراقي ولما فرغ امير المؤمنين (ع) من اهل الجبل جاءه قوم من قتيان تريش يسألونه الامان وان يقبل منهم البيعة فاستشفعوا اليه بعبد الله بن العباس فشفعه وامرهم في الدخول عليه فلما مثلوا بين يديه قال لهم ويلكم يا معشر تريش علام تقاثلونني على ان حكمت فيكم بغير عدل او قسمت بينكم بغير سوية او استأثرت عليكم او لبعدي عن

رسول الله او لقلة بلاء مني في الاسلام فقالوا يا امير المؤمنين نحن اخوة يوسف فاعف عنا واستغفر لنا فنظر إلى احدهم فقال له من انت ؟ قال انا مساحق بن مخزومة معترف بالزلة مقرر بالخطيئة تائب من ذنبي فقال عليه السلام قد صفحت عنكم وايم الله ان فيكم من لا ابالي بايعني بكفه او باسته ولئن بايعني لينكثن .

وتقدم اليه مروان بن الحكم وهو متكى على رجل فقال له ما بك ؟ هل بك جراحة ؟ قال نعم يا امير المؤمنين وما اراني إلا لما بي فتبسم أمير المؤمنين د ع ، وقال لا والله ما انت لما بك وستبقى هذه الامة منك ومن ولدك يوماً احراً وبايعه وانصرف وتقدم اليه عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فلما نظر اليه امير المؤمنين د ع ، قال والله ائن كنت انت واهل بيتك لاهل دعة وان كان فيكم غنى ولكن اعف عنكم ولقد نقل علي حيث رأيتم في القوم واحببت ان تكون الوقعة بغيركم فقال له عبد الرحمن فقد صار ذلك إلى ما لا يحب ثم بايعه وانصرف .

مسير عائشة إلى المدينة :

ولما عزم أمير المؤمنين د ع ، على المسير إلى الكوفة انفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة فتهيأت لذلك وانفذ معها اربعين امرأة البسهن العاتم والقلائس وقلدهن السيوف وامرهن ان يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورأئها فجعلت عائشة تقول في الطريق اللهم افعل بعلي بن ابي طالب وافعل بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله فلما قدمن المدينة معها القين العاتم والسيوف ودخلن معها فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بذم امير المؤمنين د ع ، وسبه وقالت جرى الله ابن ابني طالب خيراً فلقد حفظ في حرمة رسول الله (ص) .

اعتراف مروان بالظلم :

وروى ابو مخنف عن العدي عن ابي هشام عن البريد عن عبد الله ابن المحارق عن هاشم بن مساحق القرشي قال حدثنا ابي انه لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قریش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض والله لقد ظلمنا هذا الرجل يعنون أمير المؤمنين «ع» ونكشنا بيعته من غير حدث والله لقد ظهر علينا فما رأينا قط اكرم سيرة منه ولا احسن عفواً بعد رسول الله (ص) تعالوا حتى ندخل عليه ونعتذر اليه فيما صنعناه قال فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا فلما مثلنا بين يديه جعل متكئاً يتكلم فقال «ع» انصتوا اكفكم انما انا بشر مثلكم فان قلت حقاً فصدقوني وان قلت باطلاً فردوا علي انشدكم الله أتعلون ان رسول الله (ص) قبض وانا اولى الناس به وبالناس من بعده ؟ قلنا اللهم نعم قال فعدلتم عني وبايعتم ابا بكر فأمسكت ولم احب ان اشق عصا المسلمين وافرق بين جماعاتهم ثم ان ابا بكر جعلها لعمر من بعده فكيفت ولم اهج الناس وقد علمت اني كنت اولى الناس بالله وبرسوله وبمقامه فصبرت حتى قتل وجعلني سادس ستة فكيفت ولم احب ان افرق بين المسلمين ثم بايعتم عثمان فظفتم عليه وقتلتموه وانا جالس في بيتي وايتموني وبايعتموني كما بايعتم ابا بكر وعمر وفيهم لها ولم تفوا لي وما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعائكم إلى نكث بيعتي فقلنا له كن يا امير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال :

لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
فقال «ع» لا تريب عليكم اليوم وان فيكم رجلاً لو بايعني يسيده
لنكث باسته ؛ يعني مروان بن الحكم .

وروى المسعودي عن هاشم بن الوليد عن ابن سعيد التميمي عن

ابن ثابت مولى ابي ذر قال شهدت مع أمير المؤمنين «ع»، الجمل فلما رأيت عائشة واقفة بين الصفيين ومعها طلحة والزبير قلت ام المؤمنين وزوجة الرسول وحوارى الرسول وصاحبيه بأحد فدخلنى ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلوة الظهر كشف الله ذلك عن قلبي. وقلت على أمير المؤمنين واخو سيد المرسلين واولهم اسلاماً لم يكن بالذى يقدم على شبهة فقاتلت معه قتالاً شديداً فلما انقضى الحرب اتيت المدينة فسرت الى بيت ام سلمة فاستأذنت عليها فقبل من هذا فقلت سائل فقاتل اطعموا السائل فقلت انى والله لم أسأل طعاماً ولكنى مولى ابي ذر رجعت اسأل عن ديني. فقالت مرحباً بك فقصصت عليها فقالت اين كنت حين طارت القلوب مطايرها فقلت انى بينما احس ذلك إذ كشف الله عن قلبي. فقاتلت مع أمير المؤمنين «ع»، حتى فرغ فقالت احسنت انى سمعت رسول الله يقول ان علياً مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يرذا الحوض .

فصل : وقد اختلفت الروايات فى عدد القتلى بالبصرة فقد جاء فى بعضها انهم خمسة وعشرون الفاً .

وروى عن عبد الله بن الزبير رواية شاذة انهم خمسة عشر الف قتيل ويوشك ان يكون ابن الزبير اثبت ولكن القول فى ذلك باطل لبعده عن جميع ما قاله اهل العلم فاما الاخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ ورجله ثم قتل بعد ذلك فهى مشهورة انهم كانوا نحو من اربعة عشر الف رجل .

ابن عباس والى البصرة :

فصل : وما رواه الواقدي عن رجاله قال لما اراد امير المؤمنين الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن العباس ووصاه وكان

في وصيته له ان قال : يا ابن عباس عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه وان تبسط للناس وجهك وتوسع عليهم مجلسك وتسعهم بحملك وإياك والغضب فانه طيرة الشيطان وإياك والهوى فانه يصدك عن سبيل الله واعلم ان ما قربك من الله فهو مباعدك من النار وما باعدك من الله فمقربك من النار واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين وروى ابو مخنف لوط بن يحيى قال لما استعمل امير المؤمنين عبد الله بن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس فاسمعوا له واطيعوا امره ما اطاع الله ورسوله فان احدث فيكم او زاغ عن الحق فاعلموا اني اعزله عنكم فاني ارجوان اجدته عفيفاً تقياً ورعاً وانى لم اوله عليكم إلا وانا اظن ذلك به غفر الله لنا ولكم .

فأقام عبد الله بالبصرة حتى عمد امير المؤمنين د ع ، إلى التوجه إلى الشام فاستخلف عليها زياد بن ابيه وضم اليه ابا الأسود الدؤلي ولحق بأمر المؤمنين حتى سار إلى صفين .

وروى ابو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله قال لما اراد امير المؤمنين د ع ، التوجه إلى الكوفة قام في أهل البصرة فقال ما تنقمون على يا أهل البصرة ؟ وأشار إلى قيصر وردائه فقال والله انها لمن غزل أهلي ما تنقمون مني يا أهل البصرة وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته فقال والله ما هي إلا من غلتي بالمدينة فان انا خرجت من عندهم بأكثر مما ترون فانا عند الله من الخائنين ثم خرج وشيعة الناس إلى خارج البصرة وتبعه الأحنف بن قيس إلى الكوفة .

ولما خرج وصار على غلوة استقبال الكوفة بوجهه وهو راكب بغلة رسول الله (ص) وقال الحمد لله الذي اخرجني من اخبت البلاد

واخشنها ترابا واسرعها خرابا واقربها من الماء وابعدها من السماء بها
مغيض الماء وبها تسعة اعشار الشروهي مسكن الجن الخارج منها برحة
والداخل اليها بذنب اما انها لا تذهب الدنيا حتى يجيء اليها كل فاجر
ويخرج منها كل مؤمن وحتى يكون مسجدها كأنه جوجو سفينة .

فهذه جملة من اخبار البصرة وسبب قتلها ومقالات اصحاب الآراء
في حكم الفتنة بها قد اوردناها على سبيل الاختصار واثبتنا ما اثبتنا من
الاخبار عن رجال العامة دون الخاصة ولم نثبت في ذلك ما روته الشيعة
في إنكاره وكان الغرض فيما اوردناه في هذا الكتاب من تفصيل ذكر
قتلة البصرة وما جرى فيها من القتال والفعال والاباة عن عناد القوم
لامير المؤمنين د ع ، والقصد لحربه وسفك دمه من غير شبهة في امره
ولا غدر فيما صاروا اليه من خلافه ولنوضح فيما تضمنته الاخبار في
بطلان مقال من ادعى للقوم التوبة من فرطهم الضلال لحرب امير
المؤمنين د ع ، وفساد مذهب من ذهب إلى ذلك من المعزلة والمرجئة
والحشوية .

ويدل على ما اثبتناه منه ان القوم مضوا مصرين على افعالهم غير
نادمين عليها ولا تائبين منها وانهم كانوا يتظاهرون الى الله بالقربة
والتدين بعداوتهم لامير المؤمنين د ع ، والبغض والتضليل والتبديع
له ولا ولاده ولشيعته وانصاره والبراءة إلى الله من جميعهم وان امير
المؤمنين د ع ، يرى عليهم بمثل ذلك ويرى القربة إلى الله بجهادهم وقتالهم
حتى مضى لسبيله وانا مثبت بعد الذي قدمت اخباراً قد سلم لصحتها
اهل العقل والنقل على خلافهم في الآراء والمذاهب تؤكد ما ذكرت
في هذا الكتاب ويشهد بصحة ما ذكرت وان كنت قد جمعتها في موضوع
آخر من كتبتي وانما اوردتها في هذا الكتاب للائمتها لعناه وتأييده
لما تضمنته من فوائد وغواه وبالله استعين .

فمن ذلك ما حدثنا به ابو بكر محمد بن عمر الجعفي قال حدثنا ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن ابي الحسن علي بن الحسين ابن فضال باسناده في كتابه المعروف (بالمبني) وهو اشهر ان يدل عليه العلماء عن ابان بن عثمان عن الاجلح عن ابي صالح عن عبد الله بن عباس قال لما رمى اهل الافك عائشة استشار رسول الله (ص) علياً فيها فقال يا رسول الله النساء كثيرة سل الخادمة فسألوا بريرة فقالت ما علمت إلا خيراً فبلغ ذلك عائشة فقالت لا احب علياً بعد هذا ابداً وكانت تقول لا احب علياً ابداً أليس هو الذي خلا وصاحبه بجارتي يسألانه عني وهذا حديث صحيح الاسناد واضح الطريق وهو يتضمن التصريح منها ببغض امير المؤمنين (ع) ، بنصيحته لرسول الله (ص) واجتهاده في طاعته ومشورته من غير ان يكون ظلمها بذلك واعتدى عليها فيه اذ لو كان ذلك كذلك ونحاشاه (ع) ، لما سمع رسول الله (ص) مقالته ولا قبل مشورته ولا انتهى فيه إلى رأيه ولما صار بعد ذلك إلى الاصغاء اليه والاعتقاد في ذلك عليه فدل على صوابه وضلال من مقتله لأجله وعاداه فيه (١) .

ومن ذلك ما رواه محمد بن مهران قال حدثنا محمد بن علي بن خلف قال حدثنا محمد بن كثير عن اسماعيل بن زياد البراز عن ابي ادريس عن رافع مولى عائشة قال كنت غلاماً اخدها وكنت إذا كن رسول الله عندها اكون قريباً منها فبينما رسول الله (ص) ذات يوم عندها إذ جاء جاء فدى الباب فخرجت اليه فاذا جارية معها انا مغطى فرجعت إلى

(١) تقدم في بعض الحواشي بيان كذب الحديث فانه مروي عنها فقط لانه لم ينقله احد من المسلمين غيرها وذكرنا ان المصنف (ره) انما ذكر القصة مما شاة مع القوم الذين طربوا لتزييه عائشة بالقرآن وإلا فاشيخ المفيد لم تحف عليه هذه الظاهرة التي استوضحناها .

عائشة واخبرتها فقالت ادخلها فدخلت فوضعت بين يدي عائشة ووضعت بين يدي رسول الله (ص) فأكل منه فقال يا ليت امير المؤمنين وسيد المرسلين وامام المتقين يأكل معي فقالت عائشة ومن ذلك ؟ فجاء فدق الباب فخرجت اليه فاذا هو علي بن ابي طالب دع ، فرجعت اليه فقلت هذا علي بالباب فقال ادخله فلما دخل قال له اهلا لقد تمنيتك حتى لو ابطيت لسألت الله ان يأتيني بك اجلس فكل معي فجلس معه ورأيت النبي (ص) ينظر اليه ويقول قاتل الله من يقا تلك وعادى الله من عاداك فقالت عائشة من يقا تل وعاديه فقال لها انت ومن معك .

وهذا الحديث يدل على عداوتها له من حيث استفهمته عما تعلمه على وجه الانكار ودعائه في آخر القول على من يقا تل وعاديه لعله بما يكون منها من القتال ايضاً ودعائه على من عاداه ليعين فضيلته وما هي عليه من البغض والشأن له ويزيل الشبهة عن الامة في حقه وصوابه وباطل عدوه في خلافه له وعناده .

ومن ذلك ما رواه غير واحد عن الارقم بن شرحبيل عن عبد الله بن العباس قال قال رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه ابشوا إلى علي وادعوه فقالت عائشة لو بعثت إلى ابي بكر وقالت حفصة لو بعثت إلى عمر فبعثنا إلى ابي بكر وعمر فلما حضرا فتح النبي عيني فرأهما فقال انصرفا فان تكن لي حاجة بعثت اليكما .

وروى اسحق عن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال اغمى علي النبي (ص) ثم افاق فقال ادعوا لي اخي فأمرت عائشة ان يدعوا ابا بكر فدخل فلما رآه رسول الله اعرض عنه فقالت ام سلة ادعوا له علياً فانه اخوه وحبيه فدعوه فجاء حتى جلس بين يديه فلما رآه ادناه وتجاهه طويلاً وهذا الحديث مع استقامته وكثرة رواته وظهوره في الخاصة والعامة يدل على عداوتها له وحسدها عليه .

ومن ذلك ما احتج عليه اهل النقل من شهادتها لابن بكر في صواب
منعه فاطمة فدكا ومقابلتها في تلك الشهادة امير المؤمنين «ع» فيما ذهب
اليه من استحقاقها ومظاهرة ابني بكر على منع فاطمة من ميراث ابيها
ولم يشركها في ذلك احدى الازواج .

ومن ذلك ما رواه اسحق غن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن
عائشة قالت استشعر رسول الله من المرض في بيت ميمونة فدعى
نساءه فاستأذنهن ان يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين من اهل
بيته احدهما الفضل بن العباس ورجل آخر يخطان قدماء الارض عاصبا
رأسه حتى دخل بيتي قال عبد الله لحدثت عنها عبد الله بن العباس فقال
هل تدري من الرجل ؟ قال ذلك علي بن ابي طالب وما كانت امنا
تذكره بخير وهي تستطيع .

ومن ذلك ان عائشة كانت تنم عثمان وولاته وكانت تقول كل
قول بغضاً منه وترفع قيص رسول الله فتقول هذا قيص رسول الله
لم يبل وقد ابلى عثمان احكامه ولما جاء الناعي إلى مكة فنعاه بكى لقتله
قوم من اهل ظنه فأمرت مناديا ينادي : ما بكاؤكم على نعل اراد ان
يطغى نور الله فأطفأه الله تعالى وان يضيع سنة رسوله فقتله ثم ارجف
بمكة ان طلحة قد بويع له فركبت مبادرة بغلتها وتوجهت نحو المدينة
وهي مسرورة حتى انتهت إلى (سرف) فاستقبلها عبد بن ابي سلة (١)

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٢) يعرف بابن ام كلاب
نسبة إلى امه ثم ذكر الحديث وذكر ابياته :

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وانت امرت بقتل الامام وقلت لنا : انه كفر
فهبنا اطعنك في قتله وقاتله عندنا من امر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم يتكسف شمسنا والقمر -

فقات له ما عندك من الخبر قال قتل عثمان قالت فمن ذا ولوه قال بايعوا
 علياً ابن عم رسول الله (ص) فقالت والله لوددت ان هذه تطبق على
 هذه ان تمت لصاحبك فقال لها عبد بن ابي سلة ولم ؟ فوالله ما على هذه
 الغبراء نسمة اكرم منه على الله فلماذا تكرهين قوله فقالت لانا عينا على
 عثمان في امور سميناهاله ولناه عليها قتال منها واستغفر الله فقبل منه
 المسلمون ولم يجدوا من ذلك بدأ فوثب عليه صاحبك فقتله والله لاصبح
 من اصابع عثمان خير منه وقد مضى كما يمضي الرخيص ثم رجعت إلى
 مكة تنعى عثمان وتقول هذه المقالة للناس : فهل يصح رحمكم الله عند
 احد من العقلاء دخول الشبهة من بغضها او يرتاب مكلف في اعنادها
 لامير المؤمنين عليه السلام على ما ذكرناه .

ومن ذلك ما رواه نوح بن رواح عن ابي اسحق قال حدثني المنهال
 عن جماعة من اصحابنا ان طلحة لما قدم مكة جاء إلى عائشة فلما رآته
 قالت يا ابا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً فقال لها يا اماء مثلي كما قال الشاعر
 ندمت ندامة الكسعي لما رأته عيناى ما صنعت يدها
 اولاً ترى انها تبدى له العداوة في كل حال وتظهر العناد له بكل مقال
 ومن ذلك كتبها إلى الآفاق تؤلب عليه وتخذل الناس عنه من
 غير شبهة تعرض في الديانة افعل كان منه كتبت إلى زيد بن صوحان
 على ما اجتمعت عليه نقلة الاخبار :

بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة ابنة ابي بكر ام المؤمنين زوجة
 النبي إلى ابنها المخلص زيد بن صوحان اما بعد إذا جاءك كتابي هذا فأقم
 في بيتك وخذل الناس عن علي حتى يأتيك امرى وليبلغني عنك ما اقر
 به فأنك من اوثق اهلى عندي والسلام .

— وقد بايع الناس ذا ندره يزيل الشبا ويزيل الصعر
 ويلبس للحرب اثوابها وما من وفي مثل من قد غدو

فكتب اليها زيد بن صوحان :

بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر أمرك أن تقرى في بيتك وأمرنا بالجهاد فأتاني كتابك بضد ما أمر الله به وذلك خلاف الحق والسلام (١) .

ومن ذلك ما تظاهرت به الاخبار وثبتت به الآثار في الكتب المصنفة في حرب البصرة وغيرها من كتاب عائشة إلى حفصة ما رواه عن الأصم عن الحسن بن أبي الحسن البصري قال لما نزل على دع ، ذا قار كتبت إلى حفصة الذي قدمنا ذكره .

وروى بشر بن الريع عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال ذكر النبي خروج بعض نسائه وعنده عائشة وعلي حاضر فضحكت عائشة والتفت إلى علي وقال إذا رأيت من امرها شيئاً فارق بها (٢) وروى عصام بن قدامة البجلي عن ابن عباس قال قال رسول الله لعائشة وعنده نساءه ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وشمالها خلق كثير كلهم في النار وينجو بعدما كادت .

وروى أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال المسعودي في حديثه قال رسول الله يا علي إذا أدركتها فاضربها واضرب أصحابها .

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٣) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (ج ٣ - ص ١١٩) ولم يعقب عليه الذهبي وفي تطهير الجنان لابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ص ١٠٨ قال رسول الله لعلي سيكون بينك وبين عائشة أمر قال علي دع ، أنا أشقأها ؟ قال لا فإذا كان ذلك فأردها إلى مأمنها .

وروى علي بن مسهر عن هشام عن ابن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت قال رسول الله (ص) يا عائشة إنى رأيتك فى المنام مرتين أرى
جلا بمملك فى سدة من حرير فاكشفتها فاذا هي أنت .

أفلا ترى أن رسول الله (ص) نهاها وقد بين ما يكون منها على علم
منه فى مصيرها وعاقبة أمرها ثم نهاها عن ذلك وزجرها ودعا عليها
لأجله وتوعدها (ص) فأقدمت على خلافه مستبصرة بعداوتة وارتكبت
نهيها معاندة له فى أمره وصارت إلى ما زجرها عنه مع الذكر له والعلم
به من غير شبهة فى معاندته على أن كتاب الله المقدم فى الحجة على
ما تعمد من أثر وخبر وسنة وقد أوضح ببرهانه على اقدم المرأة على
الخلاف له من غير شبهة وقاتله وقتال أوليائه لغير حجة بقوله تعالى لها
ولجميع نساء النبي : وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
فخرجت من بيتها مخالفة لامر الله وتبرجت بين الملاء والصاكر فى
الحروب تبرج الجاهلية الاولى وأباح دماء المؤمنين وأفسدت الشرع
على المسلمين وأوقعت فى الدين الشبهات على المستضعفين .

ومن ذلك ما رواه أبو داود الطبري عن عبد الله بن شريك عن عامر
عن عبد الله بن عامر قال سمعت عبد الله بن بديل الخزاعي يقول لعائشة
أنشدك الله ألم نسمعك نقولين سمعت رسول الله (ص) يقول على مع الحق
والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض (١) قالت بلى فقال لها
إذا كان ذلك مم هذا قالت دعوني والله لو ددت انهم تقانونا جميعاً فدل ذلك
على انه لم يعترضها شبهة فى قتاله وانها فى خلاف الله ورسوله والأخبار
فى هذا المعنى كثيرة ان أخذنا فى إيرادها طال بها الكتاب فاما ما جاء
فى عناد طلحة والزبير لأمير المؤمنين (ع) ، وإقدامها على حرب عثمان

(١) رواه الحاكم النيسابورى فى المستدرک على الصحيحين (ج ٣
ص ١٢٤) ولم يتعقبه الذهبي فى تلخيص المستدرک .

طمعاً في نيل الامر من بعده بغير شبهة في ذلك وانهما كانا متولين
لقتل عثمان فلما بايع الناس لأمير المؤمنين دح، وفاتها ما كانا يأملانه
من التأمير على الناس عمداً إلى حربه ورمياه بما صنعاه بعثمان وعاندا
في ذلك وكابرا ودفعاً به المعلوم.

وروى موسى بن مطير عن الاعمش عن مسروق قال دخلنا
المدينة فبدأنا بطلحة فخرج مشتملاً بقطيفة حمراء فذكرنا له امر عثمان
وهم القوم به فقال لقد كاد سفهاؤكم ان يغلبوا عقلاءكم ثم قال اجتمع
معيكم بحطب ألا تغنوا هاتين الحزمتين فاذهبوا بها إلى بابي فأحرقوه
بالنار فخرجنا من عنده وأتينا الزبير فقال مثل قوله فخرجنا حتى أتينا
علياً عند أحجار الزيت فذكرنا امره فقال استسيروا الرجل ولا تعجلوا
فان رجوع عما هو عليه وإلا فالظروا.

وروى محمد بن اسحاق عن أبي جعفر الاسدي عن أبيه عن عبد الله
ابن جعفر قال كنت مع عثمان وهو محصور فلما عرف انه مقتول بعثني
وعبد الرحمن بن أنس إلى علي دح، وقد استولى طلحة على الامر
وقال انظروا وقولا له انك أولى بالامر من ابن الحضرمية فلا يغلبك
على امر ابن عمك.

وروى الفضل بن دكين عن عمران الخزازي عن مسيرة بن جرير
قال كنت عند الزبير بأحجار الزيت وهو آخذ يدي فأتاه رجل وقال
يا أبا عبد الله ان أهل الدار قد حيل بينهم وبين الماء فقال ادبروا :
(وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم في
شك مريب) فهذه الاخبار وأمثالها قد جاءت بما فعل طلحة والزبير
بعثمان وما أباحاه من دمه وان أمير المؤمنين كان معزلاً لذلك عن عثمان
دافعاً عنه بحسب الامكان ثم جاء بعد ذلك يطلبان بدم عثمان ويدعيان
عليه انه تولى قتله ويقر فانه بما ادعياه ويعملان في قتل أهل الايمان

وإثارة الفتنة في الاسلام وهلاك العباد والبلاد .

وروى ابراهيم بن عمر عن أبيه عن بشير عن نوح بن دراج ان
علياً قال لها والله ما للعمرة تريدان وقد بلغني أمركما وأمر صاحبكما
خلفا بالله ما تريدان إلا العمرة .

وروى الحسن بن المبارك عن بكر بن عيسى ان علياً رضى الله عنه ، أخذ
عليها العهد والميثاق أعظم ما أخذه على أحد من خلقه أن لا يخالفا ولا
ينكثا ولا يتوجها وجهاً غير العمرة حتى يرجعا اليه فأعطياه ذلك من
أنفسهما ثم أذن لها فخرجا .

وروت أم راشد مولاة أم هانئ ان طلحة والزيير دخلا على علي
فاستأذناه في العمرة فلما وليا من عنده سمعتهما يقولان ما باینا بقلوبنا
وانما باینا بأیدینا فأخبرت علياً بمقالتهما فقال : (ان الذين یبایعونك
انما یبایعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه
ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) ثم قام عليه السلام
خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

اما بعد فان الله لما قبض نبيه قلنا نحن أهل بيته وعصبته وورثته
وأولياؤه وأحق خلق الله به لا ينازعنا في سلطانه أحد فبیننا قول ذلك
إذ نفر المنافقون فانزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا وأیم الله
لو لا مخافة الفرقة بین المسلمين أن يعودوا إلى الكفر لغيرنا ذلك
ما استطعنا وقد وليتمونا أيها الناس أمركم وبایعني طلحة والزيير فیمن
بایعني منكم ثم نهضنا إلى البصرة لیفرقا جماعتكم ویلقيا ما بینكم الفتنة اللهم
نقدهما بغشها لهذه الامة وسوء بطرهما .

وفي رواية اخرى في غير هذا الكتاب خطبته هكذا :

اما بعد فانه لما قبض الله رسوله قلنا نحن أهله وورثته وصتره

وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا في سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نينا فصارت الامرة لغيرنا وصرنا سوقا يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الاعين منا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس وأيم الله لولا مخافة الفرة بين المسلمين وان يعودوا إلى الكفر ويور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه فولى الامر ولاية لم يألوا الناس خيراً ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شئتان فني لامركم وفراسة تصدقني عما في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن د ع ، أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حورت به القوم إذ قالت مالكم ولي تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولي الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الأولين والآخرين وآله الطاهرين .



الأشهاد للشيخ المفيد

صدر الى الأسواق :

سِرُّ السِّلْسِلَةِ الْعُلُوبِيَّةِ

لِأَبِي نَصْرٍ الْبُخَّارِي

غَايَةُ الْاِخْتِصَاصِ

فِي

الْبُيُوتَاتِ الْعُلُوبِيَّةِ الْمَحْفُوظَةِ مِنَ الْغَيْبَارِ

عَلَى الشَّرَاحِ

لِلشَّيْخِ الصَّدُوقِ

نبذة من منشورات

المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨)

العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الکتبی)

الامام الصادق ج ٢	مناقب آل ابی طالب ٣ ج
بشارة الإسلام	حق اليقين ج ٢
اليقين في الإمرة ،	معالم العلماء
سعد السعود ،	الافصاح في الامامة للنفيد
الشهيد مسلم بن عقيل	الامالي ،
مثير الاحزان	الرجال والفهرست للشيخ الطوسي
غزوات الامير للنقدی	الكنى والالقباج
تاريخ الكوفة	ابو هريرة
قضاء امير المؤمنين	الخصائص الحسينية
سليم بن قيس	ظلم الزهراء
اللاقين للعلامة	المنتخب للطريحي
الفصول المهمة للحر العاملي	الفوادر الحسينية
قصص الانبياء للجزايری	شجرة طوبى ج ٢
تزيه الانبياء للمرتضى	الكوكب الدرى
اثبات الوصية	توحيد المفضل
عمدة الطالب	قصص القرآن
الدرجات الرفیعة للسید علي خان	القبائل المراقبة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ